
المستفاد من أحداث
السيرة النبوية
(القسم الثاني)
رسول الله
صلى الله عليه وسلم
الدكتور
شاذل رشان
شبكة
الألوكة
www.alukah.net


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد

من أحداث السيرة النبوية

القسم الثاني

الدكتور

شاذل رشان

الموصل الحدباء – العراق

١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

غزوة الخندق (الاحزاب)

تمهيد

وقَعتْ هَذِه الغَزْوَة فِي شَوالْ مِنَ السَنَةِ الخَامِسَةِ لِلهِجْرَةِ، وَسُمْيَتْ بِغَزْوةِ الخَنْدقْ لأجْلِ الخَنْدَقِ الَّذِي حُفِرَ حَولَ المَدينَةِ بِأَمْرِ النَّبيِّ ﷺ، وَأَمَا تَسْمِيَتهَا بِغَزوَةِ الأَحْزابِ فَلِلاجْتِماعِ طَوائِف مِنَ المُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ المُسْلِمينَ، وَهمْ قُرَيْش وَغَطَفَان وَآخَرونَ مِنْ قَبائِل العَرَبِ وَاليَهودِ وَمنْ تَبعَهمْ، وَلِغَرضْ التَعَرفْ عَلَى أَسْبَابَها وَأَحْدَاثَها وَالدُروسِ المُستَفادَةِ مِنْهَا فَقدْ قَسَمْنَا هَذا الفَصْل إِلَى مَبْحَثينِ وكَما يَأْتِي:

المَبْحَثْ الأَوَل: أَحْدَاث غَزْوَةِ الأَحْزَابِ.

المَبْحَثْ الثَانِي: المُسْتَفاد مِنْ غَزْوةِ الأَحْزَابِ.



المبحث الأول
أحداث غزوة الأحزاب

أسباب غزوة الأحزاب:

جَرتْ غَزْوَة الأحْزابِ عَلَى أَثَرِ فَشَلِ قُرَيْش فِي مُحَاوَلَتها تَأمِينِ طُرق تِجَارَتها معَ بلادِ الشَّام إذْ أَنَّه عَلَى الرُغْمِ مِـــنْ خَسَائِرِ المُسْلِمينَ الكَبِيرَة فِي مَعْرَكَة أُحُدٍ، فَإنها لَمْ تَكُنْ حَاسِمَةٍ وَلَمْ تُؤمِّنْ الطَرِيقَ التِجَاريَّ بَينَ مَكَّةَ وَالشَّام[١]. كَمَا أَنَّ ازْدِيَاد وَعُنْف النَشَاطِ الإسْلامِي فِي الغَزَواتِ وَالسَّرايَا العَديْدَة الَّتِي جَرتْ بَعدَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، عَمِلَ عَلَى إنْهَاءِ الأَثَرِ السِّلْبي لِهذِه المَعْرَكَةِ سَوَاءٌ فِي المَدِينَةِ أَو فِي البَوادِي [٢]. وَلِذَلكَ فَإنَّ قُرَيْشاً عَادتْ مِنْ جَديدٍ إلَى التَفكِير بإعْدَادِ حَمْلَةٍ عَسْكَرِيَةٍ ضَخْمَةٍ تَأمَلُ أَنْ تَحْسِم بهَا الأُمُور، وَتَقْضي نِهَائِيّاً عَلَى الوُجودِ الإسْلامِي، وَبالتَالِي عَلَى الأخْطَارِ الَّتِي تُهَدد مُصَالِحَها [٣].

قريش تسعى إلى عقد تحالفات:

كَانَ زُعَمَاء قُرَيْش يُدْرِكُونَ أَنَّ قوةَ المُسْلِمينَ قَدْ تَنامَتْ كَثْيراً، وَأَنَّ قَوتَهمْ الذَاتِيَة لَمْ تَعْدَ وَحْدَهَا قَادِرَةً عَلَى تَحْقِيقِ الهَدَفِ المَنْشودِ، وَلِذَلكَ فَإنَهمْ سَعَوا إلَى عَقْدِ تَحَالُفَات عَديدَة مِنْ أَجْلِ تَجْميعِ القِوَى الحَاقِدَةَ وَالقَادِرَة عَلَى تَحْقِيق مَا يَأمَلُون. وَقَدْ وَاتَتهمْ الفُرْصَة حِيْنَما إتَصلَ بهِمْ زُعَمَاء يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ المَوتُورينَ مِنْ مَقرْ إقَامَتِهمْ الجَديدْ فِي خَيْبَر، دَاعِينَ قُرَيْشاً إلَى حَرْبِ المُسْلِمينَ. وَقَدْ أَتَى وَفْدٌ مِنْهُمْ إلى مَكَّةَ سَلَّامُ بْنُ أَبِي الحُقَيْقِ و حُيَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ مِنْ زُعَمَاء بَنِي النَّضِيرِ، فَتَعَاقَدوا معَ قُرَيْش عَلَى المُشَارَكَةِ فِي قِتَالِ المُسْلِمينَ، بَعْدَ أَنْ شَهِدُوا أَنَّ الشِرْك خَيرٌ مِنَ الإسْلام وَقدْ نَزَلتْ فِي حَقِهِمْ الآيَة الكَرِيمَة: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا** [٤]، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ إلَى نَجْدٍ فَحَالَفوا غَطَفَانَ عَلَى حَرْبِ المُسْلِمينَ، بَعدَ أَنْ وَعَدوهمْ بنِصْفِ تَمْرِ خَيْبَرَ [٥]. أَمَّا قُرَيْش فَقدْ نَجَحتْ فِي تَجْميعِ حُلَفَائِها مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وكِنَانَة وأَهْلِ تِهَامَةَ والْأَحَابِيشَ [٦].

---

[١] نضرة النعيم في اخلاق الرسول الكريم ١/٣٢٣.

[٢] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣.

[٣] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣ من رواية موسى بن عقبة دون إسناد.

[٤] سورة النساء: الآية ٥١، واورد الطبري آراء العلماء في سبب نزول الآية، وخلص إلى القول بأن أولى الأقوال بالصحة قول من قال بأن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من يهود. وجائز أهم الذين سماهم ابن عباس، أو أن يكون حييّا وآخر معه إما كعبا وإما غيره (تفسير الطبري ٧/ ١٣٤- ١٣٦)، وذكر آخرون أنه كعب بن الأشرف.

[٥] الواقدي: المغازي ٢/ ٤٤٣. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ١/٦٣٥.

[٦] البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ٣٩٩. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣. ابن هشام: السيرة ٢/ ٢١٩- ٢٢٠.



النبي ﷺ يستشير اصحابه:

لَمَّا بَلَغَ المُسْلِمينَ خَبَر تَجَمُّعُ المُشْرِكِينَ لِغَزوهمْ وَمُهَاجمَةِ المَدينَةِ، بَدَأ الرَسُولُ ﷺ باسْتِشَارَةِ أَصْحَابه فِيمَا يَنْبَغي عَمَلُهُ لِمُواجَهةِ الخَطَرِ الداهِمْ، فَأشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ بِحَفْرِ الخَنْدَق شَمَالَ الْمَدِينَةِ بَينَ حَرَّتَي «وَاقِمْ وَالْوَبَرَةُ»، وَالاعْتِمادِ فِي الجِهاتِ الأُخْرَى مِنَ المَدِينَةِ عَلَى حَصَانَتِهَا وَعَلَى مَا يُحِيطُ بِهَا مِنَ الحَرّاتِ الَّتِي يَصْعُب اخْتِرِاقهَا [١]. وَلَمْ يَعْتَرِضْ أَحَدٌ عَلَى الاقْتِراحِ الَّذِي كَانَ يُهَيّئ حَاجِزاً يَمْنَعْ الالْتِحَامِ المُبَاشِر مع قُواتِ الأَحْزَاب، كَمَا يَمْنَعُهَا مِنْ اقْتِحَامِ المَدِينَةِ [٢]، وَفِي الوَقْتِ نَفْسه يُوَفِر لِلمُسْلِمينَ فُرْصَةً جَيّدَةً لِلدِفَاعِ، وَلِتَكْبِيدِ الغُزَاةِ الكَثِيرِ مِنَ الخَسَائِرِ البَشَرِيَة، وَذَلِكَ بِالتَصدي لَهُمْ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ اقْتِحَام الخَنْدَق، وَبِرَشْقِهِمْ بِالسِهَامِ مِنْ وَراءِ التَحْصِينَاتِ.

الرسول ﷺ يشارك أصحابه في حفر الخندق:

تَوَلَى المُسْلِمونَ مُهِمَة حَفرِ الخَنْدَق بِسُرْعَة مُذْهِلَة، لَمْ تَتجَاوَزْ سِتَّةَ أَيَّامٍ، وَظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ يَعْمَل وَيَحْمِل التُراب عَلَى كَتِفِهِ الشَرِيفِ حَتَّى غَطَى التُرابُ بَطْنَهُ ﷺ.

يقول الْبَراءُ ﷺ: لَمّا كانَ يَوْمُ الْأَحْزاب وَخَنْدَقَ رَسُولُ الله ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُراب الْخَنْدَق حَتَّى وارَى [٣] عَنِّي الْغُبارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ [٤]. وَظَلَّ الصَحابَة رِضوانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَعْمَلونَ معه ﷺ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ [٥]وَهمْ يَرْتَجِزونَ [٦] بِمَا تَقدمَ مِن أشْعَارٍ حَتَّى فَرَغُوا مِنْ حَفْرِ الخَنْدَق قَبْلَ وُصول المُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ [٧].

فَكانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْمَل وَهُوَ يَقول، تَسْلِيَةً لَهُمْ لِيُهَون عَلَيْهِم مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَةٍ وَبَلاءٍ وَجوعٍ: « اللهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةْ، فاغْفِرْ لِلْأَنْصارِ والْمُهاجِرَةْ»، فيقولون مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بايَعُوا مُحَمَّدَا... عَلَى الْجِهادِ ما بَقِينا أَبَدَا [٨]

---

[١] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣. وانظر: الواقدي: المغازي ٢/ ٤٤٥ بدون إسناد، ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٤.

[٢] ابن سعد: الطبقات ٢/ ٦٦- ٦٧.

[٣] وارى: أي حجب من كثرته.

[٤] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١١٠، حديث٤١٠٦. صحيح مسلم:كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق٣/١٤٣٠، حديث١٨٠٣.

[٥] أي: على أكتافهم.

[٦] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٨، حديث٤١٠٠. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، واللفظ للبخاري٣/١٤٣١، حديث١٨٠٥.

[٧] سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، ... صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٧، حديث٤٠٩٩.

[٨] متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٧، حديث٤٠٩٩. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، واللفظ للبخاري٣/١٤٣١، حديث١٨٠٥.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويَقُولُ أيضًا ﷺ:

اللهُمَّ لَوْلا أَنْتَ ما اهْتَدَيْنا... وَلا تَصدَّقْنا وَلا صَلَّيْنا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا... وَثَبِّتْ الْأَقْدامَ إِنْ لاقَيْنا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنا... وَإِنْ أَرادُوا فِتْنَةً أَبَيْنا

ثُمَّ يرفع صَوْتَهُ ويقول: أبينا أبينا ويمد صوته بآخرِهَا[١].

وَقَدْ أَدى هَذَا كُلَهُ إِلَى جعْلِ أَصْحَابه يَتَفَانونَ فِي العَمَل وَلا يُغَادِرِ أَحَدَهمْ موقِعَه لِقَضاء حَاجياتِه إلاَّ بَعدَ اسْتِئذَانِ الرَسُولِ ﷺ وَمَا أَنْ يَنْتَهي حَتَّى يَعْود عَلَى جَنَاحِ السُرْعَةِ لإتْمَامِ مَا كُلِفَ به إيْمانًا وَاحْتِسَابًا، وَفِي هَـؤلاءِ العَـامِلينَ نَزلَتْ كَلِماتِ اللهِ تَعَالَى: **إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَإذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ فَإذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** [٢].

كَانَ لِتَقْسيمِ العَملِ وَإسْهَامِ الرَسُولِ ﷺ فيهِ إلَى جَانبْ أَصْحَابه رِضوانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اجْمَعِين، وَالإيْمَان العَمْيق الَّـذِي كَانَ يَدْفَع المُسْلِمينَ إلَى بَذْلِ كُلِ طَاقَاتِهمْ لإنْجَازِ الخُطَّةِ الدِفَاعِيَّة، وَشُعورهِمْ بِعظَمِ الخَطَرِ المُحْدِق بهِمْ، إنْ هُوجمَتْ المَدينَة قَبْلَ أَنْ يَنْجز حَفْرَ الخَنْدَق، فَضْلاً عَنْ تَأْميلِ الرَسُول ﷺ جُنْده بالنَصْرِ القَرِيب فِي الأرْضِ وَبالأَجْرِ العَرِيْض فِي السَماء. كَانَ لِهَذِه الأُمُور جَمْيعَاً الأَثرْ الحَاسِمْ فِي تَمْكِين المُسْلِمينَ مِنْ حَفْرِ الخَنْدَق قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَهم الْأَعْدَاء..

لَقَدْ كَانَ لِهذَا التَبَسُط فِي ذَلِكَ الوَقتِ أَثَرهُ فِي التَخْفِيفِ عَنِ الصَحابَةِ مِمَّا يُعانُونَه نَتِيجَةً لِلظُروفِ الصَعْبَة الَّتِي يَعْيشُونَها، كَمَا كَانَ لَهُ أَثرهُ فِي بَعْثِ الهِمَّةِ وَالنَشاطِ بِإنْجَازِ العَملِ الَّذِي كُلِّفُوا بإتْمَامِه، قَبْلَ وُصول عَدُوهِمْ [٣].

من دلائل نبوة الرسول ﷺ أثناء حفر الخندق:

ظَهَرتْ خِلال مَرْحَلةِ حَفْرِ الخَنْدَق مُعْجِزَاتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا:

أَوَلاً: تَكْثِير الطَعَامْ الَّذِي أَعَدَّهُ الصَحَابِي جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه لِلرَسُول ﷺ وَيَحْكِي لَنَا جَابِر رضي الله عنه مُعْجِزَةً عَجِيْبَةً لِلنَبِيِّ ﷺ فِي هَذَا المَوقِفْ.

يقول جَابِر رضي الله عنه: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا [٤]، فانْكَفَأْتُ إلى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جرابًا فِيهِ صاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ [٥] فَذَبَحْتُها،

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٩، حديث٤١٠٤. صحيح مسلم:كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق٣/١٤٣٠، حديث١٨٠٣.

[٢] سورة النور: الآية ٦٢. ابن هشام ص ٢١٢- ٢١٣ الطبري ٢/ ٥٦٦- ٥٦٨.

[٣] الرشيد، محمد: القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ص/٤٨٣.

[٤] خمصًا: أي جوعًا.

[٥] أي سمينة.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إلى فَراغِي [1]، وَقَطَّعْتُها في بُرْمَتِها [2]، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ فقالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله ذَبَحْنا بُهَيْمَةً لنا وَطَحَنَّا صاعًا مِنْ شَعِيرٍ كانَ عِنْدَنا، فَتَعالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقالَ: « يا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جابرًا سُورًا [3] فَحَيَّ هَلًا بِهَلّكُمْ [4]»، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: « لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُم، وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُم حَتَّى أَجِيءَ»، فَجِئْتُ وَجاءَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْدُمُ النّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقالَتْ: بِكَ وَبِكَ [5]، قَدْ فَعَلْتُ الَّذي قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إلى بُرْمَتِنا فَبَصَقَ وَبارَكَ، ثُمَّ قالَ: ادْعُ خابزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، واقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلا تُنْزِلُوها، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا [6] وإنَّ بُرْمَتَنا. لَتَغِطُّ كَما هِيَ وإنَّ عَجِينَنا لَيُخْبَزُ كَما هُوَ[7].

لَقدْ جاءتْ هَذِه المُعْجِزَة لِلنَّبيِّﷺ فِي وَقْتِها، فَإنَّ النَّبيَّ ﷺ وَالصحَابَةِ﷢ كَانُوا فِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلَى الطَعَامِ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا مُواصَلَةِ العَمَلِ فِي الحُفَرْ ثُمَّ مُوَاجَهَةِ المُشْرِكِينَ بَعدَ ذَلِكَ، حَيثُ كَانُوا قَدْ أَوْشَكُوا عَلَى الهَلاكِ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ وَعَدمْ وُجُودِ الطَّعَامِ. فَقدْ لَبِثُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لا يَأكُلُونَ و لَا يَذُوقُونَ ذواقًا، حَتّى إنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَرْبطْ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ [8]. وَحَتَّى إِنَّهمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَعَدمْ وَجود شَيْئًا يَأكُلوهُ كَانُوا يَأكُلُونَ الطَّعَامِ المُنْتِنِ الَّذِي تَغَيَّرتْ رَائِحتَه وَلَونَهُ. يَقول أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ﷛ :كانوا يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهالَةٍ سَنِخَةٍ [9] تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ والْقَوْمُ جِياعٌ وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الْحَلْقِ وَلَها رِيحٌ مُنْتِنٌ [10].

ثانيا: إِخْبارَهُ لِعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَهوَ يَعْمَل مَعَهُمْ بِأَمْرٍ غَيْبِي يَتَعَلّق بقَتْلِهِ﷛[11]. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ، حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ «تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ».

---

[1] أي ففرغت من طحن الشعير حين فرغت من ذبح البهيمة.

[2] البرمة: القدر التي تُطبخ فيه.

[3] السُور: كلمة حبشية معناها الضيف.

[4] أي: هلموا مسرعين.

[5] أي: تعاتبه على ما فعل، وأن الطعام لن يكفي هذا العدد.

[6] أي: ذ هبوا.

[7] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب١٠٨/٥، حديث٤١٠٢. صحيح مسلم: كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه إلى دار من يثق برضاه١٦٠٩/٣، حديث٢٠٣٨.

[8] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب١٠٨/٥، حديث٤١٠١.

[9] الإهالة: الدهن أو الزيت أو السمن ونحو ذلك، وسنخة: أي تغير طعمها ولونها من قدمها.

[10] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب١٠٨/٥، حديث٤١٠١.

[11] وكان قتله﷛ في صفين. حديث صحيح: اخرجه مسلم: كتاب الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٢٢٣٥/٤، حديث٢٩١٥.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثاً: قِيامُهُ ﷺ بتَفْتِيتْ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ عَجزَ الصَحَابَة عَنْ كَسْرِهَا: قامَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَخذَ الْمِعْوَلَ، وَوَضَعَ رِدَاءَهُ ناحِيَةَ الْخَنْدَق، وَقالَ: « تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ، وَسَلْمانُ الْفارِسِيُّ قائِمٌ يَنْظُرُ فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُول الله ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، وَقالَ: « تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فَنَدَرَ الثُّلُث الْآخَرُ، فَبَرَقَت بَرْقَةٌ، فَرَآها سَلْمانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، وَقالَ: « تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، فَنَدَرَ[1] الثُّلُثُ الْباقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخَذَ رِداءَهُ وَجَلَسَ، فقالَ سَلْمانُ: يا رَسُولَ الله رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ ما تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلّا كانَتْ مَعَها بَرْقَةٌ؟! قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: « يا سَلْمانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟ »، فَقالَ: إِي والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يا رَسُولَ الله، قالَ: « فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى، رُفِعَتْ لِي مَدائِنُ كِسْرَى وَما حَوْلَها، وَمَدائِنُ كَثِيرَةٌ، حَتَّى رَأَيْتُها بِعَيْنَيَّ»، قالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحابِهِ: يا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَن يَفْتَحَها عَلَيْنا، وَيُغَنِّمَنا دِيارَهُم، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينا بِلادَهُمْ، فَدَعا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، « ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدائِنُ قَيصَرَ وَما حَوْلَها، حَتَّى رَأَيْتُها بِعَيْنَيَّ»، قالُوا: يا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَنْ يَفْتَحَها عَلَينا، وَيُغَنِّمَنا دِيارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينا بِلادَهُمْ، فَدَعا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، « ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدائِنُ الْحَبَشَةِ، وَما حَوْلَها مِنْ الْقُرَى، حَتَّى رَأَيْتُها بِعَينَيَّ»، قالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: « دَعُوا الْحَبَشَةَ ما وَدَعُوكُمْ، واتْرُكُوا التُّرْكَ ما تَرَكُوكُمْ» [2].وَكَانَ جَوابُ الْمُؤمِنِينَ كَمَا حَكَى القُرآن الكَرِيْم قَوْلَهمْ: **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَتَسْلِيماً** [3].

تحركت قوات الأحزاب نحو المدينة:

تَحرَكَتْ قُوَاتِ «الأَحْزاب» نَحوَ المَدِينَةِ، فَنَزَلَتْ قُرَيْش « بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَال» مِنْ رُومَةَ بَيْنَ الْجُرُفِ وَزَغَابَةَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيشِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَتَّى نَزَلُوا « بِذَنَب نَقَمَى » [4] إِلَى جَانِب أُحُدٍ[5]. لَقَدْ أَذْهَلَتهمْ الْمُفَاجَأة، إِذْ لَمْ يَكُنْ بِحسبْانهمْ أَنْ يَتَخِذِ الرَسُوْل ﷺ مِثْلَ هَــذِهِ الخِطّةِ الدِفَاعِيَّة، وَقَالُوا: هَذِهِ الْمَكِيدَةُ، مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَصْنَعُهَا وَلَا تَكِيدُهَا [6].

---

[1] ندر: أي سقط.

[2] حسن: أخرجه الامام أحمد في مسنده ٣٨/ ٢٢٧، والنسائي في سننه: كتاب الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة٦/٤٣، حديث (٣١٧٦) وحسنه الألباني.

[3] سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

[4] مَوضِع من أَعْرَاض الْمَدِينَة.

[5] الدرة الثمينة في أخبار المدينة ١/٧٨.المقريزي:امتاع الاسماع ٣٧٣/٨. سيرة ابن هشام ٢/٢٢٠. السيرة النبوية لابن كثير ١٩٧/٣.وذكر السيوطي أسماء القبائل النجدية التي شاركت في هذا التجمع وهم غطفان وبنو سليم وبنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة. انظر: السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٢٠ نقلا عن الخصائص الكبرى ١/ ٥٦٥.

[6] الواقدي: المغازي ٢/ ٤٧٠.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فَاضْطَرْوا إِلَى النُّزُول خَارِجَ الخَنْدَقِ عَسَى أَنْ يَعْثَروا عَلَى ثَغْرَةٍ يُمْكِنُهمْ النَفَاذ مِنْهَا. أَمَّا المُسْلِمونَ فَقدْ عَسْكَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَفْحِ جبل سَلْعٍ وَجَعَلَ سَلْعًا خَلْفَ ظَهْرِهِ [١]، وَوُجُوهِهِمْ إِلَى الخَنْدَقِ الَّذِي يَفْصِلُ بَينَهُمْ وَبَينَ المُشْرِكِينَ [٢]، وكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مقاتل[٣]، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ[٤].

النبي ﷺ يأمر بوضع ذراري المسلمين في حصن بني حارثة:

ثُمَّ أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ بوضْعِ النساءِ وَالأطْفَال فِي حِصْنِ بَني حَارِثَةَ، وَكَانَ مِنْ احْرَزْ حُصْونِ المَدِينَةِ [٥]، حَتَّى يَكُونُوا فِي مَأمَنٍ مِنْ خَطَرِ الأَعْدَاءِ، وقدْ فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ لأن حِمَايَةِ الذَّرَارِيَ وَالنِّسَاءَ والصِّبْيَانِ لَهَا أَثَر فَعَّال عَلَى مَعْنَويَات المُقَاتِلِين؛ لأَنَّ الجُنْدِي إذَا إطْمَأنَّ عَلَى زَوْجه وَأَبْنَائِه يَكُون مُرْتَاح الْبَالِ هَادِئ الأعْصَاب، فَلاَ يَشْغل تَفْكِيْره أَمْر مِنْ أُمُورِ الحَيَاةِ، يُسَخِّرُ كُلْ إِمْكَانيَاته وَقُدرَاته العَقْلِيَة وَالجَسَدِيَة لِلإِبْدَاعِ فِي القِتَال، أَمَّا إِذَا كَانَ الأَمْر بعَكْسِ ذَلِكَ فَإِنَّ أَمْر الجُنْدِي يَضْطَرِبْ وَمَعْنَوِيَاته تَضْعَفْ وَيَسْتَولِي عَلَيْهِ القَلَقْ، مِمَا يَكُون لَهُ أَثَر فِي تَراجُعِه عَنِ القِتَال؛ وَبِذَلِكَ تَنْزل الكَارِثَة بالجَمِيْع [٦].وَبَقِي الأَطْفَال كُلّهُمْ معَ النسَاءِ.. عَنْ عبد الله بن الزُّبَيْر قالَ: كُنْتُ أَنا وَعُمَرُ بن أبي سَلَمَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ فِي أُطُمِ [٧] حَسّانَ فكانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ [٨]. أَمَّا مَنْ بَلَغَ الْخَامِسَةَ عَشَرَ فَلاَ يُسْمَحْ لَهُ بالبَقاءِ فِي الحُصْنِ مِثْل عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب الَّذِي كَانَ يَتَحرّقْ لِلقِتَال يَوم أُحُد.. لَكِنَ النَّبِيَّ ﷺ رَدَّه.. يَقولُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب رضي الله عنه : (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجزْهُ، وَعَرَضَهُ يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَهُ) [٩]، وَسَمَحَ لَهُ بِالقِتَالِ وَالمُشَارَكَةِ بِالمَعْرَكَةِ.

---

[١] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٦.

[٢] العمري: السيرة النبوية الصحيحة٢/ ٤٢٥.

[٣] المقريزي: امتاع الأسماع ١/٢٢٩. الواقدي: المغازي ٢/٤٥٣.

[٤] ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي ٢/٨٦.

[٥] الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/ ١٣٣، الطبري: تاريخ الامم والملوك ٢/ ٩٥. البيهقي: دلائل النبوة ٣/٤٤١.

[٦] أبو فارس، محمد عبد القادر:غزوة الأحزاب ص٩٨.

[٧] الأُطُم: الحصين، وجمعها آطام.

[٨] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب "فضائل الصحابة" باب مناقب الزبير بن العوام٥/٢١، حديث ٣٧٢٠. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحاح، باب فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما٤/١٨٧٩، حديث ٢٤١٦. وكان عُمْر عبد الله بن الزبير حينها يقرب من خمس سنوات حيث ولد في العام الأوّل من الهجرة.

[٩] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٧، حديث٤٠٩٧.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقسيم الصحابة إلى دوريات للحراسة:

قَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَه إِلَى دَورِيَاتٍ لِحراسَةِ المَدِينَةِ تَطوف فِيهَا عَلَى الدَوَام وَتُظْهِر التَكْبِير لإشْعَار الْمُشْرِكِينَ بوجُودِهِمْ وَاسْتِعْدَادَهُمْ وَيَقَظَتِهِمْ [١]. وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ أَخَذوا يَدُورُونَ حَوْلَ الخَنْدَق غِضَابَاً، يَتحَسَسون نُقْطَةً ضَعْيفَةً؛ لِيَنْحدِرُوا مِنْهَا، وَأَخذَ الْمُسْلِمونَ يَتطَلعونَ إِلَى جَولاتِ الْمُشْرِكينَ، يَرْشُقونَهمْ بِالنَبْلِ، حَتَّى لا يَجْتَرئوا عَلَى الاقْتِرَاب مَنْهُم، وقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ﷺ[٢]، عِنْدَ مُحَاوَلَتِه اقْتِحَامِ الخَنْدَق. وَكَانَتْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَنْصَارِ تَقومُ بِحرَاسَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِ لَيْلَةٍ عَلَى رَأَسِهِم عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ ﷺ [٣]. وَكَانَتْ كَلِمَةُ السِّر الَّتِي يَعْرِفْ بِهَا الْمُؤمِنونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَتَى مَا دُهِمُوا لَيلًا مِنْ قِبَلْ الوَثَنِينَ.. أَو اليَهُود.. قَالَ ﷺ لأَصْحَابِه:(إِنْ بَيَّتَكُمْ الْعَدُوُّ فَقُولُوا: « حم، لَا يُنْصَرُونَ » [٤].

تزايد محاولات المشركين لاقتحام الخندق:

تَزَايَدتْ مُحَاوَلاتِ الْمُشْرِكينَ لاقْتِحَامِ الخَنْدق، وَأَصْبَحتْ خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ تَطُوفُ بِأعْدَادٍ كَبِيرَةٍ كُلَّ لَيْلَةٍ حَوْلَ الخَنْدَق حَتَّى الصَبَاحِ، وَلَكِنهم حَاوَلُوا اقْتِحَامَهُ، فَأَمْطَرَهُمْ الْمُسْلِمونَ بِوابِلٍ مِنَ السِهَامِ فَرَدُوهُمْ.

عَنْ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قالَ: لَمَّا كانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ وَرَجُلٌ يَتَتَرَّسُ جَعَلَ يَقُولُ بِالتُّرْسِ هَكَذا، فَوَضَعَهُ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ يَقُولُ [٥]: هَكَذا يُسَفِّلُهُ بَعْدُ [٦]، قالَ: فَأَهْوَيْتُ إلى كِنانَتِي فَأَخْرَجْتُ مِنْها سَهْمًا مُدَمًّا [٧] فَوَضَعْتُهُ في كَبِدِ الْقَوْسِ، فَلَمّا قالَ هَكَذا يُسَفِّلُ التُّرْسَ، رَمَيْتُ، فَما نَسِيتُ وَقْعَ الْقِدْحِ [٨] عَلَى كَذا وَكَذا مِنْ التُّرْسِ، قالَ: وَسَقَطَ، فَقالَ: بِرِجْلِهِ، فَضَحِكَ نَبِيُّ الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، لِفِعْلِ الرَّجُلِ [٩].

---

[١] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٧.

[٢] حديث حسن: الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ٣٢٦/١. أخرجه الحاكم في المستدرك:٣٤/٣، حديث ٤٣٢٨واسناد هذا المغازي صحيح على شرط الشيخين.

[٣] المقريزي: امتاع الأسماع ٢٣٤/١. الواقدي: المغازي ١٨٣/١.

[٤] صحيح: قال الالباني في سنن الترمذيُّ:١٩٧/٤، حديث (١٦٨٢). اسناده صحيح: قال الارناؤوط في سنن أبي داود:٢٣٨/٤، حديث (٢٥٩٧). وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ١١٧، حديث(٢٥١٢).

[٥] يقول: أي يشير.

[٦] يسفله: أي يترل به لأسفل ليحمي أسفله، فهو يرفعه تارة فوق أنفه ليحمي أعلاه، وتارة لأسفل ليحمي أسفله.

[٧] السهم المدمى: الذي أصابه الدم فحصل في لونه سواد وحمرة مما رمى به العدو، ويطلق على ما تكرر به الرمي، والرماة يتبركون به. (نهاية).

[٨] القدح -بكسر القاف وسكون الدال-: عود السهم.

[٩] صحيح: أخرجه الامام أحمد في مسنده: حديث (١٦٢٠)، وصححه الشيخ أحمد محمد شاكر.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَمْ تَنْقَطِعْ هَجَمَات الْمُشْرِكِينَ عَلَى الخَنْدَق فِي مُحَاوَلاتٍ شَرِسَةٍ لاقْتِحَامِه، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابه لَمْ يَتَمَكنوا مِنْ أَداءِ صَلاةِ العَصْرِ فِي أَحَدِ الأَيَامِ حَتَّى غَرَبَتْ الشَمْس، مِنْ شِدَةِ انْشِغَالِهِمْ فِي صَدِّ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الخَنْدَق.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطّاب رضي الله عنه جاءَ يَوْمَ الخَنْدَق بَعْدَ ما غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَجعَلَ يَسُبُّ كُفّارَ قُرَيْشٍ، قالَ: يا رَسُولَ الله ما كِدْتُ أُصَلِّي الْعَصرَ حَتَّى كادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ، قالَ النَّبي ﷺ: « والله ما صَلَّيْتُهَا»، فَقُمْنا إِلَى بُطْحانَ فَتَوَضَّأَ لِلصلاةِ، وَتَوَضَّأْنا لَها، فَصلَّى الْعَصرَ بَعْدَ ما غَرَبَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ صلَّى بَعْدَها الْمَغْرِبَ [1].

فَقَام النَّبِيُّ ﷺ بِالدُعاءِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

عَنْ عَلِيِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قالَ: لَمّا كانَ يَوْمُ الْأَحزاب، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَلَأَ الله بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نارًا، شَغَلُونا عَنْ الصَّلاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غابَتْ الشَّمْسُ» [2].

صفية تقتل يهودياً من بني قريظة:

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ – قَالَ عُرْوَةُ: وَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: «أَنَا أَوَّلُ امْرَأَةٍ قَتَلَتْ رَجُلًا كُنْتُ فِي فَارِعٍ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَكَانَ حَسَّانُ مَعَنَا فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ حِينَ خَنْدَقَ النَّبِيُّ ﷺ »، قَالَتْ صَفِيَّةُ: « فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مَنْ يهُودَ فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، فَقُلْتُ لِحَسَّانَ: إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ بِالْحِصْنِ كَمَا تَرَى وَلَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَاتِنَا، وَقَدْ شُغِلَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَقُمْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكِ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا ». قَالَتْ صَفِيَّةُ: « فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ وَلَمْ أَرَ عِنْدَهُ شَيْئًا احْتَجَزْتُ[3] وَأَخَذْتُ عَمُودًا مِنَ الْحِصْنِ، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنَ الْحِصْنِ إِلَيْهِ فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْحِصْنِ، فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ، انْزِلْ فَاسْتَلِبْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَسْلُبَهُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حَاجَةٍ [4].

بنو قريظة تفكر في نقض العهد بينها وبين المسلمين:

ظَهَرتْ فُلولُ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ تحزَّبوا لِمُحَارَبَةِ الله وَرسُولِه، وَالصَدِّ عَنْ سَبِيلِ الله.

فَالتَفوا حَولَ المَدِينَةِ وَحَاصَروهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَلمَّا رَأتْ يَهُودَ بَني قُرَيْظَة ذَلِكَ، تَيَقنوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ -بأي حال- لَنْ يَفْلِتوا مِنْ هَذِهِ القُوَّة الهَائِلَة وَأَنَّهُم سَيُقْضَى عَلَيْهِمْ لا مَحَالَة، ففكَّروا في نَقْضِ العَهْدِ الَّذِي بَيْنَهم وَبينَ الْمُسْلِمِينَ،

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت١/١٢٢، حديث ٥٩٦. صحيح مسلم: كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطي هي صلاة العصر ١/٤٣٨، حديث ٦٣١.
و لم تكن صلاة الخوف قد شرعت بعد.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة٤/٤٣، حديث٢٩٣١. صحيح مسلم:كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر ١/٤٣٦، حديث ٦٢٧.

[3] أي شددت وسطي.

[4] أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤/٥٦، حديث ٦٨٦٧.وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمُسَاعَدَةِ الْأَحْزابِ لِلقَضاءِ عَلَيْهِمْ. وَفِعْلاً نَقَضَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة العَهْد، وَأَصْبَحُوا عَلَى اسْتِعْدَاد لِمُعَاوَنَة الْأَحْزابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ [1].

رسول الله ﷺ يستجلي موقف بني قريظة:

كَانَ الْمُسْلِمونَ يَخْشَونَ غَدْرَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة الَّذِينَ يَسْكُنونَ فِي العَوالِي فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ لِلمَدِينَةِ عَلَى وَادِي مَهْزُورٍ، فَكَانَ مَوْقِعهمْ يُمكِنهمْ مِنْ إِيقَاعِ ضَرْبَةٍ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ [2]. فَيَقَعُ الْمُسْلِمونَ حِيْنئذٍ بَينَ نَارينِ، اليَهُودَ خَلْف خُطوطِهِمْ، وَالْأَحْزاب بِأَعْدَادِهِمْ الهَائِلَةِ مِنْ أَمَامِهِمْ.

وَبعدَ أَنْ كَثُرَتْ القَرائِنْ الدَالَةِ عَلَى نَقْضِ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة لِلعَهْدِ، طَلَبَ رَسُولُ الله فَارِساً مِنْ أَصْحَابِه، يَتَطوّعْ لِلذِهَابِ حَيْثُ حِصْنِ بَنِي قُرَيْظَة، كَيْ يُقدِمْ تَقْرِيراً عَنْ آخرِ تَحَرُّكَاتِهِمْ، وَهَلْ بَدَأُوا تَنْفيذِ مُؤامرتِهمْ مَع قُرَيْش وَغَطَفان، هَلْ بَدَأُوا التَحرُك العَسْكَري لِلضَرْب مِنَ الخَلْفِ..

هَبَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رضي الله عنه مُلَبيَاً نداءِ النَّبيِّ ﷺ. حَملَ رُوحَهُ وَسَيْفَهُ وَانْطَلَقَ كَالسَهْمِ نَحوَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة لِيَتأكَدَ مِنْ صِحَةِ هَذَا الخَبَرَ.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْأَحْزاب: « مَنْ يَأتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ »، فَقالَ الزُّبَيْرُ: أَنا، ثُمَّ قالَ: « مَنْ يَأتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ »، فَقالَ الزُّبَيْرُ: أَنا، ثُمَّ قالَ: « لِكُلِّ نَبيٍ حَوارِيٌّ، وإِنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ» [3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيرِ رضي الله عنه، قالَ: كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزاب جُعِلْتُ أَنا وَعُمَرُ بن أبي سَلَمَةَ في النِّساءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذا أَنا بِالزُّبَيرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إلى بني قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَلَمّا رَجَعْتُ، قُلْتُ: يا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَختَلِفُ، قالَ: أَوَ هَلْ رَأَيْتَنِي يَا بنيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ قالَ: « مَنْ يَأتِ بني قُرَيْظَةَ فَيَأتِينِي بِخَبَرِهِم؟ »، فانْطَلَقْتُ، فَلَمّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله أَبَوَيْهِ، فَقالَ: « فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» [4].

لَقدْ أَدّى الزُّبَيرِ عَمَلًا بُطولِياً، وَأَخبرَ النَّبيُّ ﷺ بِأَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَقَضُوا العَهْد وَمَا زَالُوا عَلَى خَيَانَتِهِمْ، ثُمَّ أَرسَلَ النَّبيُّ ﷺ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [5] إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَوَجَداهُمَا قَدْ نَقَضُوا العَهْد وَمَزقُوا الصَحِيفَة، إِلّا بَنِي سَعْفَة مِنْهُمْ [6].

---

[1] الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية ١/ ٢٩٠.

[2] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٢٧.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري:كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١١١، حديث ٤١١٣. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير٤/١٨٧٩، حديث ٢٤١٥.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب "فضائل الصحابة" باب مناقب الزبير بن العوام٥/٢١، حديث ٣٧٢٠. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحاح باب فضائل طلحة والزبير – رضي الله عنهما –٤/١٨٧٩، حديث ٢٤١٦.

[5] المقريزي: امتاع الاسماع ١/٢٣٢.

[6] نضرة النعيم في اخلاق الرسول الكريم ١/٣٢٦.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

استَقْبَلَ النَّبيُّ ﷺ غدْرَ يَهُودَ بَني قُرَيْظَة بالثَباتِ وَالحَزْمِ واسْتِخْدَامِ كُلّ الوَسَائِلِ الَّتِي مِنْ شَأْنهَا أَنْ تُقَوي رُوح المُؤْمِنينَ وَتصدع جبهات المعتدين، فَأَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ فِي الوَقْت نفسه سَلَمَةَ بْنَ أَسْلَمَ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي ثَلَاثِمائَةِ رَجُلٍ يَحْرُسُونَ الْمَدِينَةَ وَيُظْهِرُونَ التَّكْبِيرَ ليرهبوا يَهُودَ بَني قُرَيْظَة [1]، وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاء اسْتَعَدتْ بَنُو قُرَيْظَة لِلمُشَارَكَةِ معَ الْأَحْزاب، فَأَرْسَلتْ إِلَى جُيوشِهَا عِشْرِينَ بَعْيرًا كَانَتْ مُحمَلَةً تَمْرًا، وَشَعْيراً، وَتِيناً لتمدهم بها وتقويهم على البقاء إِلاَّ أَنْهَا أَصْبَحتْ غَنيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ اسْتَطَاعُوا مُصَادَرَتهَا وَأَتوا بهَا إِلَى النَّبيِّ ﷺ [2].

بلوغ القلوب الحناجر:

زَادَتْ جُيُوشِ الْأَحْزاب فِي تَشْدِيد الحِصَارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ انْضِمَامِ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة إِلَيْهَا، واشْتَدَ الكَرْبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَتَأَزم المَوْقِفُ، وقدْ تَحدث القُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ حَالَةِ الحَرجِ وَالتَدَهْورِ الَّتِي أَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ ووصف مَا وَصلَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمون مِنْ جَزَعٍ وَخوفٍ، وَفَزَعٍ فِي تِلْكَ المِحْنَةِ الرَهِيبَةِ أَصْدَق وَصْفٍ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: **(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ)** أي: الْأَحْزاب، **(وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ)** أي: بنو قُرَيْظَة، **(وَإِذْ زَاغتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ)** مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ وَالفزَعِ، **(وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)**[3] الظُّنون السَيئَة، والخَوفْ مِنْ الْمُشْرِكينَ، وَأَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ دِينهُ، **(هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)** [4] بالخَوْفِ وَالجُوعِ والقَلقِ الَّذِي عَاشُوهُ، فَكَانَ هَذَا ابْتِلاء وَاخْتِبَار لِلْمُسْلِمِينَ، لِيَتَبيَنَّ الخَبْيث مِنَ الطيَب. وَحدث مَا أَرَادَهُ اللهُ ﷻ، فَأَمَّا المُؤمِنونَ فَسُرعَانَ مَا تَنَبَهُوا وَظَهرَ إِيْمَانهمْ وَثِقَتهمْ بِاللهِ ﷻ، وَقَالُوا: **(هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ)** مِنَ الابْتِلاءِ وَالامْتِحَانِ الَّذِي يَعْقِبه النَصْر، **(وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)** [5].

انسحاب المنافقون من الجيش:

أَمَّا المُنَافِقُونَ فَقدْ انْسَحَبوا مِنَ الجَيْشِ، وَزَاد خَوفَهمْ حَتّى قَالَ مُعَتّبُ بْنُ قُشَيْرٍ، أَخُو بَنِي عَمْرو بْن عَوْفٍ: كَانَ مُحَمّدٌ يعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَأَحدُنَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ [6]، وَاسْتَأْذَنَ بَعْضُ بَنِي حَارِثَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الذّهَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ [7]، وقَالُوا: بُيوتُنَا مَخْلِيَّةٌ، نَخْشَى عَلَيْهَا السَّرِقَةَ [8]، وَفِي هَذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٧.

[2] السيرة الحلبية ٤٣٢/٢، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٥٦/٣.مرويات غزوة الخندق ٣٢٣/١.

[3] سورة الاحزاب: الآية ١٠.

[4] سورة الاحزاب: الآية ١١.

[5] سورة الاحزاب: الآية ٢٢.

[6] السهيلي: الروض الآنف ٣١٥/٤. المقريزي: امتاع الاسماع ٣٧٣/٨. ابن هشام: السيرة ٥٢٢/١.ابن كثير:السيرة النبوية٢٠١/٣.

[7] ابن القيم: زاد المعاد ٢٤٣/٣.

[8] البيهقي: دلائل النبوة ٤٣٣/٣.



﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ [١] وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [٢].

الرسول ﷺ يشاور السعدان في مصالحة قبيلة غطفان:

تَحْتَ ضَغْطِ الظُروفِ الشَّدِيْدَةِ الَّتِي حَاصَرتْ الْمُسْلِمِينَ فِي نَواحٍ عَديدَةٍ، رَأى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُصَالِح قَبيلَةِ غَطَفَانَ حَتَّى يَنْصَرِفَا بِقَوْمِهِمَا فِي مَقَابِلِ أَنْ يُعْطِيْهِمْ ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ لِتَلكَ السَنَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ بَعَثَ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حصن والحارث بن عوف، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ. فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا وَمَنْ مَعَهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعِ الشَّهَادَةُ، وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ إلَّا الْمُرَاوَضَةُ، وَفِي ذَلِكَ ففعَلَا.

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنْ يفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّه أَمْرٌ تحُبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَوْ شَيْءٌ أَمَرَكَ اللَّه بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ عَمَلٍ بِهِ، أَمْ شَيْءٌ تَصْنَعُهُ لَنَا؟ فَقَالَ ﷺ: لَا بَلْ لَكُمْ، واللَّه مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إلَّا أَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ شَوْكَتَهُمْ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّه قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بالله، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللَّه وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إلَّا قِرًى، أَوْ شِرَاءً فَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّه بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزَّنَا بِكَ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا! مالنا بهذا حاجة. فو الله لَا نُعْطِيهِمْ إلَّا السَّيْفَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَأَنْتَ وَذَاكَ. فَتَنَاوَلَ سَعْدٌ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَاهَا، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا[٣].

ضعف معنويات قوات الأحزاب:

حَيثُ أَنَّ أَهْدَافْ الْمُشَارِكِينَ فِي قُواتِ الْأَحْزابِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَمْ تَكُنْ وَاحِدَةً، فَقدَ نَجَمَ عَنْ طُولِ فَتْرَةِ الحِصَارِ، حُصُول ضِعْفٍ حَادٍّ فِي مَعْنَويَاتِ الْمُشَارِكِينَ فِي الحَرْبِ. وَرُغْمِ ذَلِكَ فَقدْ كَانَتْ خَسَائِرْ الطَرفَينِ مَحْدودَة، اسْتُشْهد

---

[١] قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَوْرَةٌ، أَيْ مُعْوَرَةٌ لِلْعَدُوّ وَضَائِعَةٌ؛ وَجَمْعُهَا: عَوْرَاتٌ قَالَ النّابِغَةُ الذّبْيَانِيّ:

مَتَى تَلْقَهُمْ لَا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً... ولا الجار محروما وَلَا الْأَمْرَ ضَائِعًا. انظر، السهيلي:الروض الآنف٤/٣١٧.

[٢] سورة الأحزاب:الآية رقم ١٢١٣.

[٣] البيهقي: دلائل النبوة ٣/٤٣١. المقريزي: امتاع الاسماع ١/٢٤٠. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ١/٣١٧.ابن هشام: السيرة ٢/٢٢٣.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثَمَانِيَة مِنْ الْمُسْلِمِينَ [١]. وَقُتِل أَرْبَعَةً مِنْ الْمُشْرِكِينَ [٢].

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي كُتُبِ السِّيَرْ وَالمَغَازِي مَرْوِيَات لَا تَثْبُتُ مِنَ النَاحِيَةِ الحَدِيْثِيَةِ عَنْ دَورْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ فِـي تَخْـذِيلِ الأَحْزَابِ وَشَقِ صُفُوفِهِمْ، وإلقَاءِ الشُكوكِ بَينَهمْ، وَخِدَاعِه لَهُمْ وَهيَ عَلَى كُلِّ حَال، لا تَتَنَافَى - إنْ تَأَكَدَ حُصُولَهَا - معَ قَواعِدْ السِّيَاسَة الشَّرْعِيَّة ذلك أَنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ [٣]

شدة تضرع الرسول ﷺ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَثِيرَ التَضرُع وَالدُعَاءِ وَالاسْتِعَانَةِ باللهِ، وَخُصوصَاً فِي مَغَازِيهِ، وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ الكَرْبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَكْثَر مِمَّا سَبَق حَتَّى بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا اسْتَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي دُعَائِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ والْأَحْزاب.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قال: دَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقالَ: « اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتابِ، سَرِيعَ الْحِسابِ، اللهـمَّ اهْزِمْ الْأَحْزابَ، اللهمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ» [٤].

فَاسْتَجابَ اللَّهُﷻ دُعاءَ نَبِيِّهِ ﷺ عَلَيهِمْ، فَأُرْسِلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا شديدًا فخَلَعَتْ خِيامُهُمْ، وكَفَأَتْ قُدُورَهُمْ، وأَطْفَأَتِ نِيرَانِهِمْ، وَأَرْسَلَ الْمَلَائِكَةَ فَزَلَزَلَتهمْ وَأَلْقَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبِ وَالخَوفَ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [٥].

فَلَمْ تَتحَمل الْأَحْزاب جُنُود اللهِ ﷻ، وَلَمْ يَسْتَطِيعوا مُوَاجَهَتَها، فَأَسْرَعُوا بِالتَجَهُزِ لِلرَحِيلِ.

---

[١] من روآية ابن إسحاق (ابن هشام- السيرة ٣/ ٢٥٣) معلّقا، الواقدي- المغازي ٢/ ٤٩٥- ٤٩٦، وقد ذكرا الأسماء والانتماء والعدد، وانظر: ابن سعد- الطبقات ٢/ ٧٠. وَأَنَسُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَمِ بْنِ زَعُوراءَ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، رَمَاهُ بِسَهْمٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ الْأَشْهَلِيّ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بنى عويف فقتله.وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ: الطّفَيْلُ بْنُ النّعْمَانِ. قَتَلَهُ وَحْشِيّ، وَكَانَ وَحْشِيّ يَقُولُ:

أَكْرَمَ اللهُ بِحَرْبَتِي حَمْزَةَ وَالطّفَيْلَ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ غَنَمَةَ بْنِ عَدِيّ بْنِ نَابِي، قَتَلَهُ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِيّ. وَمِنْ بَنِي دِينَارٍ: كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ، وَكَانَ قَدْ أُرْتُثّ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ فَصَحّ حَتّى قُتِلَ فِي الْخَنْدَقِ، قَتَلَهُ ضِرَارُ بْنُ الْخَطّابِ.

[٢] ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٤، ابن سعد: الطبقات ٢/ ٦٨، وانظر: الطبري: تاريخ ٣/ ٤٨. ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٤، ابن سعد: الطبقات ٢/ ٦٨، وانظر: الطبري: تاريخ ٣/ ٤٨.

[٣] ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٩- ٢٣٠، الواقدي: المغازي ٢/ ٤٨١- ٢، ابن كثير: البداية ٤/ ١١٣.

[٤] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة٤/٤٤، حديث ٢٩٣٣. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو٣/١٣٦٢، حديث ١٧٤٢.

[٥] سورة الاحزاب: الآية ٩.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسول الله ﷺ يأمر حذيفة بتحري انصراف الأحزاب:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُتابِعُ أَمْرَ الْأَحْزاب، وَأَحبَّ أَنْ يَتحرى عَمَّا حَدثَ عَنْ قُربْ فَقالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَــوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيامَةِ؟ [1]. فَاسْتَعْمَلَ ﷺ أُسْلوب التَرْغِيبْ، وَكَررهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَعِنْدَمَا لَمْ يُجْدِ هَذَا الأُسْــلُوب لَجَأَ إِلَى أُسْلُوبِ الْجَزْمِ والْحَزْمُ فِي الأَمْرِ، فَعَيَنَ وَاحدًا بِنَفْسِهِ فَقالَ: « قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ » [2].

وَيُحَدِثُنا حُذَيْفَة نَفْسَهُ عَنِ الْمُهِمَةِ الَّتِي كُلِفَ بِهَا: فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قالَ: « اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلا تَذْعَرْهُم عَلَيَّ» [3]، فَلَمّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّما أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[4] حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبا سُفْيانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بالنَّارِ [5]، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: « وَلا تَذْعَرْهُم عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمّامِ، فَلَمّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ [6]، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَباءَةٍ كانَتْ عَلَيهِ يُصَلِّي فِيها، فَلَم أَزَلْ نائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمّا أَصْبَحْتُ قالَ: « قُمْ يا نَوْمانُ! » [7] وَفِي رِوايَة: قَالَ حُذَيْفَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عُصْبَةٌ تُوقِدُ النَّارَ قَدْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ الَّذِي صَبَّ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْجُو مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُو [8].وَبِذَلِكَ تَفَرَقَتْ جُموعُ الْأَحْزاب وَهَزَمَهمْ اللهُ ﷻ وَحْدَهُ: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [9]. وَانْفكَ الحِصَارْ الَّذِي دَامَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً [10]، بِفَضْلٍ مِنَ اللهِ ﷻ. وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: « لا إِلَهَ إِلّا الله وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ، فَلا شَيءَ بَعْدَهُ» [11].

---

[1] مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (٣/ ١٤١٤) رقم ١٧٨٨.

[2] مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب رقم ١٧٨٨.

[3] لا تذعرهم عليَّ: أي لا تُهيجهم عليَّ.

[4] أمشي في حمام: في جوٍّ دافئ.

[5] أي: يدفئه ويدنيه منها.

[6] أي: شعرتُ بالبرد، أي أنه لما ذهب لقضاء مهمته التي أرسله النبي ﷺ من أجلها لم يشعر بالبرد بل شعر بدفءٍ تام، ولم يشعر بالريح الشديدة كبقية القوم، فلما قضى مهمته، عاد إليه البرد الذي يجده الناس.

قال النوويّ -رحمه الله-: وهذه من معجزات النبي ﷺاه "شرح مسلم" ١٢/ ١٤٦.

[7] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب٣/١٤١٤، حديث ١٧٨٨.

[8] الهيثمي: كشف الأستار عن زوائد البزار٢/٣٣٥٣٣٦.

[9] سورة الاحزاب: الآية ٢٥.

[10] ذكر ذلك ابن سعد في "الطبقات" ٢/ ٧٣ بإسناد رجاله ثقات إلى سعيد بن المسيب مرسلًا، ومراسيله قوية.

[11] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١١١، حديث ٤١١٤.

صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع٤/٢٠٨٩، حديث ٢٧٢٤.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَقَدْ بَذلت قُرَيْش وَمَنْ حَالَفها أَقْصَى طَاقَاتَهُمْ مِنْ أَجْلِ القَضَاءِ عَلَى الدَعْوَةِ الإسْلامِيَّةِ وَاستِئْصَالِ شَأفَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى رَدَّهُمْ خَائِبِينَ. وَقَدْ تَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الفَشَلْ آثَار خَطِيرَةٍ تَمَثَلَتْ فِي تَغَيرْ مِيزَانِ القُوى لِصَالِح الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ الرَسُول ﷺ بقَوْلِه: « الْآنَ نَغْزُوهُم، وَلا يَغْزُونَنا نَحْنُ نَسيرُ إِلَيْهِمْ" [1].

إِنَّ مَعْرَكَةِ الْأَحْزابِ لَمْ تَكُنْ مَعْرَكَة خَسَائِر، وَإِنَمّا هِيَ مَعْرَكَة عَقِيدَة وَإِيْمَانْ، فَقَتْلَى الفَرِيقَين مِنَ الْمُؤمِنينَّ وَالكُفَار يُعَدُّونَ عَلَى الأَصَابِعْ، وَمَعَ هَذِه الْحَقِيقَةِ فَهِيَ مِنْ أَهمِ المَعَارِكْ فِي تَارِيخِ الإِسْلامِ فَلَقدْ كَانتْ اِبْتِلاءً كَامِلاً وَامْتِحَانَاً دَقِيقَاً وَتَمْيِيزاً بَينَ الْمُؤمِنينَ وَالْمُنَافِقينَ، فَلقَدْ اشْتَرَكَ الجَمِيع فِي الشُعورِ بِالكَرْب، وَلَمْ يَخْتَلِفْ الشُعورِ مِنْ قَلْبٍ إلى قلب، وَإِنَما الَّذِي اخْتَلَف هُوَ اِسْتِجَابَة تِلْكَ القُلوب وظَنّهَا بِاللَّهِ، وَسُلوكِهَا فِي الشِدَّةِ، وَيَقِينَها بِالنَصْرِ، وَاطْمِئنَانِهَا وَقْت الزِلْزال.

لَقَدْ كَانَتْ فِي الشَكلْ وَالمَظْهَر، غَزْوَة قُرَشِيَّةٌ غَطَفَانِيّةٌ، إِلَّا أَنَّهَا فِي أَهْدَافِهَا البَعْيدَةِ وَمَرامِيهَا العَمْيقَة هِيَ غَزْوَة يَهُودِيَّة لَحْمَاً وَدَمَاً، فَاليَدْ الحَقْيقِية الَّتِي تَكْمُن وَرَاء هَذِه الحَمْلَة الْمُخِيفَة الْمُوَجهَة لِإبَادَةِ الْمُسْلِمِينَ إبَادَةً كَامِلَةً هِيَ يَدٌ يَهُودِيَّة.

نتائج غزوة الأحزاب:

لَقدْ كَانتْ غَزْوَة الْأَحْزابِ مِنَ الغَزَواتِ الهَامَّةِ الَّتِي خَاضَهَا الْمُسْلِمونَ ضِدَّ أَعْدَائِهِمْ وَحَقَقوا فَيهَا نَتَائجَ مُهِمة مِنْهَّا:

١-انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَانْهِزَامِ أَعْدَائِهِمْ، وَتَفَرُقِهِمْ، وَرُجُوعِهِمْ مَدْحُورِينَ بِغَيظِهِمْ قَدْ خَابَتْ أَمَانِيهِمْ وَآمَالَهُمْ.

٢- تَغَيرْ المَوقِفْ لِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، فَانْقَلَبُوا مِنْ مَوقِفْ الدِفَاعِ إِلَى الهُجومِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: « الْآنَ نَغْزُوهُم، وَلا يَغْزُونَنا نَحْنُ نَسيرُ إِلَيْهِمْ ».

٣- كَشَفتْ هَذِهِ الغَزْوَة يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة وَحِقْدِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَرَبُصْ الدَوَائِر بِهِمْ، فَقدْ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ معَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحْلَكِ الظُروفِ وَأَصْعَبَهَا.

٤- كَشَفتْ غَزْوَة الْأَحْزابِ حَقْيقَة صِدْقِ إِيْمَانِ الْمُسْلِمِينَ وَحَقيقَة الْمُنَافِقينَ وَحَقيقَة يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة، فَكَانَ الابْتِلاءِ بِغَزْوَةِ الْأَحْزابِ تَمْحِيصَاً لِلْمُسْلِمِينَ وَإِظْهَارِ حَقيقَة الْمُنَافِقينَ وَاليَهودِ.

٥-كَانَتْ غَزْوة بَنِي قُرَيْظَة نَتِيجَة مِنْ نَتَائِجِ غَزْوَة الْأَحْزابِ، حَيْثُ تَمَّ فِيْهَا مُحَاسَبَةِ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة الَّذِينَ نَقَضُوا العَهْدَ معَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحْلَكِ الظُروفِ وَأَقْسَاهَا [2].

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١١٠، حديث ٤١١٠.

[2] آل عابد، محمد بكر: حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ ٢/٤٤٢.



المبحث الثاني
المستفاد من أحداث غزوة الأحزاب

المستفاد من وعد الله ونصره في يوم الخندق:

أن المؤمن لا تزيده الكروب والشدائد إلا إيماناً ويقيناً، فهذا رسول الله ﷺ في هذا الظرف القاسي والشديد، والصحابة في حصار وجوع، وخوف شديد يضرب الصخرة، ويبشرهم بكنوز كسرى، ودخول المدائن، وفتح اليمن، الله أكبر! إن زراعة الأمل في مثل هذا الظرف ليدل على مدى ثقة رسول الله ﷺ بوعد الله ونصره ورباطة الجأش والطمأنينة الكبيرة، قال تعالى: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا [1].

المستفاد من تكالب الكفار على المسلمين في غزوة الأحزاب

الكفر كله ملة واحدة، والخيانة والغدر من طبع وخلق اليهود، هذا ما أظهرته بوضوح غزوة الأحزاب، فقد تكالب الكفر على المسلمين، واتفق واتحد كفار قريش واليهود ضد الإسلام، وقاد أبو سفيان أضخمَ جيش شهدته جزيرة العرب، للقضاء على الإسلام والمسلمين، إضافة إلى العدو الداخلي من يهود بني قريظة، الذين نقضوا العهد وانضموا إلى قريش، فجاء الكفر جملة واحدة كما وصفهم الرسول ﷺ: (إن العرب قد كالبتكم (اشتدوا عليكم) ورمتكم عن قوس واحدة)..

فاليهود وضعوا أيديهم في يد المشركين رغم اختلاف عقائدهم ومناهجهم، ووافق المشركون على هذا التحالف، فالكفر كله ملة واحدة، والأمثلة في التاريخ وواقعنا المعاصر على ذلك أكثر من أن تحصى، وعلى المسلمين أن يفقهوا ذلك جيدا، وليس أدل على ذلك من اتحاد اليهود والنصارى في حرب المسلمين مع شدة كراهية اليهود للنصارى، وشدة كراهية النصارى لليهود، قال الله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ [2]، ومع ذلك فعند حرب الإسلام تذوب هذه الفوارق والعداوات، وتبقى الرغبة المشتركة في محاولة هدم الإسلام والقضاء على أهله، قال الله تعالى: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [3]، وقال: وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا [4].

---

[1] سورة الأحزاب، الآية ٢٢.

[2] سورة البقرة، الآية رقم ١١٣.

[3] سورة البقرة، الآية رقم ١٢٠.

[4] سورة البقرة، الآية رقم ٢١٧.



الدروس التي استفاد منها الصحابة في غزوة الأحزاب:

من خلال غزوة الأحزاب تعلم الصحابة التفاؤل والأمل، فبالرغم من كل تلك الظروف العصيبة الشديدة التي أحاطت بالمسلمين، من حصار جماعي من مختلف قبائل العرب واليهود، وبجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل، ومن جوع وخوف، وشدة برد، ومعاناة شديدة في حفر الخندق، لم ييأس المسلمون، و لم يفقدوا ثقتهم بوعد الله ونصره، بل ازدادوا إيمانا ويقينا، قال الله تعالى: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا [1].

فكان ﷺ يعدهم ويبشرهم بفتح الشام وفارس واليمن رغم ما هم فيه من شدة وألم، فعن البراء بن عازب قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول ثم قال: باسم الله، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا) ففي أحلك المواقف وأشدها كان النبي ﷺ يربي أصحابه على الثقة واليقين بموعود الله، وعلى التفاؤل والأمل، وعدم اليأس والاستكانة للكافرين، وهذا درس هام من دروس غزوة الأحزاب..

ولقد حرص الرسول ﷺ في هذه الغزوة وغيرها من غزوات، على أن يؤكد لصحابته وللمسلمين من بعدهم، أن النصر من عند الله وحده، فالأحزاب التي تجاوزت عشرة آلاف مقاتل، لم تُهزم بالقتال من المسلمين رغم تضحياتهم، و لم تُهزم بعبقرية المواجهة ودقة التخطيط، وإنما هُزمت بالله وحده، وما يسرَّه الله من أسباب وسخره من جنود، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [2].

فإذا أراد الله نصر المؤمنين، فلا ضرر عليهم إذا خذلتهم الدنيا بأسرها، أو تحالف عليهم الكفر وأهله، قال الله تعالى: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [3].

ومن ثم أكد النبي ﷺهذا المعنى، فقال: (.. لا إله إلا الله، أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده..)، وبذلك يعلمنا رسول الله ﷺ أن المسلم حينما تصيبه شدة أو كربة فإنه يلجأ أولا إلى الله، ويستعين بالله، فالفرج منه، والنصر من عنده سبحانه..

---

[1] سورة الأحزاب، الآية ٢٢.

[2] سورة الأحزاب، الآية ٩.

[3] سورة ال عمران، الآية ١٦٠.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من مسألة الدعاء في غزوة الأحزاب:

الدعاء سلاح هام في أيدي المسلمين، فالأسباب إذا كانت قليلة يعوضها ويَفضل عليها التضرع إلي الله، والتوكل علي الله، قال الله تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [1]، وقال: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [2]، وهذا لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب البشرية للنصر، فقد تعامل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة مع سنة الأخذ بالأسباب، فبذل جهده لتفريق الأحزاب، وفك الحصار، والحفر، وغير ذلك..، إلا أنه ﷺ يعلمنا سنة الأخذ بالأسباب، مع ضرورة الالتجاء إلى الله، وأهمية الدعاء، وطلب النصر من الله..

المستفاد من حديث القرآن عن المنافقين:

المنافقون أصحاب مصالح واهواء ليس لهم قرار واضح ولا قاعدة ثابتة تراهم مع المؤمنين تارة ومع الكافرين تارات رسل فساد وأصل كل بلية وهزيمة، قال تعالى: الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [3].ولاء المنافقين للكافرين، ولو عاشوا بين ظهراني المسلمين، وقلوبهم مع أعداء الدين، وإن كانوا بألسنتهم وأجسامهم وعدادهم في المسلمين، يخشون الدوائر فيسارعون للولاء والمودة للكافرين، ويسيئون الظن بأمتهم فيرتمون في أحضان أعدائهم ويزعمون إبقاء أياد عند الكافرين تحسباً لظفرهم بالمسلمين، قال تعالى: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ [4]، المنافقون هم الأعداء الحقيقيون للمسلمين وهم الذين خططوا لأعظم نكبات المسلمين، هم رسل الفساد وعقارب النفاق ، قال تعالى: هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [5].

ولقد تكفل القرآن الكريم بتصوير ذلك أدق التصوير فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل، والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم، وهم آمنون من أن يلومهم أحد؛ وفرصةً للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا [6].

ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل عصر ومصر، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم المنافقين هؤلاء؛ فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان!

---

[1] سورة غافر، الآية ٦٠.

[2] سورة الطلاق، الآية ٣.

[3] سورة النساء: الآية ١٤١.

[4] سورة المائدة: الآية ٥٢.

[5] سورة المنافقون: الآية ٤.

[6] سورة الأحزاب، الآية ١٢.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا [1]، فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف، والعودة إلى بيوتهم وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ يستأذنون بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو. متروكة بلا حماية، وهنا يكشف القرآن عن الحقيقة، ويجردهم من العذر والحجة: وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ويضبطهم متلبسين بالكذب والاحتيال والجبن والفرار: إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً.

وهؤلاء المنافقون من أنشط الناس عند الفتن وأكثرهم استعداداً لنقض العهود مما يوضح وهَنَ العقيدة، وخَوَرَ القلوب، والاستعدادَ للانسلاخ من الإسلام غير مبقين على شيء، ولا متحملين لشيء: وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا [2] ذلك كان شأنهم، والأعداء بعدُ خارجَ المدينة؛ ولم تقتحم عليهم بعد، فأما لو وقع واقتحمت عليهم المدينة من أطرافها.. ثم سئلوا الفتنة وطلبت إليهم الردة عن دينهم لآتوها سراعاً غير متلبثين، ولا مترددين إلا قليلا من الوقت. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا [3].

ثم يبين لهم سبحانه أن الفرار لا يدفع أمر الله ولا يطيل العمر قال تعالى: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [4].

ويرسم القرآن للمنافقين صورة تثير الاحتقار لهم، صورة للجبن والانزواء، والفزع والهلع. (في ساعة الشدة). والانتفاشِ وسلاطة اللسان (عند الرخاء). والشحِ على الخير والضن ببذل أي جهد فيه. والجزع والاضطراب (عند توهم الخطر من بعيد).

قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا [5].

مثيرة للسخرية تلك الصورة المنافقين بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن: فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ خرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، وانتفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء، ماشاء لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال.

أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا لقد نافق أقوام بسبب إرجافهم وتخذيلهم ونعى القرآنُ عليهم ذلك فكيف لو ناصروا قريشاً وأحلافها.... إنها الردة ولو كان صاحبها متعلقاً بأستار الكعبة.

---

[1] سورة الأحزاب: الآية ١٣.

[2] سورة الأحزاب: الآية ١٤.

[3] سورة الأحزاب: الآية ١٥.

[4] سورة الأحزاب: الآية ١٦١٧.

[5] سورة الأحزاب: الآيتان ١٨ ٢٠.



المستفاد من الأدب الحماسي في المعركة:

إذا أردنا أن نؤسس جيشًا، ونبني أُمةً، – وقد قال الله تعالى: " وأعدوا " – فإن من تمام الإعدادِ تربيةَ الجنود على الأدب الإسلامي الجهادي، والشعر العربي الحماسي، وأناشيد الشجاعة، ومقالات الإباء، وقصص البطولة.. و"حرض المؤمنين "!.

وفي هذه الغزوة، وقد بدأ الحصار، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتتطايرت الظنون والشكوك، وساحت الأضاليل والأباطيل – نرى الرسول القائد يثّبت جنده ويربط على قلوبهم ويشد على أيديهم مستخدمًا في ذلك القصيدة الحماسية والطرفة الظريفة، والترنيمة اللطيفة.

ومثل هذا أيضًا، يدلل على قدرة الرسول القائد في الجمع بين الجد والترويح عن النفس، لاسيما في كربة الحرب وشدة الضنك.. هذا، وإنشاد الأناشيد والأشعار الجهادية في ثنايا المحن دائمًا تحقق عدة فوائد، أهمها:

(١) الترويح عن الجنود..

(٢) إلهاب مشاعر المسلمين بشكل إيجابي نحو العقيدة.

(٣) تقوية الصلة بين الجنود وقاداتهم، فضلاً عن الجنود وبعضهم.

المستفاد من مشاورة النبي محمد ﷺلأصحابه يوم الخندق:

إن الشورى ثمرة ناضجة من ثمرات الإسلام، نراها – أي الشورى – ماثلة حية في أحداث السيرة في ظلال النبوة وتحت قبة الوحي وبين يدي الرسول الصادق المصدوق، لتتوكد فريضة الشورى- تلك الفريضة الغائبة المجهولة – في نفوس المسلمين، حكامًا ومحكومين، ولنعرف أن جو الاستبداد ضَيِّقٌ لا يتسع، وهَمٌ لا ينفرج، والجور والعسف لا يصنع عقولاً إنما يصنع أقفية.

ورُفعت إلى حضرة النبي ﷺ التقريرات الاستخباراتية، التي تفيد بتحرك جيوش التحالف صوب المدينة، فاسْتَشَارَ الصّحَابَةَ، ما العمل؟ وهو النبي المصطفى الذي يتترل الوحي عليه من السماء.. فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خَنْدَقٍ يَحُولُ بَيْنَ الْعَدُوّ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، وهي حيلة دفاعية يستخدمها الفرس، والحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أحق الناس بها

وطفق الناس يهتفون بسلمان، افتخارًا به، وسرورًا بفكرته، فقال المهاجرون: سَلْمَانُ مِنّا؛ وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: سَلْمَانُ مِنّا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سَلْمَانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ [١].

وهو الرد المعهود من القيادة الإسلامية التي شرعت في تكريم أصحاب الإبتكارات وأصحاب الإختراعات.

لقد نال سلمان هذه المرتبة الشرفية، واستحق هذا الوسام النبوي الرفيع؛ لأنه أعمل عقله في خدمة الإسلام، واخترع وابتكر، وأبدع ما ينفع المسلمين، وفكر، وفكر، وفكر، و لم ينخذل و لم يتضعضع، فكان من زمرة آل البيت الأماجد.

---

[١] ابن هشام: السيرة النبوية ١/٧٠.



وانظر.. كيف تهيج العقول وتستوي على سوقها، فتَنتج وتبدع في جو الشورى، وبيئةِ الحوار بين الراعي والرعية، وتُربةِ التفاهم بين القائد وجنده! هذه هي سمة البيئة الشورية في المجتمعات؛ بيئة جاذبة للعقول، تحتضن أصحاب المواهب والأفكار. وليست بيئة طاردة للعقول قاتلة للفهوم.

المستفاد من خبر قتل صفية يهودياً من بني قريظة:

يستفاد من خبر قتل صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ يهوديًا من بني قريظة أراد أن يستطلع وضع الحصن الذي فيه نساء المسلمين وأطفالهم و لم تجد فيه من يدافع عنها، دليل للمرأة في الدفاع عن نفسها إن لم تجد من يدافع عنها [1].

المستفاد من استشارة رسول الله ﷺ للسعدان:

وفي استشارة رسول الله ﷺ للصحابة يبين لنا أسلوبه في القيادة، وحرصه على فرض الشورى في كل أمر عسكري يتصل بالجماعة، فالأمر شورى ولا ينفرد به فرد حتى ولو كان هذا الفرد رسول الله ﷺ ، ما دام الأمر في دائرة الاجتهاد و لم يترل به وحي [2].

إن موقف الصحابة من هذا الصلح يحمل في طياته ثلاثة معانٍ:

أ- أنه يؤكد شجاعة المسلمين الأدبية في إبداء الرأي، والمشورة في أي أمر يخص الجماعة، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ب- أنه يكشف عن جوهر المسلمين وعن حقيقة اتصالهم بالله ورسوله وبالإسلام.

ج- أنه يبين ما تمتلئ به الروح المعنوية لدى المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجة بالصبر، والرغبة القوية في قهر العدو، مهما كثر عدده وعتاده أو تعدد حلفاؤه [3].

د الحكمة في استشاراته ﷺ في هذا الصلح لكي يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه على الرغم من ذلك الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة، إلى جانب خذلان بني قريظة للمسلمين ونقض مواثيقهم معهم.

وأما الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة، فهي محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ إن مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله، وأفعاله التي قام بها، ثم لم يرد اعتراض عليها من الله في كتابة العزيز.

وفي قبول الرسول ﷺ رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين جنده

---

[1] زيدان، عبد الكريم:المستفاد من قصص القرآن٢/٢٤٦.

[2] الصلابي: السيرة النبوية ٣/٣٣٦.

[3] الرشيد، محمد: القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، ص٤١٤. الصلابي: السيرة النبوية ٣/٣٣٦.



رباط الثقة، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره، ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه، ومصالحة النبيﷺ مع قائدي غطفان تعد من باب السياسة الشرعية التي تراعي فيها المصالح والمفاسد حسب ما تراه القيادة الرشيدة للأمة[1].

وليس في هذه الاستشارة دليل على جواز دفع المسلمين الجزية إلى أعدائهم. أما إذ ألجئوا إلى اقتطاع جزء من أموالهم فعليهم التربص بأعدائهم لاسترداد حقهم المسلوب.

المستفاد من أخذ الرسول بخطة الخندق:

لقد كانت خطة الرسول ﷺ في الخندق متطورة، ومتقدمة، حيث شرع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، و لم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم، بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريبًا عنهم، وبهذا يكون الرسول ﷺ هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة لأعداء الإسلام، وأبطل خطتهم التي رسموها، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرية الخطة وسرعة إنجازها، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشتيت قواهم.

المستفاد من استعمال رسول الله ﷺ اسلوب الترغيب والترهيب عندما أمر حذيفة بتحري انصراف الأحزاب:

استعمل الرسول ﷺ أسلوب الترغيب، وكرره ثلاث مرات، وعندما لم يُجْدِ هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم في الأمر، فعين واحدًا بنفسه فقال: «قم يا حذيفة فائتنا بخبر القوم، ولا تذعرهم عليَّ» [2].

وفي هذا معنى تربوي وهو أن القيادة الناجحة هي التي توجه جنودها إلى أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع، ولا تلجأ إلى الأمر والحزم إلا عند الضرورة [3].

المستفاد من قصة حذيفة بن اليمان:

ويؤخذ من قصة حذيفة دروس وعبر منها:

١ - معرفة رسول الله ﷺ بمعادن الرجال، حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمة التجسس على الأحزاب، وأن معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلا من كان ذا شجاعة نادرة، وهو بالإضافة إلى ذلك لبق ذكي خفيف الحركة، سريع التخلص من المآزق الحرجة.

٢ - الانضباط العسكري الذي يتحلى به حذيفة: لقد مرت فرصة سانحة يقتل فيها قائد الأحزاب وهمَّ بذلك، ولكنه ذكر أمر الرسول ﷺ ألا يذعرهم، وأن مهمته الإتيان بخبرهم، فترع سهمه من قوسه [1].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (٣/ ١٤١٤) رقم ١٧٨٨.

[3] الصلابي: السيرة النبوية٣/٣٤٠.



٣ - كرامات الأولياء: إن ما حدث لحذيفة بن اليمان عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح، وإذا به لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنما يمشي في حمام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتى عاد إلى معسكر المسلمين؛ لا شك هذه كرامة يمنُّ الله بها على عباده المؤمنين [٢].

٤ - وتستوقفنا سرعة البديهة لدى الصحابي الكريم، وقد دخل في القوم، كما في رواية الزرقاني، وقال أبو سفيان: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، قال حذيفة: فضربت بيدي على يد الذي على يميني فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص [٣]. وهكذا بدرهم بالمسألة حتى لا يتيح لهم فرصة ليسألوه، وبهذا تخلص من هذا المأزق الحرج الذي ربما كان أودى بحياته [٤].

المستفاد من دور المرأة المسلمة في الغزوة:

ظهر دور المرأة المسلمة في مشاركة المسلمين في جهادهم، فعندما اشتغل المسلمون بحفر الخندق تركوا أعمالهم، وبعدت عنهم أرزاقهم، وقل عنهم القوت، وأصاب الناس جوع وحرمان حتى كان رسول الله ﷺ والمسلمون معه يشدون على بطونهم الحجارة من شدة الجوع، فكانت المرأة المسلمة تعين المسلمين بإعداد ما قدرت عليه من الطعام [٥].

جواز تأخير الصلاة لعذر القتال:

قال ﷺ: «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» [٦]. وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الحديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، كما هو منصوص عليه، وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث، وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي [٧].

---

(١) الغضبان: فقه السيرة النبوية، ص٥٠٥، أبو فارس، محمد عبد القادر:السيرة النبوية، ص٣٦٧.

(٢) أبو فارس، محمد عبد القادر:السيرة النبوية، ص٣٦٧.

(٣) الزرقاني، محمد بن عبد الباقي: شرح المواهب اللدنية، دار المعرفة، بيروت ج٢، ص١٢٠.

(٤) الشامي، صالح أحمد: من معين السيرة، ص٢٩٣.

(٥) كركر، عصمة الدين: المرأة في العهد النبوي، ص١٧٥.

(٦) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق٥/١١٠، حديث ٤١١١.

(٧) حوى، سعيد: الأساس في السنة ٦٨٢/٢.



مشروعية قضاء الفائتة:

لقد فاتت النبي ﷺ صلاة العصر كما رأيت في هذه الموقعة، لشدة انشغاله، حتى صلاها قضاء بعدما غربت الشمس. وفي روايات أخرى غير الصحيحين أن الذي فاته أكثر من صلاة واحدة، صلاها تباعًا بعدما خرج وقتها وفرغ لأدائها، وهذا يدل على مشروعية قضاء الفائتة [1].

[1] البوطي: فقه السيرة، ص٢٢٣.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس

موقف الرسول ﷺ من يهود المدينة

تمهيد:

كَانَ يَسْكن فِي المَدِينَةِ وَضواحِيهَا وَفِي أَطْرَافِهَا يَهْود بَنِي قَيْنُقَاعٍ وَيَهْود بَنِي النَّضِيرِ وَيَهْود بَنِـي قُرَيْظَـةَ. وَهَـذِهِ المَجْموعَاتِ اليَهْودِيَة مِنْ أَوَائِل قَبَائِل الْيَهُود فِي المَدِينَةِ، وَقدْ وَادعَهمْ الرَسُولُ ﷺ بعدَ قُدومِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَان مِـنْ بُنودِ مُعَاهَدَتِه أَو مُوَادعَتِه مَعَهُمْ أَنْ لا يُعينُوا عَلَيْهِ أَحداً، وأَنَّهُ إِنْ دَهَمهُ عَدُّو نَصَروهُ، وَأَنْ يَكون بَيْنَهُمْ سَلامٌ لا عَدَاء، وَلَكِنَ اليَهْود نَقَضُّوا مُعَاهَدَتَهمْ مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَامُوا بِأعْمَالِ عَدَائِيَة ضِدَّ الْمُسْلِمينَ وَتَحَرُشَاتٍ بهمْ لا تَتَفِق وَبُنُود الْمُعَاهَدَة مَعَهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَاً لِغَزْوِهِمْ فِي حُصونِهم وَإِخْرَاجِهمْ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَتْل بَعْضِهِم، وَنَذْكُر فِيْمَا يَلِـي مَـا جَرَى بَينَ الرَسُولِ ﷺ وَبَين هَؤُلاء الْيَهُود فِي ثَلاثِ أَبْحَاثٍ مُتَتَالِيَة ثُمَّ نَخْتِم هَذَا الفَصْل بِمَبْحَثٍ رَابعٍ لِبَيَان الْمُسْـتَفَاد مِنْ ذَلِكَ، وَهُمْ عَلَى التَوَالِي:

المَبْحَثْ الأَوَّل: غَزْوَةَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ.

المَبْحَثْ الثَّاني: غَزْوَةَ بَنِي النَّضِير.

المَبْحَثْ الثَالِث: غَزْوَةَ بَنِي قُرَيْظَةَ.

المَبْحَثْ الرَّابع: الْمُسْتَفَاد مِنْ مَوقِف الرَسُولِ ﷺ مِنْ يَهُود الْمَدِينَةِ .




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

غزوة بني قينقاع

أسبابها:

وقعت غَزْوَةَ بَني قَيْنُقَاعٍ يَوْمَ السَّبْتِ (١٥شَوَال ٥٢ /١٠نيسان ٦٢٣م) بَعْدَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ [١]؛ إذْ لَمْ يَلْتَزِمْ يَهْود بَني قَيْنُقَاعٍ بالمُعَاهَدَة الَّتي أَبْرَمَهَا الرَسُولُ ﷺ مَعهُمْ، وَلَمْ يوفُوا بالتِزَامَاتِهمْ الَّتي حَدَدتْهَا، وَوَقَفُوا مِنَ الرَسُول ﷺ وَالمُسْلِمينَ مَوَاقِفَ عَدَائِيَة، فَأَظْهَروا الغَضَبْ وَالحَسَدْ عِنْدَمَا انْتَصر الْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ، وَجَاهَرُوا بعَدَاوَتِهمْ لِلمُسْلِمينَ [٢] ، وَقدْ جَمعهم النَّبيُّ ﷺ فِي سُوقِهِمْ بالْمَدِينَةِ وَنَصَحهمْ، وَدَعَاهُمْ إلَى الإسْلام، وَحَذَرهُمْ أَنْ يُصِيبَهمْ مَا أَصَابَ قُرَيْشاً فِي بَدْرٍ [٣] ، غَيرَ أَنَّهُمْ وَاجَهُوا النَّبيّ ﷺ بالتَحديّ وَالتَهْديد رَغْم مَا يَفْتَرِض أَنْ يَلْتَزمُوا به مِنَ الطَاعَةِ وَالْمُتَابَعَةِ لِبُنُود الْمُعَاهَدَة الَّتي جَعَلَتهُمْ تَحْتَ رِئَاسَتِه، فَقدْ جَابَهُوُه بقَوْلِهم: « يَا مُحَمَّدُ ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا [٤].وَتُعدْ هَذِه الغَزْوَة أول صِدَامْ عَسْكَرِي بَينَ الْمُسْلِمينَ وَالْيَهُودِ.

أخذ بَني قَيْنُقَاعٍ يتحينون الفرصة السانحة لمصادمة المسلمين، حتى جاءهم فرصتهم الحقيرة الدنيئة عندما قَدِمَتْ امرأة مسلمة بجَلَب [٥] لَهَا، فَبَاعَتْهُ بسُوق بَني قَيْنُقَاعَ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ بهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمِدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفِ ثَوْبهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا، فَضَحِكُوا بهَا، فَصَاحَتْ. فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوه، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَني قَيْنُقَاعَ[٦].

---

[١] كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ. رواه الحاكم في المستدرك ٢/٥٢٥، حديث(٣٧٩٧).وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

[٢] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٣٢. ابن هشام: السيرة ١/ ٥٥٢ ٥٥٣.

[٣] عن ابن عباسٍ، قال: لما أصابَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قريشاً يومَ بدرٍ وقدم المدينة جمعَ اليهودَ في سوق بني قَيْنُقَاع، فقال: "يا معشرَ يهودَ، أسلِموا قَبلَ أن يُصيبَكُم مثلُ ما أصابَ قُريشاً" قالوا: يا محمدُ، لا يَغُرَّنَّكَ من نفسك أنك قتلتَ نَفراً من قريش كانوا أغْماراً لا يعرفون القتالَ، إنك لو قاتلْتَنا لعرَفْتَ أنا نحن الناس، وأنك لم تَلْقَ مثلنا، فأنزلَ اللهُ في ذلك: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ} قرأ مُصَرِّفٌ إلى قوله {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} (سورة آل عمران: ١٣). انظر: سنن ابي داؤد ٤/٦١٦، حديث (٣٠٠١).

[٤] وردت عن طريق ابن إسحاق، انظر: ابن هشام: السيرة ١/٥٥٢.

[٥] الجلب: كل ما يجلب إلى السوق ليباع فيها.

[٦] ابن هشام: السيرة ٢/ ٤٨.



وَهَكَذا تَحدَّى بَنُو قَيْنُقَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَاحَةً، سَوَاءٌ فِي أَقْوَالِهِم وَحَرْبِهِمْ النَفْسِيَّة، أَو فِي مَوَاقِفِهِمْ وَتَصَـــرُفَاتِهِمْ المُعَادِيَة، وَنَبَذُوا العَهْدَ بَيْنَهم وَبَينَهُ، فَحُقَّ عَلَيهِ أَنْ يُحَارِبَهم.

حصار النبيﷺ والمسلمين بني قينقاع:

حِينَ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بهَذَا الحَادِث سَارَ إِلَيْهِمْ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَار، وَكَانَ الَّذِي حَمَلَ لِوَاءُ الْمُسْلِمِينَ يَومَئِذٍ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَة أَبَا لَبَابَة بن عبد الْمُنْذر العمـــري [١]، وَحِينَ سَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَبذَ إِلَيْهِمْ العَهْدَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** [٢]. وَحِينَ عَلِمَ اليَهْود بمَقْدِمِهِ ﷺ تَحَصَّنُوا فِي حُصُونِهِمْ، فَحَاصَرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ فِـي حِصْنِهِمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً أَشَدّ الْحِصَارِ حَتّى قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ الرّعْبَ وَاضْطَرّوا لِلنُزول عَلَى حُكْمِهِ ﷺ، فقَــدْ فَاجَأَهُمْ ﷺ بأسْلُوبِ الحِصَارِ، فَأَرْبَكَهُمْ وَأَوقَعَهمْ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهم بَعْدَ أَنْ قَطَعَ عَنْهم كُلَّ مَدَد وَجمدَ حَرَكَتـــهُمْ، فَعَاشُوا فِي سِجْنٍ مِمَا جَعَلَهُم فِي النِهَايَة يَيْأسُون مِنْ الْمُقَاوَمَة وَالصبْر، فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا يُهَدِدونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِـــأَنهم قَومٌ يَختَلِفُونَ بَأساً وَشِدَّة عَنْ مُشْرِكِي قُرَيْش، إِذَا بِهِمْ يَضْطَرُونَ لِلنُزُولِ عَلَى حُكْمِ رَسُول اللَّهِ ﷺ [٣]، فَـــأَمَرَ بِهِـــمْ فَرُبِطُوا فكَانُوا يُكَتّفُونَ كِتَافًا، وَاسْتَعْمَلَ رسول الله ﷺ عَلَى كِتَافِهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ قُدَامَةَ السَّلَمِيَّ الأوسي [٤].

ما فعله ﷺببني قينقاع:

أَمرَﷺ بفرزِ أَمْوَالَهُمْ الَّتِي صَارَتْ غَنِيمَةً لِلمُسْلِمِينَ حَيْثُ خَمَسَّهَا النَّبِيُّ ﷺ وَوزعَ البَاقِي عَلَى الْمُقَاتِلِينَ أَمَّا الرجَال فَقدْ طَلبَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي ابْنُ سَلُولَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمُّنَ عَلَيْهِمْ؛ لأنهُمْ حُلَفَاؤُهُ، فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺإِلى طَلَبه وَأَمرَ بِإِجْلَائِهِمْ من الْمَدِينَةِ والذي تولى إجْلَائِهِمْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فلحقوا بأَذْرِعَاتِ الشَّام. وكان عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ حَلِيْفاً لِبَنِي قَيْنُقَاعٍ فَلَمَا صَدرَ مِنْهُمْ مَا صَدرَ تَبرأ مِنْ حِلْفِهِمْ وَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْي أَبْرَأ إِلَى اللهِ مِنْ حِلْفِ يَهْود وَوَلائِهِمْ، وَلا أُوَالِي إِلاّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَقَالَ عَبْدِ اللهِ بْن أَبِي: أَما أَنا فَلا أَبْرَأ مِنْ وَلاءِ يَهْود، فِإِنْي لا بُدَّ لِي مِنْهُمْ، إِنْي رَجُل أَخَاف الدَوَائِر [٥]، وَلَقدْ أَنْزلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُوَالاةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي ابْنُ سَلُولَ لِلْيَهُودِ، وَبَرَاءَة عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مِنْهُم قُرآناً، فَقَال تَعَالَى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ**

---

[١] تفسير الطبري ١١/ ٢٣٨.

[٢] سورة الأنفال، الآية ٥٨.

[٣] أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود١/١٤٤.

[٤] الشقاري، عبد الله: اليهود في السنة المطهرة١/٢٨٠. تفاصيل حصارهم وإجلائهم ثابتة في المصادر بروايات صحيحة. صحيح البخاري: ٥/ ٨٨ (حديث ٤٠٢٨). صحيح مسلم:٣/ ١٣٨٧حديث ١٧٦٦. ابن هشام: السيرة ٢/ ٤٩.

[٥] المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٢٠٣.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ [1].

وَهَكَذا خَرج بَني قَيْنُقَاعٍ مِنَ الْمَدِينَةِ صَاغِرِينَ قَدْ أَلقَوا سِلاحَهُمْ وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ غَنِيمَةً لِلمُسْلِمينَ، وَهُمْ كَانُوا مِــنْ أَشْجَعْ يَهْود الْمَدِينَةِ، وَأَشَدَّهُمْ بَأسَاً، وَأَكْثَرَهُمْ عَدَداً وعِدَةً؛ وَلِذَلكَ لاذَتْ القَبَائِل الْيَهُودِية بِالصَمْت وَالْهُدوءِ فَتْرَةً مِنَ الزَمَنِ بَعْدَ هَذَا العِقَابَ الرَادِع، وَسَيْطَر الرُعْبُ عَلَى قُلوبِهمْ وَخَضَدت شَوْكَتَهَا [2].

---

[1] سورة المائدة، الآيتان ٥١- ٥٢.

[2] أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود١/١٤٩.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

غزوة بني النضير

اسبابها:

ذُعِرَ الْيَهُودُ في الْمَدِينَةِ عَلَى أَثَرِ إجْلاء بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَلَكِنَّ الهَزِيمَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِالْمُسْلِمينَ فِي أُحُدٍ، وَالكَارِثَة الَّتِي أَصَابَتْ أَصْحَاب الرَجِيعِ وَبِئْرِ مَعُونَةَ؛ أَزَالَتْ الهَلَع مِنْ قُلوبِهِمْ، وَأَحْيَتْ لَدَيْهِمْ الأَمَلَ بِالقَضَاءِ عَلَى الدَوْلَةِ الإِسْلامِيَة، وَشَارَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُنَافقونَ فِي ذَلِكَ، فَعَادُوا إِلَى أَسَالِيبِ الدَّسِ وَالخِدَاعِ، وَشَرَعُوا فِي تَخْزِينِ السّلاحِ وَالعَتَاد فِي حُصُونِهِمْ تَمْهِيداً لِلانْقِضَاضِ عَلَى الْمُسْلِمينَ وَدَولَتِهِمْ، ثُمَّ قَرَروا القَضَاء عَلَى الرَسُول ﷺ بالقَتْلِ، فِي مُحَاوَلَتَينِ الأَوْلَى مُحَاوَلَةِ يَهُود بَنِي النَّضِيرِ لِقَتْلِ النَّبيِّ ﷺ، بَعْدَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى بِمُواطَأَةٍ وَدَعْمٍ مِنْ قُرَيْش لاسْتِدْرَاجِ النَّبيِّ ﷺ وَقَتْلِه غِيلَة بِالخَنَاجرِ مِنْ قِبَلِ ثَلاثَةٍ مِنْ أَحْبَارِهِمْ [1]. وَالثَّانِيَة مُحَاوَلَة يَهْود بَنِي النَّضِيرِ فِي أَعْقَابِ مَأسَاةِ سرِيَّة الرَّجيعِ، وَإِقْدَام عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ عَلَى قَتْلِ رَجُلَين مُعَاهِدين خطَأً، فَقَدْ اسْتَعَانَ النَّبيُّ ﷺبِيَهُودِ مِنْ أَجْلِ جَمعِ الدِيَّةِ، وَقَدْ هَمَّ اليَهْود بقَتْلِه غِيلَة بِإلقَاءِ حَجرٌ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى جِدارٍ لَهُمْ، فَأَعْلَمَهُ الوَحِي بِذَلِكَ فَانْصَرفَ عَنْهُمْ بِسُرْعَةٍ رَاجعاً إِلَى الْمَدِينَةِ [2]، فَكَانَ ذَلِكَ نعْمَةً عَظِيمَةً مِنَ اللهِ بهَا عَلَى نَبِيهِ وَأُمَتِه، أَنْ يَكْشِفَ لِنَبِيهِ الْكَرِيمِ هَذِه الْمُؤامَرَةَ الدَنْيئَة، وَيُحبِط تَخْطِيطَهُمْ وَيُخَيِّب فَأَلَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**[3].

إنذار بني النضير بالجلاء وحصارهم:

نَزَلَتْ سُورَةُ الحَشْرِ فِي بَنِي النَّضِيرِ وَفِي ذَلِكَ يَقُول عَزَّ وَجَلّ: **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ** [4].

---

[1] نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم ٣١٦/١.

[2] امتاع الاسماع ١٨٨/١. إنارة الدجى في مغازي خير الورى٣٢٩/١، الاغصان الندية شرح الخلاصة البهية ٢٦٤/١. السهيلي: الروض الآنف ٣٦٨/٤. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٠٧/١.

[3] سورة المائدة: الآية ١١.

[4] سورة الحشر: الآية ٢.

لقد سجلت معظم كتب السيرة النبوية خبر إنذار النبي ﷺ لبني النضير بالجلاء خلال عشرة أيام دون أسانيد، كما سجلت موقف المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول وتحريضهم لليهود على التمرد وعدم الجلاء ووعدهم بالنصر بروايات ضعيفة لا تصلح


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَمَّا عَنِ الحِصَار فَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ حَاصَرهُمْ وَطَالَبَهُمْ بِأَنْ يُعَاهِدُوهُ كَشَرطْ لِتَأمِينهمْ فَقَالَ ﷺ لَهُمْ: « إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ"، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ هو والمسلمون، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بالخيل والْكَتَائِب، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الإِبلْ إِلَّا الْحَلْقَة – السِّلَاح – فَجَاءَتْ بَنُو النَضْير وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ، وَأَبْوَاب بُيُوتِهِمْ، وَخَشَبهَا، فَكَانُوا يُخْرِبُونَ بُيُوتِهِمْ فَيَهْدِمُونَهَا، فَيَحْمِلُونَ مَا وافَقَهُمْ مِنْ خَشَبهَا»[1].

وَقدْ ثَبتَ بَنصِّ القُرْآنِ الْكَرِيمِ [2] وَالحَدِيْثِ النَّبَوِيِّ الشَرِيفِ [3] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمرَ بِتَحْرِيق وَقَطْع بَعْضِ نَخْلِ بَنِي النَّضِيرِ خِلالِ الحِصَارِ، قَالَ تَعَالَى: **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** [4].

وَقدْ خَرجَ يَهُود بَنِي النَّضِيرِ إِلَى خَيْبَر، وَمِنْهِم مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ [5]، وَقدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ اثْنَان وَلِذَلِكَ فَإِنَهُمَا أَحْرَزَا أَمْوَالَهُمَا [6]. أَمَا بَاقِي أَمْوَالَهِمْ وَبَسَاتِينِهِمْ فَكَانَتْ نَفْلاً لِلرَسُول ﷺ [7]، كَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقة سَنَة، وَيَجْعلْ الفَاضِل عِدَّة فِي سَبِيلِ اللهِ [1]. أَمَّا أَرْضُهمْ فَقدْ قَسَّمَها بَينَ الْمُهَاجرينَ خَاصَّةً، وَأَعْطَى اثْنَين مِنَ الأَنْصَارِ لِفقْرِهِمَا [2].

للاحتجاج بها. الواقدي: مغازي ١/ ٣٦٣- ٣٧٠، ابن هشام:السيرة ١/ ٥٦٣. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٢٩. البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ١٨٣. ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٧٠.ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٥٣٤.

[1] الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٥٨- ٣٦١.

[2] سورة الحشر: الآية ٥.

[3] صحيح البخاري: ١٤٧/٦، حديث (٤٨٨٢). صحيح البخاري: ١٤٧/٦، حديث (٤٨٨٤).

[4] سورة الحشر: الآية ٥.

[5] عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٥٨- ٣٦١ بإسناد صحيح. ابن هشام: السيرة ٢/ ١٩١، برواية ابن إسحاق معلّقا.

[6] وهما يامين بن عمر بن كعب، وأبو سعد بن وهب، انظر: ابن هشام: السيرة ٢/ ١٩٢.

[7] عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ قَالَ نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- إِلَى سَعْدٍ فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- لِلأَنْصَارِ « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ – أَوْ خَيْرِكُمْ ». ثُمَّ قَالَ « إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ ». قَالَ تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِى ذُرِّيَّتَهُمْ. قَالَ فَقَالَ النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم- « قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ – وَرُبَّمَا قَالَ – قَضَيْتَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ ». وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ الْمُثَنَّى وَرُبَّمَا قَالَ « قَضَيْتَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ ».صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨٨، حديث(١٧٦٨)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِقَةِ. رَمَاهُ فِى الأَكْحَلِ فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- خَيْمَةً فِى الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاَحَ فَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ وَضَعْتَ السِّلاَحَ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- « فَأَيْنَ ». فَأَشَارَ إِلَى بَنِى قُرَيْظَةَ فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- فَرَدَّ


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَمْ يَتَوَقَفْ حِقْد يَهْود بَنِي النَّضِيرِ وَكَيْدِهِمْ لِلإسلام بِإجْلائِهِمْ وَتَخْلِيصِ الْمَدِينَةِ وَمَا حَولَهَا مِنْ شُرُورِهِمْ، فَقَدْ ثَبتَ أَنَّهمْ سَاهَمُوا فِي التَحْرِيضِ عَلَى تَجْمِيعِ الأَحْزابِ فِي مُوَاجَهَةِ الإِسْلامِ وَالكَيْدِ لَهُ فَكَانَتْ غَزْوَة الخَنْدَقْ [3].

رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ قَالَ فَإِنِّى أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. صحيح مسلم: ٣/ ١٣٩٠، حديث (١٧٦٩).

[1] عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةَ سَنَتِهِ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ. صحيح البخاري: بَاب قَوْلُهُ { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ }١٤٧/٦، (حديث ٤٨٨٥).

[2] حدَّثنا محمدُ بن داودَ بنِ سفيانَ، حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ، أخبرنا معمرٌ، عن الزهريِّ، عن عبدِ الرحمن بن كعب بن مالكٍ عن رجل من أصحاب النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلم -: أن كفارَ قريشٍ كتبُوا إلى ابن أُبَيٍّ ومَن كان معه يعبُد الأوثانَ من الأوسِ والخزرجِ، ورسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - يومئذٍ بالمدينة قبلَ وقعةِ بدرٍ: إنكم آوَيتُم صاحبَنا، وإنا نُقسم بالله لَتُقاتِلُنَّهُ أو لَتُخرِجُنَّهُ أو لنَسيرَنَّ إليكم بأجمَعِنا حتى نقتلَ مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغَ ذلك عبدَ الله بن أبيّ ومَن كان معه من عَبَدةِ الأوثانِ، اجتمعوا لقتالِ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلم -، فلما بلغ ذلك النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلم - لقيهم فقال: "لَقدْ بَلغَ وعيدُ قُريشٍ منكم المَبَالغ، ما كانت تكِيدُكم بأكْثرَ مِمَّا تريدُون أن تكيدُوا بِهِ أنفُسَكم، تريدُون أن تُقاتلوا أبنَاءَكم وإخوانَكم" فلما سمعُوا ذلك من النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلم - تفرَّقوا، فبلغ ذلك كفارَ قريشٍ، فكتبت كفارُ قريشٍ بعد وقعةِ بدرٍ إلى اليهود: إنكم أهلُ الحَلْقَةِ والحُصُونِ، وإنكم لَتُقاتِلُنَّ صاحبَنا أو لَنَفْعلَنَّ كذا وكذا، ولا يحولُ بيننا وبين خَدَمِ نسائكم شيء -وهي الخلاخيل- فلما بلغَ كتابُهم النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلم - أجْمعَتْ بنو النَّضير بالغَدْرِ: فأرسَلُوا إلى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم -: اخرُج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حَبْراً، حتى نلتقي بمكان الْمَنصَف فيسمعوا منك، فإن صدَّقُوك وآمنوا بك آمنّا بك، فقصَّ خبرهم، فلما كان الغَدُ غدا عليهم رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - بالكتائبِ فحَصَرهم، فقال لهم: "إنكم واللهِ لا تأمَنُون عِندي إلا بعَهْدٍ تُعَاهِدوني عليه) فأبَوا أن يعطُوه عهداً، فقاتَلَهم يومَهم ذلك، ثم غدا الغدَ على بني قُريظةَ بالكتائبِ، وتَرك بني النَّضيرِ، ودعاهم إلى أن يعاهِدوه، فعاهَدوه: فانصرف عنهم، وغدا على بني النضيرِ بالكتائبِ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجَلاَءِ، فجَلَتْ بنو النضيرِ واحتَمَلُوا ما أقَلَّتِ الإبلُ من أمتعتِهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكان نخلُ بني النضير لِرسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - خاصةً، أعطاه الله إياها وخَصَّه بها، فقال: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} [الحشر: ٦] يقول: بغيرِ قتالٍ، فأعطى النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - أكثرَها للمهاجرين، وقَسَمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجةٍ، لم يقسِم لأحدٍ من الأنصارِ غيرِهما، وبقي منها صدقةُ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - التي في أيدي بني فاطمةَ رضي الله عنها. اسناده صحيح: رواه ابو داؤد في سننه: ٦١٨/٤، حديث(٣٠٠٤).

[3] يرد ذكر مقتل سلام بن أبي الحقيق في غزوة خيبر لأنه حرّض الأحزاب. وقد أورد ابن هشام في السيرة أسماء اليهود الذين ساهموا في ذلك التحريض، بإسناد منقطع، وانظر: الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٦٨- ٣٧٣.

المبحث الثالث

غزوة بني قريظة

سبب هذه الغزوة:

كَانَ نَقْض بَني قُرَيْظَةَ لِوَثيقةِ العَهْدِ الَّتِي أَبْرَمُوها معَ الرَسُول ﷺ عِنْدَ حِصَارِ قُوَاتِ الأَحْزَاب للْمَدينَةِ في غَزْوَةَ الخندق وَإِصْرَارِهمْ عَلَى خِيَانَةِ اللهِ وَرسولِهِ ﷺ وَالْمُسْلِمينَ، وَتَعْرِيْضِهِمْ أَمنْ وَسَلامَةِ الْمُسْلِمينَ وَدَولَتِهمْ لِلخَطَرِ، الْسَبَبْ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ، فَقَدْ أَمرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبيهُ ﷺ بِقِتَالِهِمْ بَعْدَ انْسِحابِ الأحْزَاب وَانْتِهاءِ الحِصَار وَالخَطَر وَعَودَتِهِ بالْمُسْلِمينَ مِنَ الخَنْدَقِ وَوَضعهِمْ السِّلاح [1].

النبي ﷺ يأمر أصحابه بالتوجه إلى ديار بني قريظة:

وَقدْ وَقعتْ الغَزْوَة فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَة ٥ ه [2]. حَيْثُ أَمرَ النَّبيُّ ﷺ أَصْحَابه بالتَوجهِ إِلَى دِيَار بَني قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرتِهِمْ، وَبِأنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِيُزَلزِلَ حُصُونهمْ وَيُلْقِي فِي قُلُوبهِمُ الرُّعْب [3]، وَطَلَبَ إِليهِمْ: «أَلَّا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » [4]. كَمَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْسِه إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ واسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ [5]، وَبَعثَ عَلِيّاً عَلَى الْمُقدمَة برَايَتِه [6].

---

[1] عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ فَإِلَى أَيْنَ قَالَ هَا هُنَا وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ بَاب مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ. صحيح البخاري: بَاب مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ ١١١/٥، حديث (٤١١٧).

[2] البيهقي: دلائل النبوة ٤٦٩/٥. المقريزي: امتاع الاسماع ٢٤٤/١. ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ١٠٨.

[3] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. صحيح البخاري: بَاب مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ ١١١/٥، حديث (٤١١٨).

[4] صحيح البخاري: ابواب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، ١٥/٢، حديث (٩٤٦).

[5] ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٣٤. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣١٤/١. المقريزي: امتاع الاسماع ٢٤٤/١. الدرر في اختصار المغازي والسير ١٧٨/١.

[6] ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٣٤. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٤١٣. المقريزي: امتاع الاسماع ٢٤٥/١. الدرر في اختصار المغازي والسير ١٧٨/١.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَكَانَ عَدَدْ جَيْش المُسْلِمينَ ثَلاثَةَ آلافِ رَجُلٍ مَعَهُمْ سِتَّةٌ وَثَلاثُونَ فَرَسًا [1]. وَاخْتَلَفَتْ المَصَادِرَ فِي تَحْدِيدِ مُدَّةِ حِصَارِ بَنِي قُرَيْظَة، وَأَقْوَى الأَدِلَة تُبين أَنَّهُ كَانَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً [2].

بنو قريظة يستشيرون أبا لبابة:

أَرَادَ بَنِي قُرَيْظَةَ، بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ الحِصَار، أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَشَارُوا الصَحَابِيَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَ حَلِيْفاً لَهُمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ ذَلِكَ يَعْنِي ذَبْحهم [3].

حكم سعد بن معاذ في بني قريظة:

ونزل يَهُود بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ أَمَلاً فِي أَنْ يَرْأَفَ بهِمْ بِسبب الحِلْف القَدْيمْ بَيْنَهُمْ وَبَين الْأَوْسِ. وَقَدْ قَضَى سَعْدٌ فِيهِمْ أَنْ « تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ » [4]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « قَضَيْتَ بِحُكْمِ الله » [5].

وَقَدْ نَفذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُكْمِ الله فِيهِمْ، وَكَانُوا أَرْبَعمِائَة مُقَاتِلٍ [6]. وَلَمْ يَقْتِلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلّا امْرَأَةً وَاحِدَةً كَانتْ قَدْ قَتَلتْ أَحدْ الصَحَابَة حِينَ أَلْقَتْ عَلَيْهِ رَحَى مِنْ أَعْلَى الْحِصْنِ، أَمَا الْغِلْمَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلغُوا الحُلُمْ فَقَدْ أُطْلِقَ سَرَاحَهمْ [7]. ثُمَّ شَرعَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَقْسِيمِ أَمْوَالُهُمْ وَذَرَارِيُّهُمْ بَينَ الْمُسْلِمينَ [8]. وَإِلَى ذَلِكَ يُشْيرُ القُرْآن الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَموالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً** [1].

---

[1] ابن سعد: الطبقات ٣/ ٧٤. ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ١٠٨ دون إسناد.

[2] ابن حزم: جوامع السيرة، ص ١٩٣. المقريزي: امتاع الاسماع١/٢٤٤.

[3] وقد ندم أبو لبابة على ذلك وربط نفسه إلى إحدى سواري المسجد النبوي حتى قبلت توبته. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣١٥/١.

[4] رواه احمد في مسنده: ٢٦/٤٢، حديث (٢٥٠٩٧). وحسنه الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة ١٤٣/١، حديث ٦٧.

[5] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، ١١٢/٥، حديث (٤١٢١).

[6] فصل ابن حجر في فتح الباري: ٧/ ٤١٤ في اختلاف المرويات بشأن عددهم والتي تراوحت بين ٤٠٠- ٩٠٠ وقد نجا ثلاثة منهم اعتنقوا الإسلام، كما نجا بنو سعفه منهم بسبب التزامهم بالعهد في غزوة الخندق.

[7] نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم ١/ ٣٢٩. ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٤٢.

[8] حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيْرِكُمْ فَقَالَ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ فَقَالَ تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ قَالَ قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ

المبحث الرابع

المستفاد من موقف الرسول ﷺ من يهود المدينة

ستر وجه المرأة:

ذكرنا أن سبب غزوة بني قينقاع هو محاولة اليهود إجبار المرأة المسلمة على كشف وجهها؛ وذلك عندما دخلت سوقهم من اجل بيع بضاعة جلبتها معها، ويدل ذلك على أن الحجاب الذي شرعه الإسلام للمرأة يشمل الوجه أيضاً، ومن الأدلة على وجوب ستر المرأة وجهها وبقية جسمها عن الرجال الأجانب، ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في باب ما يلبس المحرم من الثياب.

قالت: «لا تلثّم- أي المرأة- ولا تتبرقع ولا تلبس ثوبا بورس ولا زعفران». ومثله ما رواه مالك في الموطأ عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين» . فما معنى نهي المرأة عن أن تتبرقع أو تنتقب أثناء الإحرام بالحج، ولماذا كان هذا النهي خاصا بالمرأة دون الرجل؟ لا شك أن النهي فرع عما كانت تفعله المرأة المسلمة إذ ذاك من الانتقاب وإسدال البرقع على وجهها، فاقتضى الحكم استثناء ذلك في الحج.

ومنه ما رواه مسلم وغيره من حديث فاطمة بنت قيس أنها لما طلقها زوجها، فبت طلاقها، أمرها رسول الله ﷺ أن تعتدّ في بيت أم شريك، ثم أرسل إليها أن بيت أم شريك يغشاه أصحابي (أي أصحاب الرسول ﷺ)، فاعتدي في بيت ابن عمك ابن أم مكتوم، فإنه ضرير البصر وإنك إذا وضعت خمارك لم يرك.

أما من حيث الدليل على حرمة نظر الرجل إلى ذلك منها، فقد وردت بذلك أحاديث كثيرة أيضا.

فمن ذلك ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن بريرة قالت: قال رسول الله ﷺ لعلي:

وَرُبَّمَا قَالَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ. صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، ٥/١١٢، حديث (٤١٢١).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٧.



«يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة»، ومن ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس أن النّبي ﷺ أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه- وفيه قصة المرأة الخثعمية الوضيئة- فطفق الفضل ينظر إليها، فأخذ النّبي ﷺ بذقن الفضل فحوّل وجهه عن النظر إليها.

فأنت ترى أنه قد اجتمع في هذه الأحاديث نهيان: نهي المرأة عن كشف وجهها أو شيء مما سواه أمام الأجانب، ونهي الرجل عن النظر إلى ذلك منها. وفي ذلك دلالة وافية متكاملة على أن وجه المرأة عورة في حق الأجانب عنها إلا في حالات خاصة مستثناة كضرورة التطبب والتعلم والشهادة ونحو ذلك.

على أن من أئمة المذاهب من ذهب إلى أن الوجه والكفين من المرأة ليسا بعورة، فلا يجب سترهما وحملوا ما سبق من الأحاديث الدالة على خلاف ذلك على الندب دون الوجوب، غير أن الجميع اتفقوا على أنه لا يجوز النظر إلى شيء من جسم المرأة بشهوة، وعلى أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها إذا عمّ الفسق وأصبح أكثر الذين ينظرون إليها فسّاقا يتأملونها بنظرات محرمة[1].

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة بني النضير:

أ- الرعب جند من جند الله: قال تعالى: **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**[2].

أحاط يهود بني النضير بجميع الأسباب المادية التي كانت متوفرة لهم، مثل: القوة، والمنعة في حصونهم، وحسبوا لكل شيء حسابه، لكن الهزيمة جاءتهم من مكان اطمأنوا إليه وهو أنفسهم، فإذا الرعب[3] يأتي من داخلهم، وإذا بهم ينهارون في أسرع لحظة، لذلك يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسببات، فهو القادر على كل شيء، فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ويصلحوا أمرهم، فإذا اتبعوا أمر الله أصلح الله لهم كل شيء، وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا، وأقرب شاهد واقعي لذلك هو إجلاء بني النضير، وهي عبرة فليُعتبر بها، والسعيد من اعتبر بغيره[4].

ب- **يجوز إتلاف الشجر لضرورة الحرب:** لما نزل رسول الله ﷺ بجيشه وحاصر بني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه،

---

[1] البوطي: فقه السيرة، ص ١٦٩.

[2] سورة الحشر: الآيتان ٢- ٤.

[3] الرعب: هو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه.

[4] آل عابد، محمد بكر: حديث القرآن عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم١/٢٧١.



فما بال قطع النخل وتحريقها؟[1] فأنزل الله عز وجل: **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** [2]، والواضح أن الأصل هو عدم قطع الشجر وعدم تخريب البناء؛ لأن الهدف من الحرب ليس إيذاء الرعية، ولكن دفع أذى الراعي الظالم. أما إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء توجبه ضرورة حربية لا مناص منها كأن يستتر العدو به ويتخذه وسيلة لإيذاء جيش المؤمنين، فإنه لا مناص من قطع الأشجار وهدم البناء كما فعل النبي ﷺ. [3].

ج- حكم الفيء: بيَّن سبحانه وتعالى حكم الأموال التي أخذها المسلمون من بني النضير بعد أن تم إجلاؤهم، فقال تعالى: **وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** [4].

وبيَّن سبحانه وتعالى أن الأموال التي عادت إلى المسلمين من بني النضير قد تفضل بها عليهم بدون قتال، فلم يركضوا عليه خيلاً، و لم يُسرعوا إليه ركباً، فحكمه ليس كحكم الغنيمة التي أعطاهم الله أربعة أخماسها، واستبقى خمسها لله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كما حكم الله في غنائم بدر، وإنما حُكم هذا الفيء كله لله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، يتصرف الرسول به في هذه الوجوه [5].

إن الحكمة من هذا التوزيع للفيء كي لا يكون تداول المال محصورًا فيما بين طبقة الأغنياء فقط. إن سياسة الشريعة الإسلامية في شؤون المال، قائمة في جملتها على تحقيق هذا المبدأ، وهي تبغي من ورائه إقامة مجتمع عادل تتقارب فيه طبقات الناس وفئاتهم ويقضى فيه على أسباب الثغرات التي قد تظهر فيما بينها، والتي قد تؤثر على سير العدالة وتطبيقها.

د جبن اليهود: يصف الله تعالى اليهود والمنافقين بالجبن، فهم لايقدرون على مقاتلتكم إلا كائنين بالخنادق والدروب، فهم يتسترون وراء تحصيناتهم، وتحسبهم مجتمعين وقلوبهم متفرقة لا ألفة بينها، قال تعالى: **لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ** [6].

ه فضل المهاجرين والمهاجرين: بينت الآيات الكريمة في سورة الحشر فضل المهاجرين على غيرهم، فهم لهم الدرجة الأولى، فقد اشتملت الآيات على أوصافهم الجميلة، وشهد الله لهم بالصدق، قال تعالى: **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** [7]، كما أوضحت الآيات فضل الأنصار، وقد وصفهم الله بهذه الصفات، قال تعالى: **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ**

---

[1] تفسير الطبري٢٢/٥١٠.

[2] سورة الحشر: الآية ٥.

[3] أبو زهرة، الشيخ محمد: خاتم النبيين ﷺ ٢/٢٦٩.

[4] سورة الحشر: الآية ٦.

[5] طقوش: السيرة النبوية، ص٣٣٩.

[6] سورة الحشر: الآية ١٤.

[7] سورة الحشر: الآية ٨.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[1].

المستفاد من استجابة النبيﷺ لطلب رأس النفاق بإجلاء يهود بني قينقاع:

يظهر في هذا الخبر فقه النبي ﷺ السياسي في تعامله مع ابن سلول حيث لبى طلبه، فلعل هذا الموقف يغسل قلبه، ويزيل الغشاوة عنه فتتم هدايته، فقال له: هم لك، ولعل الذين يسيرون وراء زعامة ابن أبي يصلحون بصلاحه فيتماسك الصف، ويلتحم فلا يتأثر من كيد أعداء الإسلام [2].

وهناك بُعد آخر حيث حرص ﷺ أن يتفادى حدوث فتنة في مجتمع المؤمنين، حيث إن بعض الأنصار حديثو عهد بالإسلام، ويخشى أن يؤثر فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي لسمعته الكبيرة فيهم [3] ، ولذلك سلك ﷺ معه أسلوب المداراة والصبر عليه وعلى إساءته تجنبا للفتنة وإظهارًا لحقيقة الرجل من خلال تصرفاته ومواقفه عند من يجهلها، ومن ثم يفر الناس من حوله ولا يتعاطفون معه، وقد حقق هذا الأسلوب نجاحًا باهرًا، فقد ظهرت حقيقة ابن سلول لجميع الناس حتى أقرب الناس إليه ومنهم ولده عبد الله، فكانوا بعدها إذا تكلم أسكتوه، وتضايقوا من كلامه [4]، بل أرادوا قتله.

المسلم يقع في الإثم ولكنه يسارع في التوبة:

رأينا كيف أن أبا لبابة عندما استشاره بنو قريظة في مسألة نزولهم على حكم رسول الله ﷺ فأشار إلى حلقه يريد الذبح وأنه سرعان ما أقر بذنبه واعترف به وبادر إلى العقوبة الذاتية التلقائية، دون انتظار التحقيق وتوقيع العقوبة الواجبة، إنها صورة تطبيقية لقوله تعالى: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا[5].

إنها صورة فريدة لتوقيع العقوبة من الإنسان نفسه على نفسه... ولا يفعل ذلك إلا أهل الإيمان، وما ذلك إلا من آثار الإيمان العميق الراسخ، الذي لا يرضى لصاحبه أن يخالطه إثم أو فسوق. وقد فرح الصحابة وفرح النبي ﷺ نفسه، بتوبة الله على أبي لبابة، وتسابقوا إلى تهنئته حتى كانت أم سلمة زوجة النبي ﷺهي التي بادرت بالتهنئة بعد الإذن فبشرته بقبول الله توبته [6].

---

[1] سورة الحشر: الآية ٩.

[2] الغضبان:المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص٢٤٧.

[3] الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٥/٣٢.

[4] أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود١/١٤٨.

[5] سورة النساء: الآية ١٧.

[6] صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص٢٦١.



وقد أنزل الله تعالى في أبي لبابة قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** [1]. ونزل في توبته قوله تعالى: **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** [2][3].

المستفاد من اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»:

في اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» [4]، فبعضهم فهم منه المراد الاستعجال، فصلى العصر لما دخل وقته، وبعضهم أخذ بالظاهر فلم يصل إلا في بني قريظة، ولم يعنف النبي ﷺأحدًا منهم أو عاتبه، ففي ذلك دلالة هامة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع، واعتبار كل من المتخالفين معذورًا ومثابًا، كما أن فيه تقريرًا لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من دلالات ظنية أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم [5].

إن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع، معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه، عدا أنه ضرب من العبث الباطل، إذ كيف تضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما دام دليلها ظنيًّا محتملاً؟... ولو أمكن ذلك أن يتم في عصرنا، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ، ولكان أولى الناس بألا يختلفوا هم أصحابه، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما رأيت؟ [6]

وفي الحديث السابق من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث نبوي أو آية من كتاب الله، كما لا يعاب من استنبط من النص معنى يخصه، وفيه أيضا أن المختلفين في الفروع من المجتهدين لا إثم على المخطئ، فقد قال ﷺ: « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » [7].

وحاصل ما وقع أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت وقت الصلاة توجيهًا لهذا النهي الخاص على النهي العام عن تأخير الصلاة عن وقتها [8].

---

[1] سورة الانفال: الآية ٢٧.

[2] سورة التوبة: الآية ١٠٢.

[3] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٥٥٤.

[4] صحيح البخاري: ابواب صلاة الخوف:باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء (٣/ ١٥) حديث ٩٤٦.

[5] البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٢٢٦.

[6] المصدر نفسه.

[7] صحيح البخاري: بَاب أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، ٩/١٠٨، حديث (٧٣٥٢).

[8] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٢٨٦.



الفصل السادس

صلح الحديبية

تمهيد:

وقَّعَ الرَسُولُ ﷺ فِي السَّنَة السَّادِسَة لِلهِجْرَة صُلْحَاً معَ قُرَيْش، وقدْ أَرْسَى هَذَا الصُلْح أُسُسْ العِلاقَاتِ السلْمِيَّةِ بَيـنَ المُسْلِمينَ وَقُرَيْش وَأَفْسَحَ المَجَال أَمَام القَبَائِل العَرَبية وَأَبْنَائِها لِلتَحَالُف معَ المُسْلِمينَ أَو الدخُول فِي الإسْلامِ دُونَ خَوفٍ مِنْ غَضَب قُرَيْشٍ أَو مُعَارَضَتَها، كَما إنَّ توقيع قُرَيْش لِصُلحِ الْحُدَيْبِيَةِ[1] مع الرَسُولﷺ كَانَ يَعْنِي اعْتِرَافِها الرَسْـمِي بِأَنَّ دَولَةَ الْمَدِينَةِ تُشَكِلُ كِيَانَاً سِيَاسِيَاً مُسَاوِيَاً لَهَا فِي المَكَانَةِ، وَمِنْ ثُمَّ فَإنَّ مِنْ حَقِ القَبَائِل العَربيَةِ أَنْ تَتَعامَل مَعَه كَمَا تَتَعامَل مَعَهَا عَلَى قَدَمِ المُسَاوَاة، ولِلحَديْثِ عَنْ هَذَا الصُلحِ ، وَعَنْ أَسْبَابه وَالأَحْدَاثِ الَّتِي سَبَقَتْ تَوقِيعَهُ فَقدْ قَسَـمنَا هَذَا الفَصْل إِلَى مَبْحَثين وكَما يَأتِي:

المَبْحَثْ الْأَوّل: أَحْدَاث صُلْح الْحُدَيْبِيَةِ.

المَبْحَثْ الثَّانِي: المُسْتَفَاد مِنْ أَحْدَاث صُلْح الْحُدَيْبِيَةِ.

---

[1] الحديبية: اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلو مترًا إلى الشمال الغربي من مكة.



المبحث الأول

أحداث صلح الحديبية

كَانَ العَرَب قَبْلَ الإسْلامِ يُقَدِّسُونَ مَكَّةَ، وَهِيَ لَيْسَتْ مُلْكاً لِقُرَيْش، بَلْ هِيَ تُرَاث أَبِيهِمْ إِسْمَاعِيل، وَلِهَذَا فَلَيْسَ مِنْ حَقْ قُرَيْش أَنْ تَمْنَعْ مَنْ تَشَاء مِنْ زِيَارَتِهَا وَتَسْمَح لِمَنْ تَشَاء، وَبِذَلِكَ يَكُون مِنْ حَقِ الرَسُول ﷺ وَالْمُسْلِمينَ زِيَارَةِ الكَعْبَة، وَلا يَحُقُّ لِقُرَيْش أَنْ تَمْنَعَهُمْ.

وَضَعَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّ هُنَاكَ ثَلاثَة احْتِمَالاتٍ قَدْ يُوَاجه أَحَدهَا، وَهِيَ:

الاحتمال الأول: أَنْ تَمْنَعَه قُرَيْش بِالقُوَةِ مِنْ دُخُول مَكَّة وَزِيَارَة الكَعْبَة، نَظراً لِمَا بَيْنَهُ وَبَينَها مِنْ عَدَاوَةٍ، لَكِنَّ قُرَيْشاً أَعْقَل مِنْ أَنْ تُقْدِمَ عَلَى مِثْلِ هَذَا التَصرُف لِسَبَبين:

١- لأنَّ هَذَا العَمَلْ سَيُثِيرْ حَفِيْظَة العَرَب ضِدَّهَا، وَيُحْدِث شِقَاقَاً بَيْنَهَا وَبَينَ القَبَائِلْ الْمُعَادِيَة لِلإسْلام، وَيَصُبُ هَذَا إنْ حَصَلَ فِي صَالِحِ القَضِيَّة الإسْلامِيَّة.

٢- لَقَدْ أَثْبَتتْ الدَولَة الإسْلامِيَة حُضُورهَا كَطَرَفٍ سِيَاسِي في الجزيرة العربية، وأوقعت الرعب في قلوب القبائل، ولا بد لقريش من أن تأخذ ذلك في الحسبان، فلا تجازف بخوض حرب معها.

الاحتمال الثاني: أَنْ تَسْمَح قُرَيْش لِرَسُول الله وَأَصْحَابه بدُخول مَكَّة، وَلَكِنَّ هَذَا أَمرٌ تَأْباه كَرَامَتهَا، بالإضَافَة إِلَى ذَلِكَ لَنْ يَضْمنْ عَدمْ وُقوعِ حَوَادِث عِنْدَمَا يُشَاهِدْ الرَجُل قَاتِل أَبْيهِ وَأَخيهِ يَنْعَمُ بالأمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ فِي بَلَدِهِ، وَلَن يَكونَ ذَلِكَ فِي صَالِحِ قُرَيْشٍ؛ لأَنَّهُ سَيُشيع بَينَ العَربِ أَنَّ قُرَيْشاً تَقْتُل فِي الحَرَم مَنْ أَتَى لِتَعْظِيمِ الكَعْبَةِ.

الاحتمال الثالث: أَنْ تَعْرِضْ قُرَيْش عَلَى الرَسُول ﷺ الرُجُوع مِنْ دُونِ دُخُول مَكَّةَ، وَهُوَ فِي هَذِه الحَال لَنْ يَعُودَ إلاّ بِشُروطٍ يَرْضَاهَا، وَسَتَبذِلْ لَهُ قُرَيْش مَا يُريد خَشْيَةً مِنَ الوُقُوعِ فِي أَحَدِ الاحْتِمالَين السَّابِقَين.

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإنَّ أي الاحْتِمَالاتِ الثَلاثَة وَقع فَهُوَ مِنَ النَاحِيَة السِيَاسِيَّة يَصُبُ فِي مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمينَ[1].

خروج الرسول ﷺ لأداء العمرة:

خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْم الِاثْنَيْنِ مِنْ (ذِيْ القَعْدَةِ ٥٦/ آذار ٦٢٨م) [2] مِنَ الْمَدِينَةِ مُتَوجهاً مع أصْحَابه إِلَى مَكَّةَ لأدَاءِ العُمْرَةِ[3]، لا يُرِيدُ حَرْباً، وَكَانَ قَدْ رَأى رُؤيَا أَنَّهُ دَخلَ مَكَّةَ مَعَهمْ مُحْرِماً مُؤدِياً للعُمْرَة، وَقدْ سَاقَ مَعهُ الْهَدْيَ

---

[1] قلعه جي، محمد رواس: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٢١٤.

[2] أجمع أهل العلم على تاريخها بلا خلاف. وقد رواه الزهري وموسى بن عاقبة وقتادة، كما في دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٩١. النووي:المجموع ٧/ ٧٨.

[3] وعَنْ قَتَادَةَ قال: سَأَلْتُ أَنَسًا ﷺ كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعٌ عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ حَيْثُ صَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ... متفق عليه: أخرجه البخاري: ابواب العمرة، باب كم اعتمر النبي - صلى الله عليه وسلم - ٣/٣، حديث ١٧٧٨. صحيح مسلم: كتاب الحج، باب بيان عدد عُمَر النبي - صلى الله عليه وسلم - وزمانهن.٢/٩١٦، حديث ١٢٥٣.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(١) سَبْعِينَ بَدَنَةً (٢)، مُعَظِّماً لِلبَيتِ الحَرام، مُقَدِساً لَهُ، وَهَكَذا فَقدْ خرجَ النَّبيُّ ﷺ بَأصْحَابه مِنَ الْمُهَاجِرينَ وَالْأَنْصَارِ وَبَلغَ عَدَدهُمْ أَلْفَاً وأَرْبَعمِائَة رَجُلٍ (٣)، حَمَلُوا مَعَهُمْ سِلاحَهُم تَوَقُّعَاً لِشَرِ قُرَيْش (٤). وَكَانُوا مُسْتَعدينَ لِلقِتَال (٥).

صَلَّى النَّبيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمونَ بذِي الْحُلَيْفَةِ (٦)، وأهلّوا مَعَهُ مُحْرِمينَ بالعُمْرَةِ (٧)، وَبَعثَ النَّبيُّ ﷺ بِالصَّحابيِّ بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيّ عَيْنَاً إِلَى مَكَّةَ لِيَأتِيهِ بأخْبَارِ قُرَيْشٍ وَردودِ فِعْلِهَا (٨).

وَأرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ بَعدَ وُصولِهِ الرَوْحَاء سِريَّةً جَعلَ عَلَيْهَا أَبَا قَتَادَة الْأَنْصَارِيُّ - وَلَمْ يَكُنْ مُحْرِمَاً بالعُمْرَة- فِي جَمْع مِنَ الصَحَابَةِ إِلَى سَاحِلْ البَحْرِ الأحْمَرِ بَعدَ أَنْ عَلِمَ بِوجودِ تَجَمُعْ لِلمُشْرِكِينَ فِي «غَيْقَة»، وَخَشْيَةَ أَنْ يُبَاغِتُوا

---

(١) الهدي: ما يُهدى من النعم إلى الحرم تقربًا إلى الله عزّ وجلّ، ويكون الهدي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، وتقليد الهدي: هو أن يعلق في عنقها نعلين، أو يضع عليها شيئًا من صوف ونحوه علامة لها أنها من الهدي، والتقليد عام للبقر والغنم والإبل، أما الإشعار: هو أن يكشط جلد البدنة حتى يسيل الدم، ثم يسلته، ويكون ذلك في الجانب الأيمن لسنمة البعير، والإشعار خاص بالإبل فقط دون البقر والغنم.

(٢) صحيح: صحيح مسلم: كتاب الحج، باب الاشتراك في الهدي ٢/٩٥٥، حديث (١٣١٨).

(٣) ورد ذكر هذا العدد في أحاديث صحيحة بصحيح البخاري، عن نفر من الصحابة رضوان الله عليهم، ممن شهدوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا المشهد، منهم جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – وفي رواية أخرى عن جابر: أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة. وعن عبد الله بن أبي أوفى أنهم كانوا ألفًا وثلاث مائة.انظر: "صحيح البخاري" كتاب: المغازي، باب غزوة الحديبية ١٢٢/٥، حديث(٤١٥٠) .ورجح ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" ٣/ ٣٧٩، قول من قال أنهم ألف وأربعمائة، لأنه قول الأكثر حيث قال: والقلب إلى ذلك أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حَزْن. اه.

وقال ابن حجر رحمه الله: والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفًا وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفًا وأربعمائة ألغاه، ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء: ألفًا وأربعمائة أو أكثر، اه.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ١٢٦/٥، حديث٤١٧٩.

(٥) مما يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم خرجوا متسلحين ما رواه البخاري (٤١٧٩): أنه لما بلغ النبي – صلى الله عليه وسلم – أن قريشًا جمعوا له المجموع لقتاله استشار الصحابة في قتالهم أو عدم قتالهم، وهذا يدل على أنهم كانوا مستعدين للقتال في أي وقت.

(٦) ذو الحليفة هو ميقات أهل المدينة الذي يُحرمون من عنده، وهو الذي يُسمى الآن ب (أبيار عليّ)، وتبعد عن المدينة أحد عشر كيلو مترًا، وبينها وبين مكة أربعمائة وأربعة وستون كيلو مترًا تقريبًا.

(٧) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ قَالَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ.أخرجه البخاري:كتاب الحج، بَابُ مَنْ سَاقَ الْبُدْنَ مَعَهُ ٢/١٦٩، حديث ١٦٩٦.

(٨) ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٠٨.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المُسْلِمينَ، فَلَمْ يَلقوا كَيْدًا وَيظْهَر أَنهُمْ أَخَذوا طَريقَ السَّاحِلِ لِتَأمينِه، إذْ لَمْ يَلْتَحِقوا بِرَكْبِ النَّبيّ ﷺ إلّا في « السُّقْيا » [(١)].

النبي ﷺ يستشير اصحابه:

حِينَ وَصَلَ المُسْلِمونَ عَسفانْ [(٢)] جاءَهُمْ بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيّ بأخْبارِ اسْتِعدَادَاتِ قُرَيْشٍ وَتَجْميعِهَا الجُموعِ لِصَدِّ المُسْلِمينَ عَنْ دُخولِ مَكَّةَ، وَإرْسَالِهَا طَلائِع مِنَ الفُرْسَانِ إِلَى «كُرَاعَ الْغَمِيمِ» [(٣)]. وَحِينَ اسْتَشارَ الرَسُولُ ﷺ أَصْحَابه فِي الأمْرِ [(٤)]، أَشَارَ عَلَيهِ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق بالتَوجُهِ إلى مَكَّةَ لأدَاءِ العُمْرَةِ والطَوافِ بالبَيتِ وَقَالَ: « فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ » [(٥)]، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: « امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ » [(٦)]. وَقدْ صَلّى النَّبيُّ ﷺ بِأصْحَابه فِي عَسَفانِ صَلاةِ الخَوفِ [(٧)].

النبي ﷺ يغير الطريق وينزل بالحديبية:

لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ قُرَيْشَاً قَدْ خَرَجَتْ تَعْتَرِضْ طَرِيقَهُ وَتَنْصِب كَمْينَاً لَهُ وَلأصْحَابه بقِيَادَة خَالِدِ بن الْوَلِيدِ، وَهُوَ لَمْ يُقرِرْ المُصَادَمَة، رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يُغيِّر طَرِيقِ الجَيْشِ الإسْلامِيِّ تَفَادِيًا لِلصِدَامِ مَعِ المُشْرِكِينَ ثُمَّ سَلكَ بِهِمْ طَرِيقًا وَعْرًا عِبْرَ ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ إلى الْحُدَيْبِيَةِ مُتَجَنبًا الاصْطِدَامِ بِخَيَّالَةِ قُرَيْشٍ [(٨)].

حابس الفيل:

وَتَقدمَ النَّبيُّ ﷺ بالمُسْلِمينَ حَتَّى إذَا اقْتَرَبُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ بَرَكَتْ نَاقَتَهُ فَقَالُوا: « خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ [(١)]» فَقالَ ﷺ:« مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ »[(٢)]. ثُمَّ قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » [(٣)].

---

(١) فتح الباري: ابن حجر٤/٢٧، والسقيا موضع يبعد ١٨٠ كيلا من المدينة في الطريق إلى مكة. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٣٦.

(٢) عسفان: منهلة من مناهل الطَّرِيق بَين الْجحْفَة وَمَكَّة، وَقيل: هِيَ بَين المسجدين، وَهِي من مَكَّة على مرحلَتَيْنِ، وَقيل غير ذَلِك. أنظر: ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٠٩.

(٣) كرَاع الغميم: مَوضِع بنَاحِيَة الْحجاز بَين مَكَّة وَالْمَدينَة، وَهُوَ وَاد أَمَام عسفان بِثمَانِيَة أَمْيَال. أنظر: ابن هشام: السيرة ٣/ ٣٠٩.

(٤) ابن حجر: فتح الباري٥/٣٣٤.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥/١٢٦، حديث (٤١٧٨).

(٧) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم١/٣٣٥.

(٨) ابن هشام: السيرة ٢/ ٣١٠.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَدَلَ الرَسُولُ ﷺ عَنِ الطَرِيقِ المُتَّجه إِلَى مَكَّةَ، وَسَارَ بأصْحَابه حَتَّى نَزَلَ بأقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى بئرٍ قَلْيلِ المَاءِ، فَلَمَّا اشْتَكَى المُسْلِمونَ الْعَطَشُ، انْتزَعَ ﷺ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُم أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ [٤]، قَالَ: فَمَا زَالَ يَجيشُ لَهُمْ بالرِّيِّ، حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ [٥]وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ مُعْجزَاتِه ﷺ.

الوفود النبوية إلى قريش:

عَمِلَ الرَسُولُ ﷺ عَلَى إبْلاغِ رِسَالَةٍ وَاضِحَةٍ لِزُعَماء قُرَيْشٍ تَضَمنتْ أنَّهُ لَمْ يَأتِ لِحَربهمْ أَو حَربِ غَيرهِمْ، وَإنَّمَا جَاءَ بقَصدِ الاعْتِمارِ وَتَعْظِيمِ البَيتِ العَتيقِ وَتَكْريمِهِ وَزِيارَته وَالطَوافِ به[٦]. وَقدْ بَيّنَ الرَسُول هَذِه الوَجْهَةِ لِعَدَدٍ مِنَ الرجَال المُحَايدينَ أَحْيَانًا، وَبوَاسِطَةِ رُسُلٍ أَرْسَلَهمْ لِهَذَا الغَرَضِ كَذَلِكَ وَحِينَ وَفِدَ عَلَيهِ بُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ وَبَيّنَ لَهُ أَنَّ قُرَيْشًا تَعْتَزِمْ صَدِّ المُسْلِمين عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُم الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بهِم فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ [٧]مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَينِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا [٨] وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَ الَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي [٩]وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ» [١٠]. فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. وَقدْ نَقلَ بُدَيْلُ الْخُزَاعِيُّ ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ فَاتَهَمُوهُ وَخَاطَبُوهُ بمَا يَكْرَه، وَقَالُوا: « وَإِنْ كَانَ جَاءَ وَلَا يُرِيدُ قِتَالًا، فَوَ اللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا، وَلَا تَحَدَّث بذَلِكَ عَنَّا

---

[١] خلأت القصواء: خلأت أي بركت من غير علّة، والقصواء: اسم ناقة رسول الله ﷺ، وقيل كان طرف أذنها مقطوعًا، والقصو: قطع طرف الأذن، وقيل: إنها كانت لا تُسبق فقيل لها القصواء لأنها بلغت من السبق أقصاه. " فتح الباري لأبن حجر " ٥/ ٣٣٥.

[٢] حبسها حابس الفيل: قال ابن حجر: أي حبسها الله عزّ وجلّ عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها، ومناسبة ذكرها أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قُدر دخول الفيل وأصحابه مكة. اه. أي: قيل أبرهه الأشرم الذي كان يريد هدم الكعبة.

[٣] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٣، حديث٢٧٣١.

[٤] المصدر نفسه.

[٥] صحيح ابن حبان: كتاب السير١١/٢١٨، حديث(٤٨٧٢).

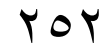
[٦] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/٣٣٦.

[٧] مادتهم: أي جعلت بيني وبينهم مدة بترك الحرب.

[٨] جَمُّوا: أي استراحوا، والمعنى الذي أراده النبي – صلى الله عليه وسلم – أن تترك قريش القتال فإن أرادوا الدخول في الإسلام بعد ذلك دخلوا وإن لم يدخلوا استراحوا فترة من القتال.

[٩] حتى تنفرد سالفتي: أراد أنه يقاتل حتى ينفرد وحده في قتالهم، أي: إن لي من القوة بالله والحول به ما يقتضي أن أقاتل عن دينه ولو انفردت. " فتح الباري لأبن حجر " ١/١٦٦ بتصرف.

[١٠] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٤، حديث٢٧٣٢.



الْعَرَبُ » [١]. فبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ إلى مَكَّةَ- وَهُوَ يَقْصِدُ بَيان مَوقِفَهُ أَمَامَ النَّاسِ جَمْيعًا- وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ، فَلَمَّا دَخلَ مَكَّةَ عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ [٢]، وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ فَمَنَعَهُم الْأَحَابِيشُ[٣]، حَتَّى أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِيَبْعَثَهُ إلى مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفسي، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بني عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُني، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّك عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي [٤]عُثْمَانَ بن عَفَّانَ[٥].

النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى مكة:

دَعَا رَسُولُ الله ﷺ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي الله عنه فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَى قُرَيْشٍ فَخَبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نأتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّما جِئْنَا زُوَارًا لِهَذَا الْبَيْتِ، مُعَظِّمين لِحُرْمَتِهِ»[٦]. فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرِدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ الله ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ [٧].

بيعة الرضوان:

دَعَا رَسُولُ الله ﷺ أَصْحَابَهُ إِلَى البَيْعَةِ تَحْتَ شَجَرَةَ سَمُرَة، فَبَايعُوهُ جَمِيعًا عَلَى الْمَوْتِ [٨] سِوَى الْجَدّ بْن قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ [٩]، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ من الصَّحَابَة أَبُو سِنَانٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ الْأَسَدِيُّ [١] وتَابَعَهُ الصَّحَابَة

---

[١] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٣١١.

[٢] أي: عقرت الجمل، قتلوه.

[٣] الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة ابن كنانة، وبنو المصطلق بن خزاعة، كانوا تحالفوا مع قريش، قيل تحت جبل يقال له: الحبش أسفل مكة، وقيل: سمُّوا بذلك لتحبشهم، أي: تجمعهم، والتحبش: التجمع.

[٤] أعز مني: أي له ناس وقوم يمنعونه من غدر قريش.

[٥] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده ٢١٦/٣١، حديث(١٨٩١٠).

[٦] الواقدي: المغازي٢/٦٠٠.

[٧] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده ٢١٧/٣١، حديث(١٨٩١٠)، بإسناد حسن، وأصل الحديث عند البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ١٩٣/٣، حديث٢٧٣١.

[٨] عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ قَالَ عَلَى الْمَوْتِ. أنظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ١٢٥/٥، حديث(٤١٦٩).

[٩] عن جابر بن عبد الله قال: لم نبايع رسول الله صلى الله عليه و سلم على الموت إنما بايعناه على أن لا نفر.رواه الترمذي في سننه ١٥٠/٤، حديث (١٥٩٤) قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُبايعُونَ النَّبيَّ ﷺ على بَيْعَتِهِ فَأَثْنَى عَلَيْهِم النَّبيُّ ﷺ وقَالَ: « أَنْتُم خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ » [٢] وقَالَ ﷺ أيْضاً: « لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا » [٣].

وَلَمَّا كَانَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَدْ حُبِسَ فِي مَكَّةَ، فَقدْ أَشَارَ النَّبيُّ ﷺ إِلَى يَدِهِ اليُمْنَى وقَالَ: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ »، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، وقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ » [٤] وبِذَلِكَ فَقدْ عَدَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمُبَايعِين تَحْتَ الشَّجَرَةِ. وَقَبْلَ أَنْ تَتَطَوَّرْ الأُمُور وَتَتَأزَمْ، عَادَ عُثْمَانَ إِلَى مُعَسْكَرِ الْمُسْلِمينَ بَعْدَ بَيْعَةِ الرِضْوَان هَذِه مُبَاشَرَةً. وَقدْ عُرِفَتْ البَيْعَة بِذَلِكَ لأنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أنَّهُ رَضِيَ عَنِ المُبَايعِينَ فِيهَا فقال جَلَّ جَلالُهُ: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً* وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** [٥].

رسل قريش إلى النبي محمد ﷺ:

أَرْسَلَتْ قُرَيْش عَدَداً مِنَ المَبْعوثينَ لِلتَفَاوض معَ الرَسُول ﷺبَعدَ سفارةِ بُدَيْل بْنُ وَرْقَاء، فَقدْ أَرْسَلوا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقفِيُّ، وَقَبل أَنْ يُبَاشر عُرْوَةُ مَا عَهِدَتْ به إليهِ قُرَيْش، وَرَغْبَةً مِنهُ فِي مَنع تِكْرَارِ مَا حَصَلَ معَ بُدَيْل قَبلَهُ مِنْ تَعْنيفٍ وَسُوءِ المَقالَةِ، أَوضحَ لَهمْ مَوقِفَهُ مِنْهُمْ وَأَقَرُّوا لَهُ بأَنَّهُ غير مُتهَم لَديهمْ، ثُمَّ أَوضحَ لَهُمْ أَنَّ مَا عَرَضَهُ عَلَيهِمْ مُحَمَّد ﷺهُوَ أمر رَشَد دَعَاهُمْ إِلَى قُبولِهِ، فَوَافَقوا عَلَى رَأْيهُ، وَعِندَمَا وَصلَ عُرْوَة إِلَى الرَسُول ﷺ، قَالَ لَهُ مثل مَا قَالَ لِبُدَيْلُ فَأجَابَهُ عُرْوَةُ: « أَيْ مُحَمَّدُ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟[٦].. وَلاحَظَ عُرْوَةُ مَبْلَغ تَعْظِيمِ المُسلمينَ لِلرَسُول ﷺ وَحُبهمْ لَهُ وَتَفانيهم فِي طَاعَتِهِ، فَلمَا رَجعَ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ لِقُرَيْش: «أَيْ قَوْمِ وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ» [٧].

وَبعثَتْ قُرَيْش بَعْدَ ذَلِكَ سَيِّدُ الْأَحَابِيش، الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الكِنَانِيِّ، فَلَمّا اقْتَرَبَ مِنْ مُعَسْكَرَ الْمُسْلِمينَ وَرَآهُ النَّبيُّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ » [٨]، كَمَا أَمرَ الْمُسْلِمينَ أَنْ يُلَبُّوا، فَلَمَّا رَأى

---

[١] ابن حجر- الإصابة ط/ ٩٥- ٩٦ من حديث الشعبي، وقال: وأخرجه ابن منده من طريق عاصم عن ذر بن حبيش، وصححهما.

[٢] ابن حجر: فتح الباري ٧/٤٤٣.

[٣] صحيح: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٤٢ حديث(٢٤٩٦).

[٤] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان٥/١٥، حديث(٣٦٩٨).

[٥] سورة الفتح: الآيتان ١٨- ١٩.

[٦] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٤، حديث٢٧٣٢.

[٧] إسناده صحيح على شرط الشيخين: أخرجه أحمد في مسنده: ٣١/٢٤٧، حديث(١٨٩٢٨).

[٨] السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢/٣٢٨.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْحُلَيْسَ الهَدْي فِي قَلائِدِه، وَسَمعَ تَلبِيَة المُسْلِمينَ عَادَ أَدْرَاجه قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ إِعْظَامَاً لِمَا رَأى، وَقَالَ لِقُرَيْش: « رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ وَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ » [١]، فَكَانَ جَوَابَهُمْ عَلَيهِ أَنْ طَلَبُوا مِنهُ السُكوتَ وَاتَّهَموهُ بِالجَهْلِ[٢]، وَقدْ أَنْكَرَ الْحُلَيْسَ عَلَيهِمْ مَوقِفهِمْ وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالَفْنَاكُم وَلَا عَلَى هَذَا عَاهَدْنَاكُم، أَيُصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَهُ مُعَظِّمًا لَهُ؟ وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ لَتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ»، فَقَالوا لَهُ: « مَهْ كُفَّ عَنَّا حَتَّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ » [٣].

لَقدْ أَخذتْ جَبْهَة قُرَيْش تَتَدَاعَى أَمَام قُوة الحَقِّ الصَامِدَة، وَكَذَلِك فَقدْ انْهَارَتْ حُجَة قُرَيْش فِي جَمْعِهَا لِلعَرَبِ ضِدَّ النَّبِيّ ﷺ[٤].

لَقَدْ نَجحَ النَّبِيُّ ﷺ بِحِكْمَتِهِ وَذَكائِه نَجَاحاً عَظِيماً، بِاسْتِخْدام الأَسَاليبَ الإِعْلامِيَّة وَالدُبْلومَاسِيَّة المُتَعَدِدَة لِلحُصُول عَلَى الغَايَةِ المَنْشودَةِ، وَهِيَ تَفْتِيتْ جَبْهَةِ قُرَيْشٍ الدَاخِلِيَّة، وَإِيْقَاعِ الهَزِيمَة فِي نُفُوسِهِمْ، وَإِبْعَادِ حُلَفَائِهِمْ عَنْهُمْ وَإِنَّ هَذِهِ النَتِيجَة لَتُعدُ بِحقٍ نَصرًاً سَاحِقاً حَقَقَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الجَبَهَاتِ السِيَاسِيَة وَالإِعْلامِيَّة وَالعَسْكَرِيَّة[٥].

توجه قريش إلى الصلح:

رَأتْ قُرَيْش أَنَّ الصُّلْح معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْفَعْ لَهَا، عَلَى أَنْ يَرْجِع النَّبِيّ ﷺ والمُسْلِمونَ وَلا يَدْخُلوا مَكَّة لِلعُمْرَة، لأنَّ عَاقِبَةَ الدُخولِ فِي حَرْبِ معَ النَّبِيِّ مَجْهولَةً، فَقدْ لا يَتَحقق النَصر لَهُمْ، لا سِيَمَا وَقدْ تَأكَدَ لَدَيْهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا جَاءَ لِقِتَالِهِمْ، فَدَعَوا سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَقَالوا لَهُ: ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ، وَلاَ يَكُونُ فِي صُلْحِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هَـذَا، فَوَاللَّهِ لاَ تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا [٦].

إبرام معاهدة الصلح:

تَفَاءَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُدومِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو قَائِلاً لأَصْحَابِهِ: « لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ » [٧]، وَقَالَ ﷺ « قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ » [٨].

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ١٩٥/٣، حديث٢٧٣٢.

[٢] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣٣٨/١.

[٣] ابن كثير: السيرة النبوية ٣١٦/٣.

[٤] الصلابي: السيرة النبوية ٢/ ٨١٧.

[٥] حجازي، سليم: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، دار المنارة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص١٤٥.

[٦] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده ٢١٧/٣١، حديث(١٨٩٣٠).

[٧] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ١٩٥/٣، حديث٢٧٣٢.

[٨] ابن هشام: السيرة ٢/ ٣١٦.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَبَدَأ الرَسُولُ ﷺ يُمْلِي شُروط الصُلْح، وعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو كَاتِبَ الصَّحِيفَةَ، وَأَرادَ النَّبيُّ ﷺ إِعْطاءِ عَقدْ الصُلْح صِبْغَةً إسْلامِيَّةً فَقَالَ النَّبيُّ: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فاعترض سُهَيلٌ قائلا: « أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَ اللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللهمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ »، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: "اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهمَّ، ثم اعترض سُهَيل على عبارة « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » الَّتِي وَرِدَتْ فِي صَدرِ الصَّحِيفَةَ قَائِلاً: « وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بن عبد الله » فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: "وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بن عبد الله"[1] وَحِينَ أَرَادَ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُثْبت فِي صَحِيفة الصُّلْح عِبَارَة « عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبيتِ فَنَطُوفَ بِهِ» إعْتَرَضَ سُهَيل قَائِلاً: « وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَأَنَّهُ إذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْكَ، فَتَدْخُلُهَا بِأَصْحابِكَ، وَأَقَمْتَ فِيهِمْ ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاكِبِ لَا تَدْخُلْهَا بِغَيْرِ السُّيُوفِ فِي الْقُرُبِ»[2]، فَوَافَقَ النَّبيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ سُهَيْل: « وَعَلَى أَنْ لاَ يَأْتِيَكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ، إلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا» فَقَالَ الْمُسْلِمونَ: سُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ يُرَدُّ إلى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أبو جَنْدَل بن سُهَيْل بن عَمْرو يَرْسُفُ [3] في قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بنفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لسُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ:"إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، فقال سُهَيل: « وَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيءٍ أَبَدًا » [4]، وَقَدْ حَاوَلَ النَّبيُّ ﷺ اسْتِثْنَاءِ أَبَا جَنْدَلِ مِنَ الشَرْطِ غَيرَ أَنَّ سُهَيْلاً أَصَرَّ عَلَى مَوقِفِه رُغْمَ مُوَافَقَةِ مِكْرَزٌ بْنِ حَفْصٍ عَلَى طَلَبِ النَّبيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَجِدْ النَّبيُّ ﷺ إزَاء إِصْرَارِ سُهَيْلٍ بُدًّا مِنْ إِعَادَتِهِ إِليهِ [5].

وَقدْ تَمَّ الاتِفَاق فِي الصُلْحِ بَعْدَ ذَلِكَ« عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَعَلَى أَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً[6]وَأَنَّهُ لاَ إِسْلاَلَ وَلاَ إِغْلاَلَ[7]»[1]، أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي

---

[1] وفي رواية: أن النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – أَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللهِ لَا أَمْحَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه عليه وسلم –: "أَرِنِي مَكَانَهَا"، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا، وَكَتَبَ: ابْنُ عبد الله.

أخرجه البخاري: كتاب الصلح، بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، ١٨٤/٣، حديث٢٦٩٩.

صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الحديبية.١٤٠٩/٣، حديث (١٧٨٣).

[2] اسناده حسن:رواه الامام أحمد في مسنده ٢١٨/٣١، حديث (١٨٩١٠).

[3] يرسف: أي يمشي مشيًا بطيئًا بسبب القيد.

[4] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ١٩٣/٣، حديث٢٧٣٢.

[5] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣٣٩/١.

[6] العيبة هنا مثل: والمعنى أن بيننا صدورًا سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا، وقد يشبه صدر الإنسان الذي هو مستودع سره.

[7] لا أسلال ولا أغلال: تعني الأسلال من السلة وهي السرقة، والأغلال أي الخيانة والمعنى العام: أن بعضنا يأمن بعضًا في نفسه وماله فلا يتعرض لدمه ولا لماله.

عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ[2]، وَأَنَّك تَرْجِعُ عَنّا عَامَك هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكّةَ، وَأَنّهُ إذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْك فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِك، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا، مَعَك سِلَاحُ الرّاكِبِ، السّيُوفُ فِي الْقُرُبِ[3].

نص معاهدة الصلح:

تَمَّ عَقدْ هَذِهِ الْمُعَاهَدَةِ وَكَانَتْ صِيَاغَتها مِنْ عِدَّة بُنودٍ جَاءَتْ عَلَى الشَكْلِ التَالِي:

١- باسْمِكَ اللَّهُمَّ.

٢- هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو.

٣- وَاصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ على النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ.

٤- وَعَلَى أَنَّهُ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ حَاجًّا، أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ يَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ اللهِ، فَهُوَ آمِنٌ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ، وَمَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُجْتَازًا إلَى مِصْرَ وَإِلَى الشَّامِ، يَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ اللهِ، فَهُوَ آمِنٌ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ.

٥- عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بغَيْرِ إذْنِ وَلِيّهِ رَدّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمّنْ مَعَ مُحَمّدٍ لَمْ يَرُدّوهُ عَلَيْهِ.

٦- وَإِنّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً، وَأَنّهُ لَا إسْلَالَ وَلَا إغْلَالَ.

٧- وَأَنّهُ مَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ.

٨- وَأَنّت تَرْجِعُ عَنّا عَامَك هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكّةَ، وَأَنّهُ إذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْك فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِك، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا، مَعَك سِلَاحُ الرّاكِبِ، السّيُوفُ فِي الْقُرُبِ، لَا تدخلها بغيرها.

٩- أَشْهَد عَلَى الصُّلْحِ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمينَ وَرِجَال مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

فَمِنَ الْمُسْلِمينَ: أَبُو بَكْرٍ الصّدّيق، وعُمَرَ بْنَ الْخَطّاب، وعَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، و عَبْدُ اللهِ بْنُ سُهَيْلٍ بْنَ عَمْرٍو، وسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ، ومُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، وعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَاتَبِ الْمُعَاهَدَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ: مِكْرَزَ بْنَ حَفْصٍ، وسُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو [4].

---

[1] رواه ابو داؤد في سننه ٤١/٣، حديث (٢٧٦٨).وقال الالباني حديث حسن.

[2] رواه البيهقي في سننه الكبرى ٢٣٣/٩، حديث (١٩٣٣١).

[3] أغمادها.

[4] الديك، محمد:المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٢٧١.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كيف تلقى المسلمون معاهدة الصلح:

لَقدْ تذَمَرَّ كَثير مِنَ الصَحَابَةِ مِنْ أَغْلَبْ شُرُوطِ هَذَا الصُّلْح، وَخُصُوصاً مِنَ التَعْدِيلاتِ الَّتِي أَحْدَثَهَا سُهَيْلِ بن عَمْرٍو فِيهَا وَأَصرَّ عَلَيْهَا، فقدْ امْتَنَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ عَنْ مَحْو عِبَارَةِ «رَسُول اللهِ» الَّتِي كَانَتْ قَدْ وَرَدتْ فِي دِيبَاجَةِ العَقدِ فِي بَادِئِ الأَمْرِ [1]، وَغَضِبَ المُسْلِمونَ لِشَرطِ رَدِّ المُسْلِمِين لإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ يَفِرونَ مِنَ مَكَّةَ إِلَى المُعَسْكَرِ الإسْلامِيِّ بغَيِر إِذْنِ أَولِيَائِهِمْ، وَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ: «يَا رَسُول اللهِ تَكْتُب هَذَا؟ فقال ﷺ:« نَعَمْ إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا »[2].

وَلَقدْ ظَهرَ الغَضَبُ الشَدِيدُ عَلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطّاب بِسَبَبِ مَا تَضمَنتَهُ شُروطِ الصُّلْحِ الَّتِي تُصَور أَنَّهَا مُهينَة وَأَنها لا تَعْكِس مَوقِفاً صَلْبًا فِي الدِفَاعِ عَنِ الحَقِّ، وَلِنَستَمِعْ مِنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ إلى رَدَةِ فِعْلِه حِينَذَاك، قَالَ: «فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: "بَلَى"، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: "بَلَى"، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: "إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي"، قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: "بَلَى فَأخبَرتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ"، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ» [3]. وَلَمَا أَعَادَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ الكَلام معَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ بِمِثلِ مَا كَلَمَ النَّبِيّ ﷺ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: «يَا عُمَر: إِنَّهُ لَرَسُولُ الله ﷺ وَلَيس يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَ اللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ» [4].

وَلَمْ يَكُنْ المُسْلِمونَ يَشُكّونَ فِي أَنَّهمْ سَيَدخُلونَ مَكَّةَ وَيَطوفونَ بالبَيتِ العَتيقِ كَمَا سَبَقَ وَأَعْلَمَهمْ النَّبيُ ﷺ، فَلَمَا جَرَى صُلْح الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى الشُّرُوطِ الَّتِي تَضَمَنَهَا، فإِنَّهُمْ تَأَلَمُوا وَسَاوَرتْ بَعْضَهمْ الشُكُوك «حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلَكُوا» وَخُصوصاً حِينَ أُعِيدَ أَخُوهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ وَهوَ يَسْتَنجد بِهِمْ قَائِلاً: يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، أَتَرُدُّونَنِي إِلَى أَهْلِ الشِّرْكِ،

---

[1] في رواية: أن النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – أَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللهِ لَا أَمْحَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "أَرِنِي مَكَانَهَا"، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا، وَكَتَبَ: ابْنُ عبد الله، لا يستدل من ذلك على معرفته صلّى الله عليه وسلّم القراءة والكتابة فإن معرفة رسم هاتين الكلمتين ومحوه لهما أو معرفته رسم اسمه صلّى الله عليه وسلّم مما يتكرر كتابته أمامه كثيرا من قبل كتابه، لا يخرجه عن كونه أميّا كما وصفه القرآن الكريم، وذهب الجمهور إلى أن المقصود من قوله «كتب» بمعنى أمر بالكتابة انظر: ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٥٠٤ (حديث ٤٢٥١).

[2] صحيح: صحيح مسلم- باب صلح الحديبية، ٣/ ١٤١١، حديث(١٧٨٤).

[3] السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٤٠١.

[4] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ١٩٦/٣، حديث٢٧٣١٢.وفيه أن عمر- رضي الله عنه- تكلم أولا مع أبي بكر- رضي الله عنه- ثم أعاد الكلام مع النبي صلّى الله عليه وسلّم، وفيه قوله: يا عمر الزم غرزه (أي تمسك بأمره) حيث كان فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر: وأنا أشهد»... كما نقل قول عمر- رضي الله عنه-: «ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا، ويرى ابن حجر أن «جميع ما صدر منه كان معذورا فيه بل هو مأجور لأنه مجتهد» فتح الباري ٥/ ٣٤٧.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَيَفْتِنُونِي فِي دِينِي» وَالرَسُولُ ﷺ يَقُولُ: « يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا »[1].

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْشِي بِجانب أَبِي جَنْدَلٍ يُغْرِيهِ بِأَبِيهِ وَيُقَرب إليهِ سَيْفِه وَلَكِنَّ أَبَا جَنْدَلٍ لَمْ يَفْعَل، فَأُعِيدَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ[2].

وَلَمْ تَكُفْ قُرَيْش عَنِ التَحَرُشْ بالمُسْلِمينَ خِلال مَرْحَلَةِ المُفَاوَضَاتِ وَكِتَابَةِ وَثْيقَةِ الصُلْح بَلْ حَتَّى بَعدَ إنْجَاز ذَلكَ؛ وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسَالِيب الضَغْطِ عَلَى المُسْلِمينَ خِلال مَرْحَلةِ المُفَاوَضَاتِ، وَقَدْ تَكون التَحَرُشَاتِ المُتَأخِرةِ بِسَبب طَيْشِ شَبَابهَا وتَهورِهِمْ، غَير أَنَّ المُلاحَظْ هُوَ أَنَّ المُسْلِمينَ قَدْ احْتَملوا تِلْكَ التَحَرُشَاتِ بِصَبْرٍ وَجَلَدٍ، وَانْضِبَاطٍ دَقِيق، مَع يَقَظَةٍ تَامةٍ وَاسْتِعْدَاد. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول اللَّهِ ﷺ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلاثُونَ شَابًّا عَلَيْهِمُ السِّلاَحُ فَثَارُوا فِى وُجُوهِنَا فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَ اللَّهُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ فَأَخَذْنَاهُمْ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« هَلْ جِئْتُمْ فِى عَهْدِ أَحَدٍ أَوْ هَلْ جَعَلَ لَكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا ». قَالُوا: اللَّهُمَّ لاَ فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ[3] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** [4].

تباطؤ المسلمين في الحلق والنحر ثم إسراعهم إليه:

وَحِينَمَا تَمَّ الصُّلْح وَأُبْرِمَ العَقْد، أَمرَ النَّبيُّ ﷺ مَنْ معهُ مِنَ المُسْلِمينَ أَنْ يَنْحَرُوا الْهَدْيَ و يَحْلِقُوا رُءوسَهُمْ، وَكَرر ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَاتٍ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بالاسْتِجابَة لأمْرِ النَّبيِّ ﷺ، وَذَلِكَ مَا يَعْكِسْ الحَالَةَ النَفْسيَة الانْفِعَاليَة الَّتِي قَاسَى مِنْهَا المُسْلِمُونَ حِينَذَاكَ بسَبَب اسْتِفْزَازَاتِ قُرَيْشٍ المُتَكَررَة إضَافَةً إِلَى تَصورِهِمْ الخَاطِئِ فِي أَنَّ شُروطَ الصُّلْح قَدْ تَضَمنَتْ إجْحَافَاً بهِمْ، وَكَأَنهُمْ كَانُوا يَأمَلونَّ الرُجوعَ عَنِ الصُّلْح.

قَامَ النَّبيُّ ﷺبِمَشورَةٍ مِنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بذَبْحِ الهَدْيَ وَحلَقَ رَأسَهُ[5]، فَتَابَعَهُ المُسْلِمونَ عِنْدَ ذَلِكَ، « فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا» [6] فَدَعَا لَهُمْ النَّبِيَّ ﷺ وَبذَلِكَ تَحَلَلَ

---

[1] اسناده حسن: رواه الامام أحمد في مسنده ٢١٨/٣١، حديث (١٨٩١٠).

[2] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣٤٠/١.

[3] رواه الحاكم في مستدركه ٥٠٠/٢، حديث (٣٧١٦).وقال:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

[4] سورة الفتح: الآية٢٤.

[5] عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَحَرَ هَدْيَهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا. انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب عمرة القضاء ١٨٥/٣، حديث(٢٧٠١).

[6] البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ٢١٥/٥، حديث (١٠٣٦٨).



النَّبيُّ ﷺوَمَنْ معهُ مِنَ الْمُسْلِمينَ مِنْ عُمْرَتِهمْ، وَشرعَ التَحَلُّلَ لِلمُحْصِرَ وَأَنَّهُ لا يُلْزِمُهُ القَضَاء، ثُمَّ شَعَرَ النَّاسُ فِي التهيُّؤِ لِلعَودَةِ إِلَى المَدينَةِ، وبَعدَ أَنْ أَقامَ الْمُسْلِمونَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ عشْرين يَوْمًا [1].

وَفِي طَرِيقِ عَوْدَةِ الْمُسلِمينَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ تَكَرَرتْ مُعْجزَةِ النَّبيّ ﷺ فِي تَكْثِيرِ الطَعَامِ وَالمَاءِ [2]، وَأُنْزِلَتْ سُورَةَ الفَتْح، وَكَانَ النَّبيَّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَاقِفًا عِنْدَ كُرَاعِ الْغَمِيمِ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فقَرَأَ عَلَيْهِمْ **إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**[3].فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَتْحٌ هُوَ؟ فَقَالَ:« إِيْ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ »[4]. وَأَورَدَ البُخاري بروايَةٍ صَحيْحَةٍ [5]قَالَ أَصْحَابُهُ هَنِيئًا مَرِيئًا فَمَا لَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً** [6]، فَانْقَلَبتْ كَآبَة الْمُسْلِمينَ وَحُزْنهمْ إلى فَرَحٍ وَحُبورٍ، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ لا يُمْكِنُهمْ أَنْ يُحيطُوا بالأَسْبَابِ وَالنَتَائِجِ، وَأَنَ الخَيرَ كلُهُ هُوَ فِي التَسْلِيمِ لأَمْرِ اللهِ وَرَسولِهِ.

ردّ أبو بصير إلى قريش:

مَا أَنْ عَادَ الرَسُولُ ﷺ وَالْمُسْلِمونَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى جَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ مُسْلِمًا فَارًّا مِنْ قُرَيْشٍ. وَقدْ أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ اثْنَينِ مِنْ رِجَالِهَا مُطَالِبَةً النَّبيَّ ﷺ بِتَنْفِيذِ بُنودِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ بشَأنه، فَسَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ إِلَيْهِمَا، غَيرَ أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ سُرْعَان مَا تَمَكنَ مِنْ قَتْلِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ وَهُمْ فِي طَرِيقِ العَودَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَفَرَّ ثَانِيهِمَا إلى الْمَدِينَةِ وَخلفه أَبُو بَصِيرٍ، فَلَمَا انْتَهَى إِلَى الرَسُولِ ﷺ قال أبو بَصِيرٍ: « يَا نَبِيَ اللهِ قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ»، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: « وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» [7]!.فَلَمَّا سَمِعَ أبو بَصِيرٍ مقالة النَّبيِّ ﷺ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ ثانية إلى قريش، فَخَرَجَ من الْمَدِينَةِ وحده حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ [1].

---

[1] وقيل سبعة عشر يوما. ابن سعد: الطبقات الكبرى٢/ ٩٨.

[2] عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ قَالَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً. انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ ١٢٢/٥، حديث(٤١٥٢).

[3] سورة الفتح: الآية ١.

[4] رواه الحاكم في مستدركه ٤٩٨/٢، حديث (٣٧١١).وقال:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

[5] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ١٢٥/٥، حديث(٤١٧١).

[6] سورة الفتح: الآية ٥.

[7] قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: "ويل أمه": كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من ذم. وقوله: "مِسْعَر حرب" أي: مشعل نار الحرب مما فعله من قتل الرجل، وقوله: "لو كان له أحد" أي: ينصره ويعاضده ويناصره، وفيه إشارة إليه


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فَهم المُسْلِمونَ المُستَضْعَفونَ بمَكَّة مِنْ مَقَالَةِ النَّبيِّ ﷺ لِأَبي بصَيْر أَنَّهُ بحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَدْعَمهُ إِخْوانَهُ مِنْ مُسْلِمي مَكَّةَ، فَأَخَذوا يَتَسَلَّلونَ مِنْ مَكَّةَ فِرَاراً إِلَى أَبي بَصِيرِ عِنْدَ سِيفَ الْبَحْرِ، وَكَانَ مِنْ بَين مَنْ لَحِقَ به أَبُو جَنْدَل بن سُهَيْلِ بن عمرو وآخَرونَ، حَتَّى اجْتَمعَتْ مَعَهُ عُصْبَة كَبْيرَة، تَسَببتْ فِي نَكْبَةٍ كَبْيرَةٍ لِتجارَةِ قُرَيْش إِلَى الشَّام، فَقدَ تَعَرضُوا لِقَوافِلِ قُرَيْشِ التِجَارية، يَقْتُلونَ رِجَالِهَا وَحُرَاسِهَا وَيَستَولُونَ عَلَى أَمْوَالِهَا وَعِيرِهَا، فَاضْطَرَتْ قُرَيْشٌ إِلَى التَنازُلِ عَنِ البَنْدِ الخَاصِ بِإعَادَةِ المُسْلِمينَ الفَارّينَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ذَويهِمْ، وَكَتَبتْ تَسْتَنجدْ بالنَّبيِّ ﷺ « تُنَاشِدُهُ بالله وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ إِلَيْهِم » وَهُمْ بنَاحيَةِ الْعِيص، فَاسْتَجَابُوا وَقَدِمُوا عَلَيهِ ﷺإِلَى المَدِينَةِ [٢]. وَبَعْدَ هَذَا الحَدَث وَبَعد أَنْ تَنَازَلتْ قُرَيْشٌ عَنْ شَرْطِ إِعَادَةِ المُسْلِمينَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ذَويهِمْ جَاءَ إِسْلامِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَهَذَا عَزَزَّ مُعَسْكَرِ المُسْلِمينَ وَقُدْرَاتِهِ، وَخَذَّلَ قُرَيْشاً وَأَحْرَجَهُمْ[٣].

وَلَقدْ اقْتَصَرَ الرَسُولُ ﷺ فِي البِدايَةِ عَلى رَدِّ المُسْلِمينَ الفَارِّينَ مِنَّ الرجَال بموجب بُنُودِ الصُلح، أَمَّا النساءِ فَلَمْ يَرُدّهُنّ، وَيَرْجِعْ السَبَبْ فِي ذَلِكَ إِمّا لِعَدَمْ دُخُولِهنَّ فِي بُنودِ العَهْدِ أَصْلاً [٤]، أَو لأنَّ القُرْآن قَدْ نَسَخَ مَا وَرَدَ بِحَقِهن فِي العَقْدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَسْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** [٥].

اسْتَمرتْ هُدْنَةُ الْحُدَيْبِيَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ عَشْرَ أَو الثَّمَانيَة عَشْرَ شَهْرًا، قَبْلَ أَنْ تَنْقُضَ قُرَيْش الهُدْنَة حَيْثُ أَعَانَتْ حُلَفَاءَهَا بَنِي بَكْرٍ ضِدَّ خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ المُسْلِمينَ عَلَى مَاءِ الْوَتِيرُ قُرْبَ مَكَّةَ، مِمَّا كَانَ سَبَباً فِي إِبْطَالِ الْمُعَاهَدَةِ وَمهدَ لَفَتْحِ مَكَّةَ.

بالفرار لئلا يرده إلى المشركين، ورمزٌ إلى من بلغه ذلك من المسلمين المستضعفين في مكة أن يلحقوا به. " فتح الباري لأبن حجر " ٣٥٠/٥ بتصرف.

[١] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ١٩٧/٣، حديث (٢٧٣٣).

[٢] المصدر نفسه.

[٣] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣٤٣/١.

[٤] وقد ورد في نصوص البخاري: « أنه لا يأتيك منا رجل» انظر (صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ١٩٦/٣، حديث ٢٧٣٢)، وقد ورد أيضا نصّا آخر: « أنه لا يأتيك منا أحد» صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة ١٨٨/٣، حديث ٢٧١١.

[٥] سورة الممتحنة: الآية ١٠.

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث صلح الحديبية

المستفاد من تغيير النبي ﷺ لطريقه ونزوله بالحديبية:

الواضح أن هذه الحركة التي نفّذها رسول الله ﷺ من واقع تغيير طريقه، وهو لا يريد حرباً كما لا يريد العودة؛ لم تكن خوفاً من المشركين وإنما لإرباك العدو وفرصة للنصر، ثم إن العودة إذا حصلت سوف تترك أثراً سيئاً على دعوته وأصحابه وسمعته في الجزيرة العربية، فالذي يخاف من عدوّه لا يقترب من قاعدته، ثم إن اتخاذ الأدلة والتحول إلى الطرق الآمنة دلالة على وعي القيادة التي تُبعد الجيش عن الوقوع في المخاطر والمهالك وتتجنب الدروب التي تجعله خاضعاً لتحركات العدو وهجماته [1].

لماذا اقتضت الحكمة الإلهية ألا يكون قتال بين المسلمين والمشركين من أهل مكة في هذه الغزوة بالذات:

إن الله سبحانه وتعالى، جلت قدرته، وعزت عظمته، قضى ألا يكون قتال بين المسلمين والمشركين من أهل مكة في هذه الغزوة بالذات؛ لحكم ظهرت فيما بعد منها:

١- دخول المسلمين بالقوة يعني أن تحدث مذابح، وتزهق أرواح كثيرة، وتسفك دماء غزيرة من الطرفين، وهذا أمر لا يرضاه الباري سبحانه، وكان لمصلحة الفريقين المؤمنين والمشركين.

٢- إن من المحتمل أن ينال الأذى والقتل والتشريد على أيدي المؤمنين بعض المستضعفين من إخوانهم من المسلمين في مكة، وهذا فيه ما فيه من المعرة التي لا يليق بمسلم أن يقع فيها وأمر لا يرضاه الله تعالى، قال سبحانه: **هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**[2].

٣- إن الذين كانوا أعداء بالأمس هم من سيحملون الإسلام إلى العالم، وسيكون الفتح على أيديهم حاملين راية الإسلام رحمة للعالمين.

---

[1] أبو فارس، محمد: السيرة النبوية، ص٣٧٤. خطاب، محمود شيت: الرسول القائد، ص١٨٧. الصلابي: السيرة النبوية١/٦٦٠.

[2] سورة الفتح: الآية ٢٥.

المستفاد من بروك ناقة النبي ﷺ في منطقة الحديبية:

١- كل شيء في هذا الكون يسير بأمر الله ومشيئته، ولا يخرج في سيره عن مشيئته وإرادته، فتأمل في ناقة رسول الله ﷺ أين بركت، وكيف كره الصحابة بروكها وحاولوا إنهاضها لتستمر في سيرها فيستمروا في سيرهم إلى البيت العتيق مهما كانت النتائج، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد غير ذلك[١].

وقد استنبط ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- فائدة جليلة من قوله ﷺ: «حبسها حابس الفيل»[٢] فقال: وفي هذه القصة جواز التشبيه من الجهة العامة وإن اختلفت الجهة الخاصة؛ لأن أصحاب الفيل كانوا على باطل محض، وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق محض، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله منع الحرم مطلقًا [٣].

المستفاد من مجاراة رسول الله ﷺ لقريش أثناء عقد صلح الحديبية:

رأينا أن مندوب قريش في معاهدة صلح الحديبية أصرّ على كتابة باسمك اللهم، بدلاً عن بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب أسم النبي ﷺ وأسم أبيه دون ذكر محمد رسول الله، فوافق رسول الله ﷺ حتى أنه أمر علي بن أبي طالب بمحو ما كتبه من بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله، وان يكتب بدلهما ما أراده مندوب قريش سهيل، أي باسمك اللهم، وهذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله، ولا شك أن هذه المجاراة لرغبات سهيل كانت ضرورية لإتمام عقد الصلح الذي فيه مصلحة كبيرة للمسلمين، يهون معها مجاراتهم فيما طلبوه، وهي شيء لا يغير من الحقيقة شيئاً، وهي أن محمداً هو رسول الله حقاً، وإن أنكر المشركون. وعلى هذا فعلى قيادة المسلمين الاستهداء بمسلك رسول الله ﷺ في مجاراته بطلبات المشركين؛ لتحقيق الصلح الذي فيه مصلحة للمسلمين، فيجاروا خصومهم بتلبية بعض مطالبهم ورغباتهم في سبيل مصالح مؤكدة للمسلمين وإيجاد المجال المريح لنشر دعوتهم [٤].

المستفاد من قبول الرسول ﷺ عقد معاهدة صلح الحديبية:

لقد ضاقت صدور بعض المسلمين، أو كثير منهم من صلح الحديبية لما ظنوه من إجحاف في حقوقهم، وتجاوز عليها، ومن مهانة حلت بهم في منعهم من أداء العمرة في عامهم ذلك. ومرد ذلك أنهم لم يمتد نظرهم إلى مستقبل هذه المعاهدة معاهدة الصلح مع قريش وإيقاف الحرب معها لمدة عشرة سنوات، وما يترتب على ذلك من مصالح مؤكدة للإسلام، وهذا هو ما لاحظه رسول الله ﷺ وحمله على عقد تلك المعاهدة، التي نزل القرآن بشأنها، وجعلها فتحاً مبيناً للمسلمين.

---

[١] باشميل، محمد احمد: صلح الحديبية، ص٤٣.

[٢] ابن حجر: فتح الباري ٥/٣٣٦.

[٣] المصدر نفسه.

[٤] زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن ٢/٣٦٢.



وعلى هذا إذا رأت قيادة المسلمين إتباع سياسة معينة، أو عقد مهادنة مع خصومها لما يُرى من أن هذه المهادنة، أو السياسة تحقق مصالح عظيمة دلت القرائن والحسابات الصحيحة على احتمال تحققها احتمالا راجحاً، فعلى جمهورها في هذه الحالة أن لا يعارضوا قيادتهم فيها في سلوك هذه السياسة ما دام الشرع يبيحها ولا يمنعها [1] .

المستفاد من قصة أبي جندل وأبي بصير:

كان من بنود صلح الحديبية أن من جاء محمداً ﷺ من قريش مسلماً من غير إذن وليه ردّه النبي ﷺ إلى قريش، و لم يقبله في صفوف المسلمين في المدينة، وعلى أساس هذا البند أو الشرط لم يقبل النبي ﷺ أبا جندل عندما جاء يرسف بقيوده، فألقى بنفسه بين يدي النبي ﷺ، و لم يفرغ بعد من كتابة بنود المعاهدة، وطلب سهيل ردَّ ابنه أبا جندل إلى قريش حسب بنود المعاهدة المتفق عليها شفهياً، ولكن لم تكتب بعد، فرده النبي ﷺ، وقال له: (يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً....) وحصل أن انفلت من قريش رجل من المسلمين هو أبو بصير، ثم انفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فصاروا يغيرون على قوافل قريش السائرة إلى الشام، فيقتلون حراسها ويأخذون أموالها، فأرسلت قريش تطلب من رسول الله قبول أولئك المسلمين المنفلتين منها، وعدم ردهم إلى قريش، لتتخلص منهم ومن تعرضهم لقوافل قريش، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فقدموا عليه في المدينة [2].

ويستفاد من قصة أبي جندل وأبي بصير أنه يسع الفرد المسلم غير المرتبط بجماعة ما لا يسع الجماعة ولا عضواً فيها، بمعنى أن الفرد المسلم السائب غير المرتبط له أن يعمل من الأعمال المباحة له شرعاً ومنها ما فيه ضرر على المشركين يستحقونه، بينما لا يجوز للجماعة المسلمة ولا عضواً فيها أن يفعل ما يفعله المسلم السائب وإن كان العمل بذاته جائزاً [3].

المستفاد من تكليف المشرك بشر بن سفيان استطلاع أخبار مكة:

طلب النبي ﷺ لما اقترب من مكان الحديبية، رجلاً يستطلع له أخبار مكة، وتحركاتها، وردود فعلها، ويرصد كل ما يهم المسلمين في مثل هذه الظروف، وحتى تنجح مهمة الاستطلاع هذه، وجب أن تكون غير ملفتة للنظر، ولذلك اقتضى أن يقوم بها رجل مشرك لا يرتاب به أحدٌ إن رآه في مكان لا يجدرُ أن يكون فيه رجل مسلم، لطبيعة ما يدور في ذلك المكان من أمور عسكرية، فأختار النبي ﷺ بشر بن سفيان للمواصفات التي تمتع بها، ويُفهم من هذا الأمر جواز الاستعانة بغير المسلمين في القضايا السلمية كإرساله عينا على الأعداء أو استعارة أسلحة منهم وما شابه ذلك،

---

[1] المصدر نفسه ٢/٣٦٣.

[2] المباركفوري: الرحيق المختوم، ص٣٥١ وما بعدها.

[3] زيدان، عبد الكريم:المستفاد من قصص القرآن٢/٣٦٩.





لأنها تتيح لهم فرص اختراق العدو بطريقة أسهل وأيسر، بعد أن يتم التأكد من صلاحية مثل هؤلاء لمثل هذه المهام، أو ربطهم بما يكفل أداءهم المهمة على وجه صحيح، مع الاحتفاظ بأعلى درجات الحذر في الأحوال كلها [1].

الدلالات والأحكام الفقهية التي حفلت بها غزوة الحديبية:

١- جواز عقد الهدنة بين المسلمين وأعدائهم مدة معلومة، سواء على غير مال يأخذونه منهم أو بعوض يأخذونه منهم. أما الوضع الأول، فلأن هدنة الحديبية كانت كذلك، وأما الوضع الثاني، فيؤخذ على القياس؛ لأن الهدنة إذا جازت بدون عوض فهي بعوض أقرب وأوجه، أما إذا كانت الهدنة على مال يبذله المسلمون، فهو غير جائز عند جمهور المسلمين لِما فيه من الصَّغار لهم؛ ولأنه لم يثبت بالدليل في الكتاب والسنة، إلا إذا دعت الضرورة القصوى في حال الخوف من الهلاك أو الوقوع في الأسر، كما لا يجوز للأسير فداء نفسه بالمال.

٢- أختُلف في مدة الهدنة التي تتعدى عشر سنين، بين الجواز إذا رأى الإمام أن في ذلك مصلحة للمسلمين، وبين عدم الجواز. وحجة هؤلاء أن خطر الصلح هو الأصل لدليل آية القتال، وقد ورد التحديد بالعشر في غزوة الحديبية، فجعلت الإباحة في هذا المقدار متحققة، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر.

٣- رسم عروة بن مسعود الثقفي صورة حية تبين مدى محبة اصحاب رسول الله ﷺ من دون محبة له، وهي الأثر الذي يستحوذ على القلب، كما تدل على أن التبرك بآثار رسول الله ﷺ أمر مندوب ومشروع. فعندما أجتمع هذا الرجل مع الرسول ﷺ؛ راح يراقب تحركات أصحابه، ولما عاد إلى مكة، قال لزعماء قريش:" فو الله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة، إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده.

المستفاد من التحلل من العمرة ومشورة أم سلمة رضي الله عنها:

١- كان رأي أم سلمة سديدًا ومباركًا، حيث فهمت رضي الله عنها وعن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة، في حق نفسه، فأشارت على النبي ﷺ أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، فكان ذلك رأيًا سديدًا ومشورةً مباركةً، وفي ذلك دليل على استحسان مشاورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأي سديد[2]. كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل ويعمل النبي

---

[1] نوري، موفق سالم: فقه السيرة النبوية، ص ٣٢٤.

[2] النحوي، عدنان: ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، ص١٦١.



ﷺ بمشورتها لحل مشكلة اصطدم بها وأغضبته[1].

٢- أهمية القدوة العملية، فقد دعا رسول الله ﷺ إلى أمر وكرره ثلاث مرات، وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما قدم رسول الله ﷺ على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة تحقق المراد، فالقدوة العملية في مثل هذه المواقف أجدى وأنفع[2].

٣- حكم الإحصار في العمرة والحج: دلَّ عمل الرسول ﷺ بعد الفراغ من أمر الصلح، من التحلل والنحر والحلق، على أن المحصر يجوز له أن يتحلل، وذلك بأن يذبح شاة، حيث أحصر أو ما يقوم مقامها، ويحلق ثم ينوي التحلل مما كان قد أهل به، سواء كان حجًّا أو عمرة، كما دل على أن المتحلل لا يلزم بقضاء الحج أو العمرة إذا كان متطوعًا، وخالف الحنفية فرأوا أن القضاء بعد المباشرة واجب، بدليل أن جميع الذين خرجوا معه ﷺ في صلح الحديبية خرجوا معه في عمرة القضاء إلا من توفي أو استُشهد منهم في غزوة خيبر[3].

ما الذي استفاده المسلمون بعد صلح الحديبية:

١- لقد اعترفت قريش بحق المسلمين في زيارة الكعبة وأداء العمرة فيها، إلا أنها اشترطت عدم أدائها في ذلك العام، وأدائها في العام المقبل، وقد تم للمسلمين ما أرادوا، فقام الرسول ﷺ في السنة التالية بأداء العمرة، ومعه جميع المسلمين الذين صحبوه في أثناء صلح الحديبية، فضلا عن مسلمين آخرين رغبوا في أدائها، فكان عدد المسلمين الذين أدوا العمرة الألفين' وقد مكثوا في مكة ثلاثة أيام أدوا خلالها مناسك العمرة وأذن بلال لصلاة الظهر فوق ظهر الكعبة، ثم عادوا إلى المدينة بعد أن ظهروا لأهل مكة ما هم عليه من قوة ونظام وتماسك [4].

٢- أثبتت الأحداث أن الشرط الذي تخوف المسلمون منه في صلح الحديبية قد عمل لمصلحة المسلمين وعلى خلاف ما أرادت قريش، وذلك لأن المسلمين الذين لجأوا إلى الرسولﷺ فرفض قبولهم وردهم إلى قريش مثل أبي بصير، فإنهم لم يلبثوا أن هربوا من مكة وشكلوا قوة بلغ تعداد أفرادها حوالي السبعين رجلا فكانوا قد ضيقوا على قريش، ولا يظفرون بأحد إلا قتلوه، ولا تمر عير إلا اقتطعوها حتى أحرقوا قريشاً [5] لذا فقد كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ أن يضم هؤلاء الأفراد إليه إذ لا حاجة بها إليهم.

٣- إن توقيع قريش لصلح الحديبية مع الرسولﷺ كان يعني اعترافها الرسمي بأن دولة المدينة تشكل كياناً سياسياً مساوياً لها في المكانة، ومن ثم فإن من حق القبائل العربية أن تتعامل معه كما تتعامل معها على قدم المساواة، لذا فإن

---

[1] الديك، محمد:المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ص٢٧٣.

[2] الوكيل، محمد السيد: تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص٢١١.

[3] البوطي: فقه السيرة، ص٢٤٣.

[4] الملاح: الوسيط في السيرة النبوية، ص٢٦٢.

[5] الواقدي: المغازي٢/٦٢٧.



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net


قبيلة خزاعة قد بادرت فور توقيع الصلح إلى الدخول في "عقد محمد وعهده"[١]أي التحالف معه، ثم لم يلبث أن دخل معظم أفرادها في الإسلام[٢].

٤- إن صلح الحديبية الذي أرسى أسس العلاقات السلمية بين المسلمين وقريش قد أفسح المجال أمام القبائل العربيـــة وأبنائها للتحالف مع المسلمين أو الدخول في الإسلام دون خوف من غضب قريش أو معارضتها. يقول الزهـــري: فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلـــم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين بين صلح الحديبية وفتح مكة مثل مـــن كـــان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر" [٣].

---

[١]ابن هشام: السيرة النبوية٢/٣١٨.

[٢] الواقدي: المغازي٢/٦٢٩.

[٣]ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٣٢٢.



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الفصل السابع

غزوة خيبر

تمهيد:

لقد أصبَحَتْ خَيْبَرَ مَصْدر خطَر كَبْير عَلَى الُمسْلِمينَ وَدَولَتَهمْ النامِيَة بعد اجْلاء بَني النَّضِيرِ عَنِ المَدينَةِ وَنُزُول زُعَمَائِهمْ فِي خَيْبَرَ وَرَغْبتَهمْ العَارِمَة فِي استِعَادَةِ دِيَارِهمْ وَمَواقِعهمْ وَمَصَالِحهمْ فِي المَدينَةِ وقيامهم بِدَورٍ بَــارِز فِــي تَجْميــع الأحْزَاب وَحَشْدِهمْ ضد المُسْلِمينَ، بَلْ إنَهُمْ أنْفَقُوا أمْوَالَهمْ، واستَغَلوا عَلاقاتَهم معَ يَهْود بَنْي قُرَيْظَة مِنْ أَجل نُصْــرَةَ الأحْزَاب، لِذَلِكَ قَرَّرَ رَسُولِ اللهﷺ غَزْوَهُم وَمِنْ أَجْلِ التَعرفِ على أهم أَحْدَاث غَزْوَة خَيْبَر ومَا تَمَخَضَ عَنْهَا فَقَــدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْلِ إلى مَبْحَثَينِ مُسْتَقِلين.

المَبْحَثْ الأوَل:أَحْدَاث غَزْوَة خَيْبَر.

المَبْحَثْ الثَّانِي:المُسْتَفادِ مِنْ أَحْدَاث غَزْوَة خَيْبَر.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الاول

أحداث غزوة خيبر

وعد الله لأهل الحديبية بفتح خيبر:

تفرغ المُسْلِمونَ بَعدَ صُلحِ الْحُدَيْبِيَةِ لِتَصفيةِ خطَرِ يَهْود خَيْبَرَ الَّذِي أَصبَح يُهَدِدُ أمْنَ المُسْلِمينَ، ولَقدْ تضمنتْ سُورة الفَتْح الَّتِي نَزَلتْ بَعدَ الْحُدَيْبِيَةِ وَعْداً إلهيّاً بفَتْحِ خيْبَر وحيازَةِ أمْوَالِهَا غَنْيمَةً، قَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) [(١)].

فَأرَادَ المُنَافِقونَ الَّذِينَ تَخلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَخرُجُوا مَعَهُ إِلَى خَيْبَرْ، لما علموا ما بها مِنْ مَغَانمَ وَأمْوَال كَثْيرَة، فَمنَعهُمْ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الخُروجِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ} عن الْحُدَيْبِيَةِ {إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا} أي: إلى خيبر، {ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} أي: يُريدونَ أَنْ يُبَدِلُوا كَلَامَ اللَّهِ لَمَا وَعَدوهُ بأنَّ المَغَانمَ ستَكُونُ لِمنْ شَهدَ الْحُدَيْبِيَةِ وَبَايَعَ تَحْتَ الشَّجرَةِ -كَمَا تَقَدمَ فِي الآياتِ- {قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ} أيْ: قَالَ بأنَّ المَغَانمَ ستَكونُ لأهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ، (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أي: أن نُشْرِكُكُمْ فِي المَغَانِمَ، (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [(٢)]

أي: لَيْسَ الأمْر كَمَا زَعَمُوا، وَلَكِنْ لا فَهْمَ لَهُمْ [(٣)].

النبي ﷺ يسير إلى خيبر:

تفرغ المُسْلِمونَ بَعدَ صلح الْحُدَيْبِيَةِ لتصفية خطَرْ يَهْود خَيْبَرَ الَّذِي أَصبَحَ يُهَدِدْ أَمْنَ المُسلِمينَ، وَقدْ سَارَ الجَيْش إِلَى خَيْبَر فِي الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَة السَّابِعَة لِلهِجْرَةِ عَلَى أَرْجَحِ الأقوَال [(٤)] رُغْمَ الخِلافِ بَينَ مُؤلفي كُتُب السِّيرَةِ والمَغَازي حَوْلَ ذَلِك [(٥)].

---

(١) سورة الفتح: الآيات ١٨- ٢١.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٥.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير٢/ ٣٤٤.

(٤) قال بذلك ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٨، ابن حجر:فتح الباري ٧/ ٤٦٤.

(٥) يكمن مرد الخلاف في الأصل إلى الاختلاف في تحديد بداية السنة الهجرية الأولى فقد احتسب بعضهم الأشهر بين محرم وربيع الأول وهو شهر الهجرة مما نجم عن احتساب إضافة سنة واحدة كاملة الى تواريخ الحوادث بسبب أن السنة الهلالية الشرعية تبدأ من


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقادَ الرَسُولُ ﷺ جيْشَ المُسلِمينَ وكان عَدَدُهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ، فِيهِمْ ثَلَاثُ مِائَةِ فَارِسٍ [١]، فَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ لَيْلاً [٢]، واسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المَدينَةِ سباع بن عُرْفُطة [٣]، وَلَمْ يَغِبْ عَنِ المُشَارَكَةِ فِي غَزْوَةِ خَيْبَر أَحَدٌ مِنْ أَصْحَاب بَيْعَةِ الرضْوانِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ سِوَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[٤].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا غزَا رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَرَ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بالتَّكْبِيرِ الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:"ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسكُم، إنكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إنكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ"، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله، فَقَالَ لِي: "يَا عبد الله بن قيسٍ"، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ "، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله" [٥].

وصول جيش المسلمين إلى مشارف خيبر:

وعندما وصل جيش المسلمين إلى مشارف خيبر قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قفوا. ثم قال: « اللَّهُـمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرَضِينِ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا »، **اقدموا** بِاسْمِ اللَّهِ، **وكان يقولها لكل** قَرْيَةً دَخَلَهَا [٦].

المحرم، ومنهم من امتنع عن ذلك واهملها معتبرا ربيع الأول بداية التقويم، وبذلك فإنه أسقط تسعة أشهر من تاريخ الحوادث، وفي هذه المناسبة ذهب كل من الزهري ومالك إلى أن خيبر وقعت في المحرم من السنة السادسة (ابن عساكر: تاريخ دمشق ١/ ٣٣) في حين ذهب محمد بن سعد إلى أنها وقعت في جمادى الأولى سنة ٧ ه (الطبقات ٢/ ١٠٦) في حين اعتبرها شيخه الواقدي في صفر أو ربيع الأول السنة السابعة (المغازي ٢/ ٦٣٤).

[١] روى هذا الحديث أبو داود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في حكم ارض خيبر ٤/٦٢٨، حديث(٣٠١٥)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله، ولكن ضعفه في موضع آخر برقم (٢٧٣٦)، قال أبو داود: وأرى الوهم في حديث مُجَمِّع أنه قال: ثلاث مئة فارس، وكانوا مئتي فارس.

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٠، حديث(٤١٩٦).صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، من حديث سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – ٣/١٤٢٧، حديث(١٨٠٢).

[٣] إسناده قوي: أخرجه أحمد في مسنده: ١٤/ ٢٢٦، حديث ٨٥٥٢ وقال شعيب الأرنؤوط: وإسناده قوي.

[٤]أبو داود- السنن، كتاب الخراج والفيء والأمارة ٣/ ٤١٣، الحاكم- المستدرك، ٢/ ١٣١، وكان غياب جابر بعذر مشروع (ابن هشام- السيرة النبوية ٣/ ٤٦٧).

[٥] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٣، حديث(٤٢٠٥).صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ٤/٢٠٧٦، حديث (٢٧٠٤).

[٦] رواه الحاكم في مستدركه (٢/١١٠)، حديث(٢٤٨٨) وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وأقره الذهبي.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَمَّا أَدْرَكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ اللَّيْلِ أمَرَ الجَيْش بالنَومِ عَلَى مَشَارِفْ خَيْبَر، ثُمَّ اسْتَيْقَظُوا مُبَكِرِينَ، وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ وَمُعَسْكَرِهِمْ بوَادِي الرَّجِيع، وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ خَيْبَرَ وَغطَفَانَ، حَتَّى يَقْطَعُوا الْمَدَدْ عَنْ يَهُود خَيْبَر مِنْ قَبِيْلَة غطَفَان[1].

يَقُولُ أَنَسُ بن مَالِك ﷺ: فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بغَلَس، فرَكِبَ النَبِيُّ ﷺ، ورَكِبَ أبو طَلْحَة، وَأَنَا رَدِيفُ أبي طَلْحَة، فَأَجْرَى نَبِي اللهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وانحسَرَ الْإِزَارُ عَنْ فَخِذِ نبي الله، وإِنِّي لأرى بَيَاضَ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ.

يَقُولُ أَنَس: فَأَتَيْنَاهُمْ حِينَ بَزَغَتِ الشَّمْسُ، وقد أَخْرَجُوا مَوَاشِيَهُمْ، وَخَرَجُوا بفُئوسِهِمْ، وَمَكَاتِلِهِمْ[2]، وَمُرُورِهِمْ [3]، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ [4]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرات[5].فَلَمَّا رَأى أَهْلَ خَيْبَر جَيْشَ الْمُسْلِمينَ هَرَبُوا إلى حُصُونِهِمْ، فَتَحَصَنُوا بهَا. وَصَدقَ اللهُ إذْ يَقولُ: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾[6].

اليهود يهربون إلى حصونهم:

هَرَبَ الْيَهْود إلى حُصونهم وَحَاصَرهُمْ الْمُسْلِمونَ، وَقدْ وَاجهَ الْمُسْلِمونَ مُقَاوَمَة شَدِيدَةً وَصُعوبَةً كَبْيرَةً عِندَ فَتْحِ بَعضِ هَذِهِ الحُصونِ، وكَانتْ خَيْبَر مُنْقَسِمَة إلى شَّطْرِين، شَّطْرٍ فِيهَا خَمْسَةِ حُصونْ:

١ – حِصْن نَاعِم.

٢ – حِصْن الصَّعْبِ بْنِ مُعَاذٍ.

٣– حِصْن قَلْعَةِ الزُّبَيْر.

٤ – حِصْن أُبيٍّ.

٥ – حِصْن نَزَار.

وَالحُصون الثَّلاثَّة الأولَى مِنْهَا تَقعْ فِي مِنْطَقَة يُقال لَهَا: (النَّطَاةِ) وأمَّا الحِصْنَان الآخرَان فَيَقَعان فِي مِنْطَقةٍ تُسَمى بالشَّقِّ.

---

[1] عن مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، والمسور بْنِ مَخْرَمَةَ، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ فَأَقَامَ بهَا حَتَّى سَارَ إِلَى خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّجِيعِ– وَادٍ بَيْنَ خَيْبَرَ وَغَطَفَانَ– فَتَخَوَّفَ أَنْ تَمُدَّهُمْ غَطَفَانُ، فَبَاتَ بِهِ حَتَّى أَصْبَحَ فَغَدَا إِلَيْهِمْ. إسناده حسن: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٩٦، ١٩٧، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق "زاد المعاد": رجاله ثقات.

[2] المكاتل: جمع مِكتل– بكسر الميم –وهو القُفة.

[3] المرور: جمع مَرّ –بفتح الميم– وهي المساحي.

[4] الخميس: هو الجيش، وسمي خميسًا، لأنه خمسة أقسام ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب.

[5] متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٥/١٣١، حديث(٤١٩٧).صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر ٣/١٤٢٦، حديث ١٣٦٥.

[6] سورة الحشر: الآية ١٤.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما الشَّطْرِ الثَّاني، ويعرف بالْكَتِيبَةِ، ففيه ثَلاثَة حُصونٍ فَقطْ:

١ - حِصْن الْقَمُوصِ (وَكانَ حِصْن بَنِى أَبِى الْحُقَيْقِ مِنْ بَنِى النَّضِيرِ).

٢ - حِصْن الْوَطِيحِ.

٣ - حِصْن السُّلَالِمِ.

وَفِي خَيْبَر حُصون وَقِلاعْ غَيرَ هَذِه الثَمانِيَة، إِلاّ أَنْهَا كَانَتْ صَغْيرَة لا تَبْلُغ إِلَى دَرَجَةِ هَذهِ القِلاعْ فِي مَناعَتِها وَقُوتِها [1].

المسلمون يفتحون حصار ناعم:

حَاصَرَ النَّبيّ ﷺ حُصونِ يَهْود خَيْبَر، فَكانَ أولُ الحُصونِ حِصْن نَاعِم، وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَى اللِّوَاءَ أَبا بَكْر الصديق ﷺ، فَانْصرَفَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، ثُمَّ أَخذَهُ مِنْ الْغَدِ، فَخرَجَ وَلَمْ يُفتَحْ لَهُ، وَأَصابَ النَّاس يَوْمَئِذٍ شِدَّةٌ وَجَهْدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنِّي دَافِعٌ اللِّوَاءَ غَدًا إلى رَجُلٍ يُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ لَا يَرْجعُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ"، فبات الصحابة وأنفسهم طَيِّبَةٌ أَنَّ الْفَتْحَ غدًا، فَلَمَّا أَنْ أَصبحَ رَسُولُ الله ﷺ صَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ قَامَ قَائِمًا فَدَعَا بِاللِّوَاءِ وَالنَّاسُ عَلَى مَصَافِّهِمْ، فَدَعَا عَلِيًّا وَهُوَ أَرْمَدُ [2]، فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ اللِّوَاءَ وَفُتِحَ لَهُ [3].

وكَانَ عَلِيٌّ بن أبي طَالِبٍ ﷺقد تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ في خَيْبَرَ لمرض عينه، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَلَحِقَ بِهِ [4].

وعن سَهْل بن سَعْد ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ"، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُم أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُول الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فقَالَ: "أَيْنَ عَلِيُّ بن أبي طَالِب؟"، فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: "فَأَرْسَلُوا إِلَيهِ"، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ في عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا

---

[1] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٣٧٦.

[2] الرمد: مرض العين.

[3] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده: ٣٨/ ٩٨، حديث ٢٢٩٩٣. الحاكم:المستدرك ٣/ ٤٠، حديث ٤٣٤٢.

الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٦/ ١٥٠، حديث ١٠٢٠١صححه الحاكم، ووافقه الذهبي والهيثمي. وذكر الواقدي في مغازيه ٢/ ٦٥٧ أن حصن ناعم فتح بعد عشرة أيام، ولكن هذه الرواية تبين أنه فتح بعد ثلاثة أيام فقط.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ١٣٤/٥، حديث(٤٢٠٩).صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد، ١٤٣٣/٣، حديث(١٨٠٧).


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"(١).

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: خَرَجْنَا إِلَى خَيبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ:

تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا... فَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ هَذَا؟ "، قَالَ: أَنَا عَامِرٌ، قَالَ: "غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ"، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ، قَالَ: فَنَادَى عُمَرُ بن الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يَا نَبِي اللهِ لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَت تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ (٢)، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ (٣).

قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِي ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟"، قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: "كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ"، ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ"، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيهِ فَبَرَأَ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٥/١٣٤، حديث(٤٢١٠).صحيح مسلم: كتاب "فضائل الصحابة" باب فضائل علي – رضي الله عنه –٤/١٨٧٢، حديث(٢٤٠٦). وحُمْر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء.

(٢) يسفل له: أي يضربه من أسفل.

(٣) أي: قُتل.





أَنا الذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ... كَلَيثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ [١]

وَقَدْ استُشْهِدَ فِي حِصَار حِصْن نَاعِم مَحْمُودِ بْنِ مَسْلَمَةَ الذي ألقى عليه مَرْحَبٍ اليهودي رَحَاً مِنْ أَعْلَى الحِصْن[٢]، وَهَكَذا تَمَّ فَتح حِصْن نَاعِم بَعْدَ أَنْ استَمرَّ حِصَارَهُ عَشَرَةَ أيامٍ، وَكَانَ لِذَلِكَ أَثَرُهُ السلبيّ فِي هُبوطِ مَعْنَويات اليَهُوْدِ.

تصالح النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أهل خيبر:

عن عبد الله بن عمر ﷺأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيبَرَ أَرَادَ إِخرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ حِينَ ظَهر عَلَيْهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَأَرَادَ إِخرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، فَسَأَلَتْ الْيَهُودُ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُقِرَّهُمْ بِهَا عَلَى أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا، وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ:"نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا" [٣].

فكان الصلح مع يهود خيبر مشروطًا بإخراجهم إذا شاء المسلمون ذلك.

ولذلك أخرجهم عُمَرُ ﷺفي إمارته وقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ الله – ﷺ

كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نُخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، وَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيَلْحَقْ بِهِ، وَإِنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ، فَأَخْرَجَهُمْ [٤].

وَكانَ سَببُ إِخْرَاجِهِمْ أَنَّهمْ اعتَدَوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ عِنْدَمَا ذَهبَ إِلى مَالِهِ هناك ليلاً، فقَامَ عُمَرُ – رضي الله عنه – خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَامَلَ أهل خَيبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمْ الله وَإِنَّ عبد الله بن عُمَرَ خَرَجَ إِلى مَالِهِ هُنَاكَ فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنْ اللَّيْلِ فَفُدِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ [٥]، وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرَهُمْ، هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهْمَتُنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بني أبي الْحُقَيْقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَعَامَلَنَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ: "كَيفَ بِكَ إِذَا

---

[١] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد، ٣/١٤٣٣، حديث(١٨٠٧).

[٢] سيرة ابن هشام: ٢/٣٣١.

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٤/٩٥، حديث(٣١٥٢). صحيح مسلم: كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من التمر والزرع ٣/١١٨٦، حديث(١٥٥١).

[٤] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في حكم أرض خيبر، ٤/٦٢٢، حديث(٣٠٠٧) وقال الألباني: حسن صحيح.

[٥] الفدع: هو زوال المفصل. وأخرج البخاري حديثًا معلقًا: أنهم ألقوه من فوق بيت ففدعوا يديه.



أُخْرِجْتَ مِنْ خَيبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ لَيلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ" [١]، فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أبي الْقَاسِمِ [٢]، فقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ الله، فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ الثَّمرِ مَالًا وَإِبلًا وَعُرُوضًا مِنْ أَقْتَاب وَحِبَال وَغَيْر ذَلِكَ [٣].

وكان النبي ﷺ قد صالح أهل خيبر على أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيِّبُوا شَيئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ، فَغَيَّبُوا مَسْكًا لِحُيَيٍّ بن أَخْطَبَ، وَقَدْ كَانَ قُتِلَ قَبْلَ خَيْبَرَ، كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ يَوْمَ بني النَّضِيرِ حِينَ أُجْلِيَتْ النَّضِيرُ، فِيهِ حُلِيُّهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَعْيَةَ [٤]: "أَيْنَ مَسْكُ حُيَيٍّ بن أَخْطَبَ؟ "، قَالَ: أَذْهَبَتْهُ الْحُرُوبُ وَالنَّفَقَاتُ، فَوَجَدُوا الْمَسْكَ، فَقَتَلَ رسول الله ﷺ ابْنَ أَبي الْحُقَيقِ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذَرارِيَّهُمْ [٥].

تقسيم النبي ﷺ غنائم خيبر:

لَمَّا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةِ سَهْمًا، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَلْفٌ وَثَمَانمِائَةِ سَهْمٍ، لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمٌ كَسَهْمِ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ[٦]، وَهُوَ مَا غَنمَهُ الْمُسْلِمونَ مِنْ مِنْطقتي الشِّقِّ وَالنَّطَاةِ وَمَا أُحِيزَ مَعَهُمَا، وَعزَلَ رَسُولُ الله ﷺ النِّصْفَ الْآخرَ، وَهُوَ أَلْفٌ وَثَمَانمِائَةِ سَهْمٍ لِنَوَائِبِهِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعلَ النَّبِيُّ ﷺ لِهَذَا الْقِسْمِ مَا حَازَهُ الْمُسْلِمونَ مِنْ حُصُونِ: الْوَطِيحَ، وَالْكُتَيْبَةِ، والسُّلالم وَتَوابِعَها[٧].

قال البيهقي رحمه الله:

قَالَ البيهقي: وَهَذَا لِأَنَّ خَيْبَرَ فُتِحَ شَطْرُهَا عَنْوَةً وَشَطْرُهَا صُلْحًا، فَقَسَمَ مَا فُتِحَ عَنْوَةً بَيْنَ أَهْلِ الْخُمُسِ وَالْغَانِمِينَ، وَعَزَلَ مَا فُتِحَ صُلْحًا لِنَوَائِبِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ[٨].

---

[١] القلوص -بفتح القاف-: الناقة الصابرة على السير، وقيل: الشابة، وفي ذلك إشارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى إخراجهم من خيبر وكان ذلك من إخباره بالغيبيات قبل وقوعها.

[٢] هزيلة: تصغير هزل، وهو ضد الجد.

[٣] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب: الشروط، باب: إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك٣/١٩٢، حديث(٢٧٣٠).

[٤] عم حيي بن أخطب.

[٥] حسن: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في حكم أرض خيبر، ٤/٦٢٠، حديث(٣٠٠٦) وحسنه الألباني.

[٦] ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٢٩١.

[٧] ورد هذا التقسيم في عدة أحاديث- صحيحة، صححها العلامة محمَّد ناصر الدين الألباني، أخرجها أبو داود في سننه، انظر: "سنن أبي داود"، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في حكم أرض خيبر.

[٨] ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٢٩١.

قال ابن القيم رحمه الله:

فَالصَّوَابُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهَا فُتِحَتْ عَنْوَةً، وَالْإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِي أَرْضِ الْعَنْوَةِ بَيْنَ قَسْمِهَا وَوَقْفِهَا، أَوْ قَسْمِ بَعْضِهَا وَوَقْفِ الْبَعْضِ، وَقَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْوَاعَ الثَّلَاثَةَ، فَقَسَمَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَلَمْ يَقْسِمْ مَكَّةَ، وَقَسَمَ شَطْرَ خَيْبَرَ وَتَرَكَ شَطْرَهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ كَوْنِ مَكَّةَ فُتِحَتْ عَنْوَةً بِمَا لَا مَدْفَعَ لَهُ [(١)].عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ وَلِلرَّاجِلِ[(٢)] سَهْمًا قَالَ فَسَّرَهُ نَافِعٌ فَقَالَ إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ فَرَسٌ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَسٌ فَلَهُ سَهْمٌ[(٣)].

وَقَدْ أَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ السَّفِينَةِ مِنْ مُهَاجِرة الْحَبَشَةِ الَّذِينَ حَضَرُوا بَعدَ الفَتْح، جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابه، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَهم [(٤)].

وَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ بَنْي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ مِنْ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى، وَلَمْ يَقْسِمْ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ مِنْ ذَلِكَ السَهْم [(٥)].

عن جُبَيرِ بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: فَلَمَّا كَاد يَوْمُ خَيْبَرَ وَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى فِي بني هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَتَرَكَ بني نَوْفَلٍ وَبَنِي عبد شَمْسٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بن عَفَّانَ حَتَّى أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله هَؤُلَاءِ بنو هَاشِمٍ لَا نُنْكِرُ فَضلَهُمْ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَكَ الله بِهِ مِنْهُمْ، فَمَا بَالُ إِخْوَانِنَا بني الْمُطَّلِبِ أَعْطَيْتَهُمْ وَتَرَكْتَنَا وَقَرَابَتُنَا

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٢٩٢. قلت: والأدلة ترجح كلام ابن القيم رحمه الله من أنها فتحت عَنوة، وذلك لما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فأصبناها عَنوة، وصححه الألباني وقد وردت أحاديث تفيد بأن بعضها فُتح عنوة وبعضها فتح صلحًا انظر: "سنن أبي داود": ٣٠٠٩ - حدَّثنا داودُ بن معاذ، حدَّثنا عبد الوارث (ح) وحدَّثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ وزيادُ بن أيوبَ، أن إسماعيلَ بن إبراهيمَ، حدَّثهم، عن عبد العزيز بن صُهَيبٍ عن أنس بن مالك: أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - غزا خيبرَ فأصبناها عَنْوَةً، فجُمِعَ السبْيُ.

٣٠١٧ - حدثَنا محمدُ بن يحيى بن فارسٍ، حدَّثنا عبدُ الله بن محمد، عن جُوَيرية، عن مالكٍ، عن الزهريِّ أن سعيد بن المُسيَّب أخبره: أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - افتتح بعض خيبر عنوةً.

(٢) الراجل: الذي يقاتل على رجله بلا فرس.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٦، حديث(٤٢٢٨).صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين ٣/١٣٨٣، حديث(١٧٦٢).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر٥/١٣٨، حديث(٤٢٣٣).

(٥) تُقَسَّم غنيمة المسلمين إلى خمسة أخماس: أربعة منها توزع على المقاتلين، وخمس لله ورسوله ويقسم خمسة أسهم، توزع على من ذكرهم الله في هذه الآية: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [الأنفال: ٤١].

وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّا وَبَنُو الْمُطَّلِبِ لَا نَفْتَرِقُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ"، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ [1].

قال ابن كثير رحمه الله:

وأما سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى فَإِنَّهُ يُصْرَفُ إِلى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، لأن بَنِي الْمُطَّلِبِ آزَرُوا بَنِي هَاشِمٍ فِي الجَاهِلِيَةِ وَفِي أَوَلِ الإِسْلام، وَدَخَلوا مَعَهُمْ فِي الشِّعْبِ غَضَبَاً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وحماية له: مسلمهم طَاعَةً لله وَلِرَسُولِهِ، وَكَافِرِهِمْ حَمِيَّةً للعشيرة وَأَنَفَةً وَطَاعَةً لأَبِي طَالبْ عَمَّ رَسُولِ اللهِ، وَأَمَّا بَنُو عبد شَمْسٍ و بَنُو نَوْفَلٍ – وَإِنْ كَانُوا أَبْنَاءَ عَمِهِمْ- فَلَمْ يُوَافِقوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ حَارَبُوهمْ وَنَابَذوهُمْ، وَمَالؤوا بُطُونَ قُرَيْشٍ عَلَى حَرْبِ الرَسُولِ [2].

وقد وَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ عُمَيراً مِنَ الغَنْيمَةِ وَلَمْ يُسهم لَهُ [3]. يقول عُمَيْرٌ مَوْلَى آبِي اللَّحْمِ[4]: شَهِدْتُ خَيْبَرَ مَعَ سَادَتِي، فَكَلَّمُوا فِيَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ [5]، فَأَمَرَ بِي، فَقُلِّدْتُ سَيْفًا، فَإِذَا أَنَا أَجُرُّهُ [6]، فَأُخْبِرَ أَنِّي مَمْلُوكٌ، فَأَمَرَ لِي بِشَيْءٍ مِنْ خُرْثِيِّ [7] الْمَتَاعِ [8].

وَيَروِيْ أَبُو هُرَيْرَةَ قِصَّةً لَهُ مع أبان بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ فَيَقولُ رضي الله عنه: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَانَ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنْ الْمَدِينَةِ قِبَلَ نَجْدٍ، فَقَدِمَ أَبَانُ بن سَعِيدٍ وَأَصْحَابُهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا، وإِنَّ حُزُمَ [9] خَيْلِهِمْ لِيفٌ، فَقَالَ أَبَانُ: اقْسِم لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَا تَقْسِمْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ أَبَانُ: أَنْتَ

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب: فرض الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس للإمام وأنه يعطي بعض قرابته دون بعض، ما قسم النبي – صلى الله عليه وسلم – بني المطلب وبني هاشم من خُمس خيبر٤/٩١، حديث(٣١٤٠). وأبو داود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى، واللفظ له.٤/٥٩٦، حديث(٢٩٨٠).

[2] مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ١٠٧.

[3] لم يُسْهِم له: أي لم يعطه سهمًا معلومًا كبقية الجيش، وإنما أعطاه شيئًا من الغنيمة ترضية له، وهذا هو حكم العبد المملوك في الشريعة الإسلامية أنه إذا قاتل مع المسلمين لا يسهم له كبقية الجنود، وإنما يعطى من الغنيمة ما يراه الأمير.

[4] قال وكيع: كان لا يأكل اللحم. اه. فلذلك سمي آبي اللحم.

[5] أي: في شأني وحقي بما هو مدح لي. "عون المعبود" ٧/ ٢٨٦.

[6] فإذا أنا أجُرُّه: أي أسحب السيف على الأرض من صغر سنين. عون المعبود" ٧/ ٢٨٦.

[7] خُرثَى المتاع: أي أثاث البيت كالقدر وغيره. عون المعبود" ٧/ ٢٨٦.

[8] صحيح: أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في المرأة والعبد يُحذيان من الغنيمة، ٤/٣٦٣، حديث(٢٧٣٠). اخرجه الترمذي في سننه: كتاب السير، باب هل يُسهم للعبد؟٤/١٢٧، حديث(١٥٥٧).مسند الامام احمد ٣٦/٢٧٠، حديث ٢١٩٤٠، وصححه الالباني.

[9] حُزُم: جمع حزام، وهو ما يُشَدُّ به الوسط.



بِهَا يَا وَبْرُ تَحَدَّرُ عَلَيْنَا مِنْ رَأسِ ضَالٍ [1]! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اجْلِسْ يَا أَبَانُ"، وَلَمْ يَقْسِمْ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ [2].وَكَانَتْ ثِمَار خَيْبَر كَثْيرَةً جداً، حَتَّى إِنَّ عَبدُ اللهِ بنْ رَوَاحَةَ رضي الله عنه قَدرُهَا بَأربعينَ أَلْفَ وَسْقٍ.

تقدم أن النبي ﷺ صَالحَ أَهْلَ خَيبَرَ على نِصْفَ ما يَخْرُجْ مِنْ ثِمَارِهَا، فَلَمَّا كَانَ حِينَ يُصْرَمُ النَّخْلُ[3]، بَعَثَ إِلَيْهِم النبي ﷺ عبد الله بن رَوَاحَةَ فَحَزَرَ عَلَيهِمْ النَّخْلَ [4]، فَقَالَ: فِي ذِهْ كَذَا وَكَذَا، فقَالُوا: أَكْثَرْتَ عَلَيْنَا يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، فَقَالَ ابن رواحة: فَأَنَا أَلِي حَزْرَ النَّخْلِ وَأُعْطِيكُمْ نِصفَ الَّذِي قُلْتُ [5]، قَالُوا: هَذَا الْحَقُّ وَبِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، قَدْ رَضِينَا أَنْ نَأْخُذَهُ بِالَّذِي قُلْتَ [6].فلما قال لهم ابْنُ رَوَاحَةَ ذلك أَخَذُوا الثَّمرَ وَعَلَيْهِمْ عِشْرُونَ أَلْفَ وَسْقٍ [7].

وَلِكَثرةِ ثِمارِ خيبَر، وَمَا أَخذَه المُسْلِمونَ مِنْهَا، كَانَ فِي ذَلِكَ تَوسِعَة عَلَى المُسْلمينَ وإغناءً لَهُمْ، حتى إن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهيقول: مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ [8]وقالت عَائِشَةَ – رضي الله عنها –: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، قُلْنَا: الآنَ نَشْبَعُ مِنْ التَّمْرِ [9].

وَلَمَّا وَسَّعَ اللهُ عَلى المُهَاجِرينَ وَأَخذُوا مِنْ غَنَائِمْ خَيْبَر، رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إلى الْأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمْ الَّتِي كَانُوا مَنَحُوهُمْ إياها حِينَ هَاجَروا مِنْ مَكَّةَ، حتى إن النَّبيَّ ﷺ قد ردَّ عِذَاقًا [10]على أُمُّ سُلَيْمٍ كان قد أَعْطَاهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ أَيْمَنَ، فَردَّ عَلَى أُم سُلَيْمٍ عِذاقَهَا، وأعْطَى أُمَّ أَيْمَنَ مَكَانَهُنَّ مِنْ حَائِطِهِ [11].

---

(1) فقال أبان: أنت بها، أي: أنت تقول بهذا، يا وَبْرُ. عن أبي حاتم أن العرب يُسمى كل دابة من حشرات الجبال وَبْرًا، وقيل هي دابة صغيرة كالهرة وحشية، تَحدَّر علينا: أي تهجم علينا بغتة، من رأس ضال: قال ابن دقيق العيد: الضال هو السدر البري. اه والمعنى تنزل علينا من رأس شجر السدر.

(2) صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ١٣٨/٥، حديث(٤٢٣٨). أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في من جاء بعد الغنيمة لا سهم له، واللفظ له ٣٥٦/٤، حديث(٢٧٢٣).

(3) يصرم النخل: أي يقطع.

(4) الحزر: التقدير.

(5) المعنى: أنهم لما قالوا له: أكثرت علينا، واتهموه بالظلم وأن الثمار أقل من ذلك، فلو أعطوه عشرين ألف وَسْق وهو نصف ما قدَّره ابن رواحة سيتبقى لهم أقل من ذلك، فقال لهم ابن رواحة إذن أعطيكم أنا عشرين ألف وسق وآخذ ما تبقى.

(6) صحيح: أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب في المساقاة، ٢٨٧/٥، حديث(٣٤١٠).اخرجه ابن ماجه: كتاب الزكاة، باب خرص النخل والعنب، ٥٨٢/١، حديث(١٨٢٠) وصححه الألباني.

(7) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب البيوع، باب في الخرص، ٢٩٠/٥، حديث(٣٤١٥) وصححه الألباني.

(8) صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر١٤٠/٥، حديث(٤٢٤٣).

(9) صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر ١٤٠/٥، حديث(٤٢٤٢).

(10) العذاق: جمع عذق، وهو عرجون النخل.

(11) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الهبة، باب فضل المنيحة، ١٦٥/٣، حديث(٢٦٣٠).صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والتمر حين استغنوا عنها بالفتوح،

تحريم لحوم الحُمُر الأهلية[1]:

عَنْ سَلَمَةَ بن الْأَكْوَعِ ﷺقَالَ: فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ أَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا هَذِهِ النِّيرَانُ؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟ "، قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ:"عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟ "، قَالُوا: لَحْمِ حُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ نُهَرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: "أَوْ ذَاكَ" [2].

وعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَهُ جَاءٍ، فَقَالَ: أُكِلَتْ الْحُمُرُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: أُكِلَت الْحُمُرُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: أُفْنِيَتْ الْحُمُرُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُم عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَأُكْفِئَتْ الْقُدُورُ، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ [3].

قدوم جعفر بن أبي طالب، ومن معه من مهاجري الحبشة:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺقَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النبي ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ[4]، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمَا أَحَدُهُمَا أبو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أبو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: بِضْعًا، وَإِمَّا قَالَ: ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بن أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النبي ﷺحِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ [5].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺقَالَ: قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَسَمَ لَنَا، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَنَا [6].

٣/١٣٩١، حديث(١٧٧١).

[1] الحمر الأهلية، ويقال الإنسية: هي الحمر المستأنسة التي تعيش في البيوت، وهي غير الحمر الوحشية.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٠، حديث(٤١٩٦).صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، من حديث سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - ٣/١٤٢٧، حديث(١٨٠٢).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣١، حديث(٤١٩٩).صحيح مسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية٣/١٥٤٠، حديث (١٩٤٠).

[4] أي: بلغنا مبعثه، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - حينها بمكة.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٧، حديث(٤٢٣٠). صحيح مسلم: كتاب "فضائل الصحابة" باب من فضائل جعفر بن أبي طالب ٤/١٩٤٦، حديث(٢٥٠٢).

[6] صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر٥/١٣٨، حديث(٤٢٣٣).



قصة زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حُيي بن أخطب:

عَنْ أَنَس بن مَالِكٍ ﷺ في قصة خيبر، قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً فَجُمِعَ السَّبْيُ فَجَاءَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِي الله أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ، قَالَ: "اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً"، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بنت حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبي ﷺ فَقَالَ: يَا نَبي الله أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: "ادْعُوهُ بِهَا"، فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبيُّ ﷺ قَالَ: "خُذْ جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ غَيْرَهَا"، قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بالطَّرِيق جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ"، وَبَسَطَ نِطَعًا فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ الله ﷺ [١].

وعن أنس أيضًا قال: أَقَامَ النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ خَيْبَرَ وَالْمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ، فَدَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إِلى وَلِيمَتِهِ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ، وَمَا كَانَ فِيهَا إِلَّا أَنْ أَمَرَ بِلَالًا بِالْأَنْطَاعِ فَبُسِطَتْ، فَأَلْقَى عَلَيْهَا التَّمْرَ، وَالْأَقِطَ، وَالسَّمْنَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ وَمَدَّ الْحِجَابَ [٢].

ويقول أنس ﷺ: قَدِمْنَا خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ الْحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ بن أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا النَّبيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ صَنَعَ حَيسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: "آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ"، فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَتَهُ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلى الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ [٣]، وجعَلَ النبي ﷺ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا [٤].

يهودية تهدي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاة مسمومة:

قَامَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ، امْرَأَةُ سَلَّامِ بْنِ مِشْكَمٍ، بإهداء شَاةً مَصْلِيَّةً [٥] إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيَّ عُضْوٍ مِنْ الشَّاةِ أَحَبُّ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقِيلَ لَهَا: الذِّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنْ السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، فَلَاكَ مِنْهَا

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: الصلاة، باب: ما يذكر في الفخذ، ٨٣/١، حديث(٣٧١). صحيح مسلم:كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها.١٠٤٣/٣، حديث(١٣٦٥).

[٢] صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر١٣٥/٥، حديث(٤٢١٣).

[٣] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر١٣٥/٥، حديث(٤٢١١).

[٤] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ١٣٢/٥، حديث(٤٢٠٠).صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمه ثم يتزوجها١٠٤٥/٢، حديث(١٣٦٥).

[٥] مصلية: مشوية.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مُضْغَةً، فَلَمْ يُسغْهَا، وَمَعَهُ بشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُور، قَدْ أَخذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا[١]، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفظَهَا، ثُمَّ قَالَ: إنَّ هَذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ[٢]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: "اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُود"، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟ "، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ أَبُوكُم؟ "، قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ"، فَقَالُوا: صدَقْتَ وَبَرِرْتَ، فَقَالَ: "هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ "، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، قَالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ "، فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اخْسَئُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا"، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "فَهَلْ أَنْتُم صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ "، قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: "هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟ "، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ "، فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَم يَضُرَّكَ [٣].

وعَنْ أَنسِ بن مَالِكٍ ﷺأَن النبي ﷺ سَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، فَقَالَ: "مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ"، قَالَ أنس: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ [٤] رَسُولِ اللهِ ﷺ[٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ رسول اللهِ ﷺ: "ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ" [٦].

فرفض النبي قتلها في أول الأمر -كما تقدم- ثم إن بِشْرَ بن الْبَرَاءِ بن مَعْرُورٍ مات عن جرَّاء ما أكل من السم، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُتِلَتْ به [٧].

وكان هذا السم من أسباب مرض النبي ﷺ مرض الوفاة.

عن عَائِشَة – رضي الله عنها – قالت: كَانَ رسول اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: "يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ"[٨].

---

[١] أساغها: بلعها.

[٢] سيرة ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٣٣٨.

[٣] صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: ما يُذكر في سُمِّ النبي – صلى الله عليه وسلم -٧/١٣٩، حديث(٥٧٧٧).

[٤] لَهَوَات: جمع لهاة، وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، كأنه بقي للسم علامة في فم النبي – صلى الله عليه وسلم -.

[٥] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين٣/١٦٣، حديث(٢٦١٧).صحيح مسلم: كتاب السلام، باب السَّم، حديث٤/١٧٢١، حديث(٢١٩٠).

[٦] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه؟٦/٥٦٦، حديث(٤٥١٢) وصححه الألباني "صحيح السنن".

[٧] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه؟٦/٥٦٥، حديث(٤٥١١) وصححه الألباني "صحيح السنن".

[٨] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي – صلى الله عليه وسلم – ووفاته، ٦/٩، حديث(٤٤٢٨).





المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة خيبر

المستفاد من إعطاء الرسول ﷺالراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رأينا أن النبي ﷺ أعطى الراية راية القتال إلى علي رضي الله عنه، وعلل ذلك: بأن الله سيفتح على يديه، أي يفتح عليه حصن يهود خيبر، فيكون ذلك مفتاح النصر وخذلان اليهود، ويقتضي هذا الفتح قدرة رضي الله عنه وصلاحيته ن ليكون سبباً للفتح الذي يأتي به الله تعالى. وعلى هذا ينبغي لقيادة المسلمين أن تقسم المناصب فتعطي كل واحد من الأعمال ماهو قادر عليه ومتمكناً منه كل حسب اختصاصه وكفاءته، وهذا هو نهج الرسول ﷺوخلفاؤه من بعده، فقد أعطى ﷺ القيادة في بعث السرايا إلى خالد بن الوليد منذ أن اسلم، وكذلك فعل أبو بكر مع خالد، وأيضاً فإن كل إنسان ميسر لما خلق له. وفي بعض الأحيان قد تتحقق مصلحة العمل الإسلامي على يد العضو المرجوح؛ لكونه معروفاً في هذا المكان، أو له مترلة عند أهل المكان كأن يكون ابن عشيرة، ونحو ذلك من المرجحات في اسناد العمل له مع وجود من هو أولى بالعمل منه، وهذا الجواز في اسناد العمل للمفضول مع وجود الفاضل، مشروط بتحقق الحد الأدنى من الصفات والشروط المطلوبة لذلك العمل [١].

المستفاد من ابقاء اليهود في خيبر لزراعتها ورعاية شجرها:

أن خيبر كانت واسعة الأطراف وفيها من الحدائق والمزارع ما يحتاج للأيدي الكثيرة التي مارست أشغال الزراعة والفلاحة، ولم يكن من العرب من مارس ذلك إلا التزر اليسير. وفوق ذلك لم يرض الرسول أن يترك من أنصاره من يستوطن هذه الأرض ويعمل بها لاحتياجه إليهم في الأعمال الحربية، ولم يكن في الإمكان ترك هذه الأرض الخصبة بورا لا تنتج زرعا ولا ثمرا والدولة الإسلامية الناشئة كانت في أشد الحاجة إلى الأموال الكثيرة، فلم يكن بد من الإبقاء على اليهود ليعملوا في هذه الأرض وينتجوا منها الزرع والثمر، ولذا كانت شروط الصلح التي عقدت بين الطرفين في مصلحة المسلمين أكثر منها في جانب المغلوبين، وما دامت شوكة اليهود في الحجاز قد انكسرت فليس ما يخشى من وجود يهود خيبر في أراضيهم[٢].

---

[١] زيدان، عبد الكريم:المستفاد من قصص القرآن٢/٣٧٧.

[٢] ولفنسون، اسرائيل:تاريخ اليهود، ص١٦٩.



المستفاد من خطة الرسول ﷺ في الاستيلاء على حصون اليهود:

كانت خطة الرسول ﷺفي الاستيلاء على حصون اليهود المنيعة في خيبر تتلخص بمشاغلة بعضها بقوات صغيرة، وتركيز الهجوم على حصن واحد بقواته الرئيسية حتى يتم له الاستيلاء على الحصن ثم ينتقل بهجومه المركز إلى حصن آخر، كما أنه قسم قواته إلى أقسام بالنسبة إلى قبائلها وبطوها، وجعل لكل قسم قائدا حتى يشتد التنافس بين القوات ولكي يقوم بعضها بالمشاغلة بينما يأخذ الباقي قسطا من الراحة ليستأنف القتال مرتاحا عند الحاجة. إن هذه الخطة تتفق مع أحدث الخطط العسكرية الحديثة في قتال المدن والأحراش، ولو أنه قام بالقتال بأسلوب الكر والفر أو بأسلوب الصفوف في مثل هذا الموقف لما كتب للمسلمين النصر [١].

المستفاد من استنفار الرسول ﷺ في غزوة خيبر الراغبين في الجهاد فقط بدون الغنائم:

استنفر الرسول ﷺ في غزوة خيبر الراغبين لها في الجهاد فحسب دون الغنائم. ذلك أن يهود خيبر كانوا أقوى الطوائف اليهودية بأسا وأعظمها دربة على القتال، ولذلك وقفت شبه الجزيرة كلها متطلعة إلى هذه الغزوة. وكان كثيرون يتوقعون أن تدور الدائرة على المسلمين [٢].وكان النبي ﷺ يدرك أنه لو فشل أمام خيبر فسيتغير ميزان القوى من جديد وربما حدثت نكسة أعادت لأعدائه قوتهم وحماستهم لقتاله، وحالت دون إتمام الوحدة التي يعمل لها النبي ويسعى إليها، لذلك كان يريد جيشا مؤمنا بأهدافه مقدرا للظروف.. يريد سيوفا تحركها قوة النفس لا جشعها، وكان جيش محمد كما أراده، قليلا بعدده كثيرا بإيمان رجاله وثبات نفوسهم وتصميمهم على الوصول لأهدافهم[٣].

المستفاد من زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب:

وكان زواج رسول الله ﷺ بصفية فيه حكمة عظيمة، فهو لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة، أو إشباعًا لغريزة، كما يزعم الأفاكون، وإنما أراد إعزازها وتكريمها، وصيانتها من أن تفترش لرجل لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها، وهذا إلى ما فيه من العزاء لها، قد قتل أبوها من قبل، وزوجها وكثير من قومها، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسول معها، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام والانضواء تحت لوائه والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد[٤].

---

[١] شيت خطاب، الرسول القائد ص ٢٠٨- ٢٠٩.

[٢] ولفنسون، اسرائيل:تاريخ اليهود، ص١٦٢.

[٣] الشريف، احمد ابراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ص٤٩٥.

[٤] الصلابي : السيرة النبوية ٣/٤٩٨.



المستفاد من جعل رسول الله ﷺ هدفه أول الأمر السيطرة على الطريق الواصل بين خيبر وغطفان:

جعل الرسول ﷺهدفه أول الأمر السيطرة على الطريق الواصل بين خيبر وغطفان ليحول بين هؤلاء وبين أن يمدوا حلفاءهم في خيبر. وكان بنو غطفان، لدى سماعهم بتوجه الرسول إلى خيبر، قد خرجوا ليساندوا اليهود ضده لقاء نصف ثمار خيبر لذلك العام، فاضطرهم الرسول ﷺ للعودة إلى ديارهم بعد أن أوهمهم أن هجومه متجه إليهم، ومن ثم انفرد بخيبر وباغتها فجرا حيث كان أهلوها ورجالها قد خرجوا إلى مزارعهم بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا الرسول ﷺيقود جيش المسلمين تمالكهم الخوف ونادوا «محمد والخميس» وهربوا لائذين بحصونهم، وهيؤوا أنفسهم لحصار طويل، فنادى الرسول ﷺملقيا مزيدا من الرعب في قلوبهم: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» [1].

بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالغزوة:

وردت في غزوة خيبر أحكام شرعية كثيرة منها:

١- تحريم أكل لحوم الحمر الأنسية: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية[2].

٢- حرمة وطء السبايا الحوامل: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره» [3].

٣- حرمة وطء السبايا غير الحوامل قبل استبراء الرحم: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها» [4].

والاستبراء إنما يكون بأن تطهر من حيضة واحدة فقط، ولا تجب عليها العدة وإن كانت متزوجة من كافر سواء مات أو بقي حيًّا؛ لأن العدة وفاء الزوج الميت وحداد عليه، ولا يحد على الكافر كما علمت[5].

٤- حرمة ربا الفضل: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءه بتمر جنيب فقال رسول الله ﷺ: «كل تمر خيبر هكذا؟» فقال: لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع

---

[1] ابن كثير: السيرة النبوية ٣/٣٧١. الصلابي : السيرة النبوية ١/٦٩٩. الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية ٣/٦٢.

[2] أبن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد٣/٣٠٥. أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٥، حديث(٤٢١٥).

[3] رواه الطبراني في معجمه الكبير:٥/٢٦، حديث (٤٤٨٢).

[4] محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١٠/١٧٣.

[5] أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود ٣/١٣٤.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من هذا بالصاعين والثلاثة، فقال: «لا تفعل بعِ الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبًا»[1]. فالتفاضل مع اتحاد الجنس هو ربا الفضل، إذ اشترى صاعًا بأكثر من صاع، فالزيادة هنا هي الربا، وهذا محرم، كما رأيت إذ نهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلى الحل السليم بأن يبيع ما لديه من تمر ثم يشتري بما لديه من نقود ما يشتهي من تمر؛ لأن الحاجة قد تدفع صاحبها إلى قبول الربا[2].

٥- حرمة بيع الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين: روى عن عبادة بن الصامت أنه قال: نهانا رسول الله يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين، وقال «ابتاعوا تبر الذهب بالورق والعين، وتبر الفضة بالذهب والعين»[3]. والمراد من الحديث: أن يباع الذهب بالذهب مثلاً بمثل والفضة بالفضة مثلاً بمثل، بلا زيادة ولا نقص، وعندما يقابل الذهب بالفضة لا تشترط المماثلة، كما هو معلوم وثابت في الصحاح[4].

٦- مشروعية المساقاة والمزارعة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أعطى النبي ﷺ خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها[5].

وقد تساءل بعض الباحثين: لِمَ جاءت أحكام هذه البيوع في خيبر وما الحكمة من ذلك؟ وأجاب الشيخ محمد أبو زهرة على هذا فقال: إن فتح خيبر كان فتحًا جديدًا بالنسبة للعلاقات المالية التي يجري في ظلها التبادل المالي، فكانت فيها شرعية المزارعة والمساقاة و لم تكن تجري كثيرًا في يثرب[6].

٧- حل أكل لحوم الخيل: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر، ورخص في الخيل[7].

٨- تحريم المتعة: عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر[8].

٩- نَهَى رسول الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ [9].

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - على أهل خيبر ١٤٠/٥، حديث(٤٢٤٤، ٤٢٤٥).

[2] أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود١٣٤/٣.

[3] ابن هشام: السيرة النبوية ٣٣٢/٢.

[4] فيض الله، محمد فوزي: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ، ص٣٢١.

[5] البخاري، كتاب المغازي، بَاب مُعَامَلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ خَيْبَرَ، ١٤٠/٥، حديث ٤٢٤٨.

[6] أبو زهرة، الشيخ محمد: خاتم النبيين ﷺ٨٢١/٣. أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود ١٣٦/٣.

[7] البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ١٣٦/٥، حديث ٤٢١٩.

[8] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ١٣٥/٥، حديث(٤٢١٦).صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، ١٠٢٧/٢، حديث(١٤٠٧).

[9] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ١٣٥/٥، حديث(٤٢١٥).صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب نهى من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها مما له من رائحة كريهة عن حضور المسجد حتى تذهب تلك الريح وإخراجه من

١٠- مشاركة المرأة في غزوة خيبر: روت أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلن: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -وهو السير إلى خيبر- فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله، قالت: فخرجنا معه، قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله، قالت: وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال: «ما لك؟ لعلك نفست؟» قالت: قلت: نعم؟ قال: «فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك» قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبدًا[١]، وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها، قالت: وكانت لا تطهر من حيضها، إلا جعلت في طهرها ملحًا، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت[٢]. وهي صورة حية أمام كل فتاة مسلمة، تحرص على أن تشارك في أجر الجهاد مع المسلمين[٣].

وهكذا كانت حياة الرسول ﷺ تعليمًا وتربية للأمة في السلم والحرب على معاني العقيدة وحقيقة العبادة، وهذا غيض من فيض وجزء من كل. هذا وقد أحدث فتح خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء دويًّا هائلاً في الجزيرة العربية بين مختلف القبائل، وقد أصيبت قريش بالغيظ والكآبة إذ لم تكن تتوقع ذلك، وهي تعلم مدى حصانة قلاع يهود خيبر، وكثرة مقاتليهم ووفرة سلاحهم ومؤونتهم ومتاعهم، أما القبائل العربية الأخرى المناصرة لقريش فقد أدهشها خبر هزيمة يهود خيبر وخذلها انتصار المسلمين الساحق؛ ولذلك فإنها جنحت إلى مسالمة المسلمين وموادعتهم بعد أن أدركت عدم جدوى استمرارها في عدائهم، مما فتح الباب واسعًا لنشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن تعززت مكانة المسلمين في أعين أعدائهم إلى جانب ما تحقق له من خير وتعزيز لوضعهم الاقتصادي[٤].

المسجد، ١/٣٩٣، حديث(٥٦١).النهي عن أكل الثوم للكراهة لا للتحريم، وعلل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا بأن ريحها يؤذي الناس كما يؤذي الملائكة أيضًا.

[١] ابن كثير: البداية والنهاية٦/٣١٢.

[٢] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٣٤٣.

[٣] الغضبان، منير محمد: فقه السيرة النبوية، ص٥٣٤.

[٤] الصلابي: فقه السيرة النبوية ١/٧١٣.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

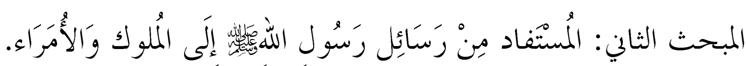
الفصل الثامن

دعوة الملوك والأمراء

تمهيد:

لَمْ يَكْتَفِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا حَقَقَهُ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَة معَ قُرَيْش وَمَا تَلا ذَلِكَ مِنْ إخْضَاعِ يَهْود شَمال الحِجَاز فِي خَيْبَر وَوَادِي القُرَى وَتَيمَاء وَفدَك إِلَى السِّيَادَةِ الإِسْلامِيَّة، بَلْ عَمَدَ إِلَى نَشْرِ الإِسْلام خَارِج حُدودِ الجَزيرَةِ العَرَبيَة، وَقَدْ عَبَّرَ عَلَيهِ الصَلاةِ وَالسَّلامِ عَنْ هَذَا المَنْهَج قَوْلاً وَعَمَلاً مِنْ خِلال إِرْسَالِهِ عَدَداً مِنَ الرُسُلِ وَالمَبْعُوثِينَ إِلَى أُمَرَاءِ الجَزيرَةِ العَرَبيَةِ وَإِلَى مُلُوكِ العَالَمِ المُعَاصِر خَارِج الجَزْيرَةِ العَرَبيَةِ. وَقَدْ حَقَقَتْ هَذِه السِّيَاسَةِ إِلَى ابْتِكَارِ أُسْلوب جَديدٍ فِي التَعامُل الدُّوَلِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُه العَرَب وَلا غَيرهِمْ مِنَ الشُعوب مِنْ قَبْلُ، وَأَضْحتْ لِلدَولَةِ الإسْلامِيَّةِ مَكَانَتها وَقُوتَها عَلَى المَسْرَحِ السِّيَاسِي الدَاخِلِي، وَفَرَضَتْ وُجودَهَا عَلَى السَّاحَةِ السِّيَاسِيَّة الدَّوليَةِ. وَسَنَتناوَل فِي هَذا الفَصْل أَهَم الكُتبْ الَّتِي ارْسَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المُلوكِ وَالأمَرَاءِ وَالمُستَفادِ مِنْهَا فِي مَبْحَثَين مُتَتَاليين وَكَمَا يَلِي:

المَبْحَث الأَوَل: مُكَاتَبَةِ المُلوك وَالأُمَرَاء.


المبحث الثاني: المُسْتَفاد مِنْ رَسَائِل رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى المُلوك وَالأُمَرَاء.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول

مكاتبة الملوك والأمراء

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُسُلَهُ إلى المُلوكِ وَالأُمَرَاءِ المُحِيطينَ بالجَزيرةِ غرَّة المُحرَّم سَنَة سَبْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ قَبْلَ الخُروجِ إِلَى خيْبَر بأيَامٍ[1]، دَعَاهُمْ فِيهَا إلَى الإسْلامِ[2] ورَغَّبهمْ ورَهَّبهمْ، وفِيمَا يَلي نُصوصِ هَذهِ الكُتُب، وبَعْض مَا تَمخَضتْ عَنهُ:

١- الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة:

وَهَذَا النَّجَاشِيّ اسْمُهُ أَصْحَمَة بنْ الأبْجَر، كَتَبَ إلَيْهِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ.

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إلَى النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ أَسْلِمْ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مريم الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[3] .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَأَنَّ بِشَارَةَ مُوسَى بِرَاكِبِ الْحِمَارِ كَبِشَارَةِ عِيسَى بِرَاكِبِ الْجَمَلِ، وَأَنَّ الْعِيَانَ لَيْسَ بِأَشْفَى مِنَ الْخَبَرِ، ثُمَّ كَتَبَ النَّجَاشِيُّ جَوَابَ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ النَّجَاشِيِّ أصحمة سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى لَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ثُفْرُوقًا إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعِثْتَ بِهِ إِلَيْنَا، وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدَّقًا، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[4].

---

[1] المنصورفوري: رحمة للعالمين ١٧١/١.

[2] عَنْ أَنَسِ بن مالك – رضي الله عنه – أَنَّ نَبِيَّ الله – صلى الله عليه وسلم – كَتَبَ إلى كِسْرَى وإلَى قَيصَرَ وإلَى النَّجَاشِيِّ وإلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إلى الله تَعَالَى. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كُتُب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ملوك الكفار، يدعوهم إلى الله – عز وجل – حديث(١٧٧٤).

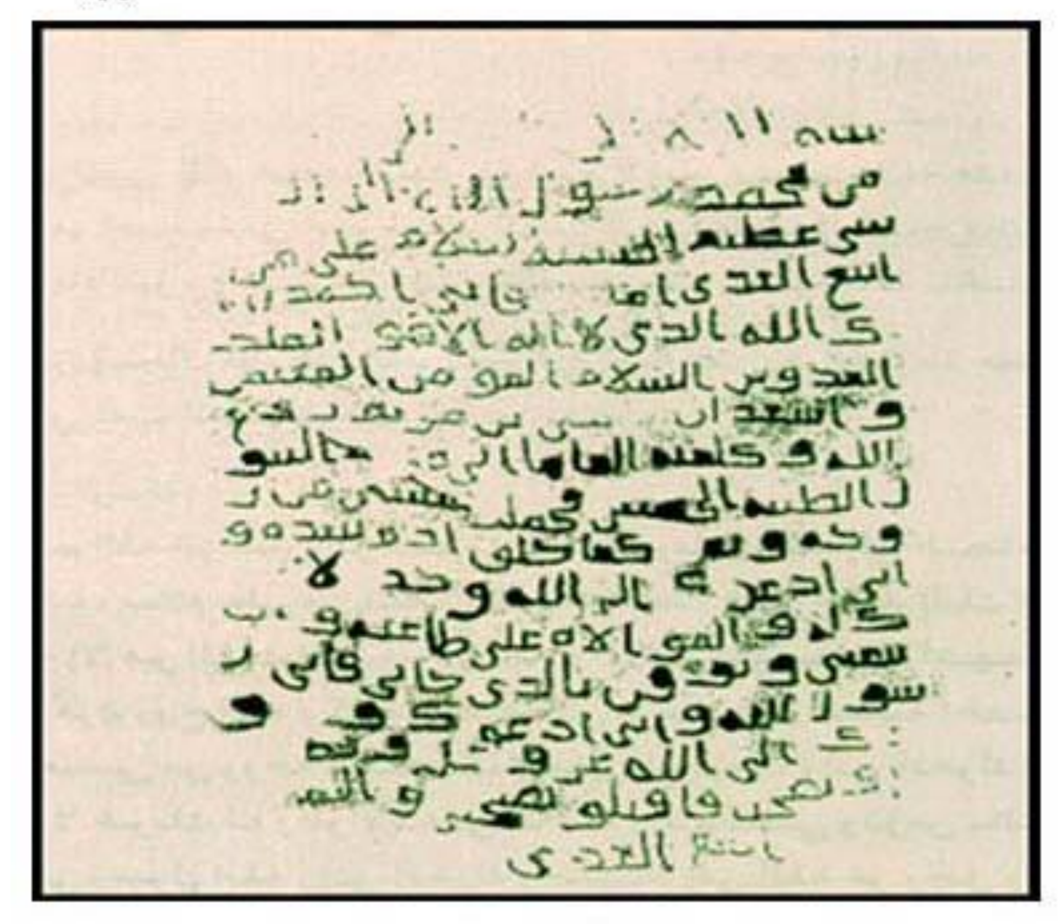
[3] ابن القيم:زاد المعاد ٦٠١/٣.

[4] ابن القيم:زاد المعاد ٦٠٢/٣.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صورة



رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم

(من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلمٌ أنت، فأني أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وأني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله وأني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢-الكتاب إلى المقوقس ملك مصر:

وكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُقَوْقَسِ، جُرَيْجُ بْنُ ميناءَ مَلِكُ الإسْكَنْدَرِيَّةِ وعَظِيمِ الْقِبْطِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى المقوقس عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْقِبْطِ **يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** [١]".

وَبَعَث بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَلَمَّا دَخلَ عَلَيْهِ قالَ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ قَبْلَكَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، فَانْتَقَمَ بِهِ ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ، فَاعْتَبِرْ بِغَيْرِكَ وَلَا يَعْتَبِرْ غَيْرُكَ بِكَ. فَقَالَ: إِنَّ لَنَا دِينًا لَنْ نَدَعَهُ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، فَقَالَ حاطب: نَدْعُوكَ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ فَقْدَ مَا سِوَاهُ، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ دَعَا النَّاسَ، فَكَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ، وَأَعْدَاهُمْ لَهُ الْيَهُودُ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ النَّصَارَى، وَلَعَمْرِي مَا بِشَارَةُ مُوسَى بِعِيسَى إِلَّا كَبِشَارَةِ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ، وَمَا دُعَاؤُنَا إِيَّاكَ إِلَى الْقُرْآنِ إِلَّا كَدُعَائِكَ أَهْلَ التَّوْرَاةِ إِلَى الْإِنْجِيلِ وَكُلُّ نَبِيٍّ أَدْرَكَ قَوْمًا فَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، فَالْحَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَأَنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ هَذَا النَّبِيُّ، وَلَسْنَا نَنْهَاكَ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ، وَلَكِنَّا نَأْمُرُكَ بِهِ. فَقَالَ المقوقس: إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ هَذَا النَّبِيِّ فَوَجَدْتُهُ لَا يَأْمُرُ بِمَزْهُودٍ فِيهِ، وَلَا يَنْهَى عَنْ مَرْغُوبٍ فِيهِ، وَلَمْ أَجِدْهُ بِالسَّاحِرِ الضَّالِّ، وَلَا الْكَاهِنِ الْكَاذِبِ، وَوُجِدَتْ مَعَهُ آيَةُ النُّبُوَّةِ بِإِخْرَاجِ الْخَبْءِ، وَالْإِخْبَارِ بِالنَّجْوَى، وَسَأَنْظُرُ. وَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَهُ فِي حُقٍّ مِنْ عَاجٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ، ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ المقوقس عَظِيمِ الْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٌ، وَبِكِسْوَةٍ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، وَلَمْ يُسْلِمْ، وَالْجَارِيَتَانِ مارية وسيرين وَالْبَغْلَةُ دُلْدُلُ بَقِيَتْ إِلَى زَمَنِ معاوية[٢].

---

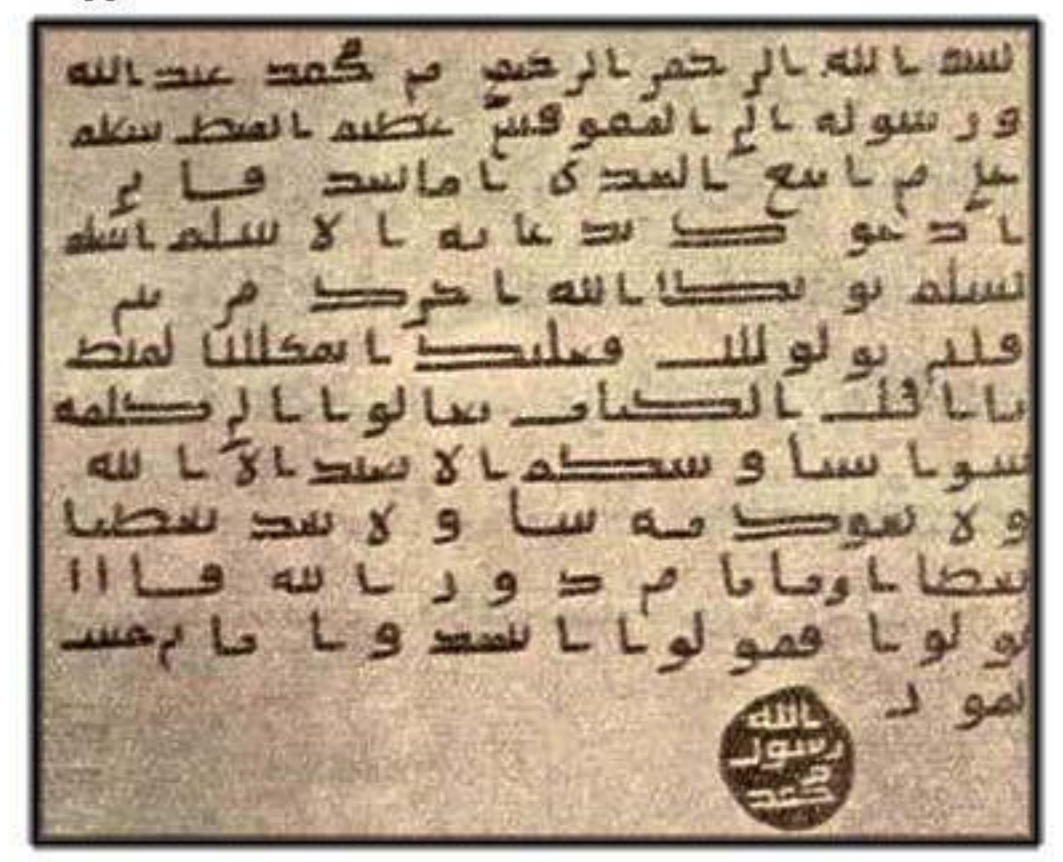
[١] سورة آل عمران: الآية ٦٤.

[٢] ابن القيم:زاد المعاد ٣/٦٠٣.





صورة



رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم كل القبط. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: الآية ٦٤)




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣-الكتاب إلى كسرى ملك فارس:

كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى مَلِكْ فَارِس:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَن مُحَمَّد عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَدْعُوكَ بِدُعَاية اللَّهِ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ.

أَسْلِمْ تَسْلَمْ فإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمَ الْمَجُوسِ » [١].

واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ[٢] فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ [٣].

[١] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٥٤٢/١.

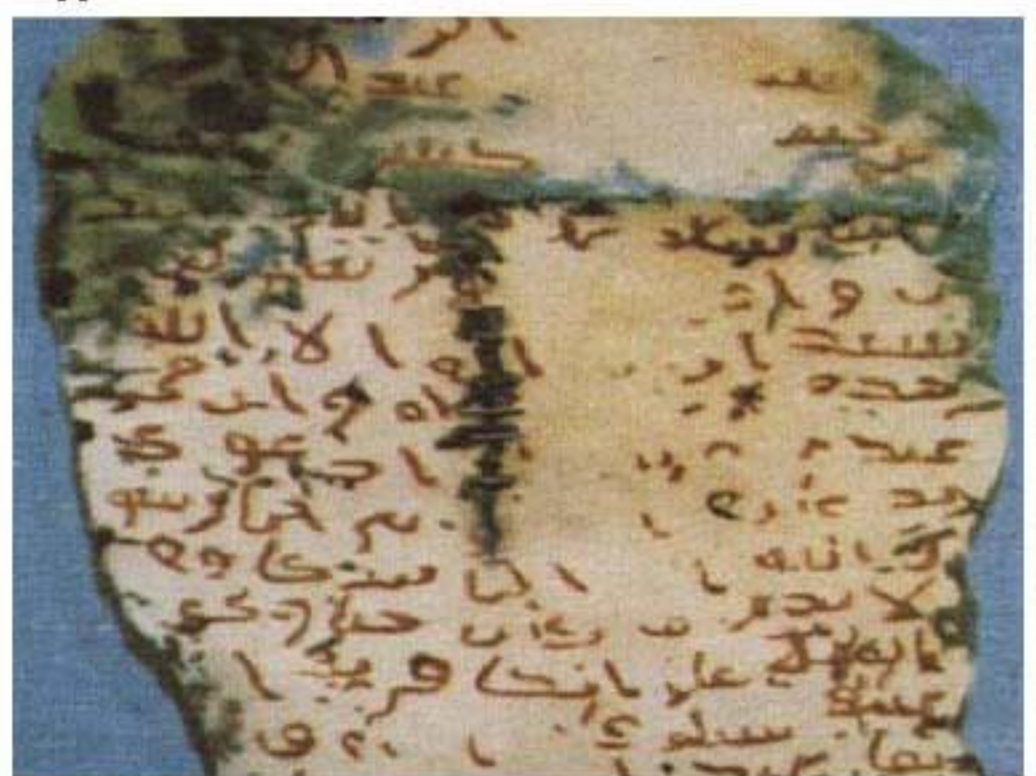
[٢] وهو ملك البحرين المنذر بن ساوى.

[٣] صحيح البخاري: كتاب العلم، باب قول المتحدث حدثنا ٢٤/١، حديث ٦٤.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صورة



رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس

بسم الله الرحمن الرحيم،
(من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فأني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فأن أبيت فعليك أثم المجوس)

٤-الكتاب إلى قيصر ملك الروم:

أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيّ، وَلَمَّا وَصلَ هِرَقْلَ كِتابُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ إلى أبي سُفْيَانَ بْنَ حَرْب - وَكَانَ لا يَزَال عَلَى الشِّرْكِ - فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّة الَّتِي كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْش[1]، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ [2]، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا

---

[1] في المدة التي مادَّ فيها أبا سفيان أي: في الهدنة وهي هدنة الحديبية.

[2] إيلياء: اسم مدينة ومعناه بيت الله.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَصحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَى كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُم أَحَدٌ قطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أحدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ، وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَم يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُم يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أحدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ [(١)]، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عبد الله وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ [(٢)] قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [(٣)] ".

[(١)] لتجشمت لقاءه: لتكلفت لقاءه.

[(٢)] الأريسيون: الفلاحون وكان أغلب الروم يعملون بالزراعة.

[(٣)] سورة آل عمران: الآية ٦٤.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَ أبو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لأصحابي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أبي كَبْشَةَ [1]إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بني الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً [2] يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إلى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ، قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إلى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إلى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ[3] لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هذا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا[4] حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إلى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[5].

وعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَكْتُبَ إلى الرُّومِ قِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَنْ يَقْرَءُوا كِتَابَكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقْشُهُ مُحَمَّد رَسُولُ اللهِ، فَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إلى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ [6].

---

[1] أبو كبشة: أحد أجداد النبي نسبه أبو سفيان إليه.

[2] حزاء: كاهن.

[3] الدسكرة: بناء على هيئة القصر، وهي كلمة ليست عربية.

[4] حاصوا: أي نفروا كالحمر.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب رقم (٥)، ١/١٠حديث(٧). صحيح مسلم:كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ٣/١٣٩٣، حديث (١٧٧٣).

[6] صحيح: أخرجه البخاري:كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم٧/١٥٧، حديث(٥٨٧٥).


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ، مُحَمَّد سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللهِ سَطْرٌ"[1].



[1] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب هل يُجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر. ١٥٨/٧، حديث(٥٨٧٨).



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



صورة



ختم الرسول صلى الله عليه وسلم
وهو موجود باسطنبول - تركيا

٥-الكتاب إلى المنذر بن ساوى:

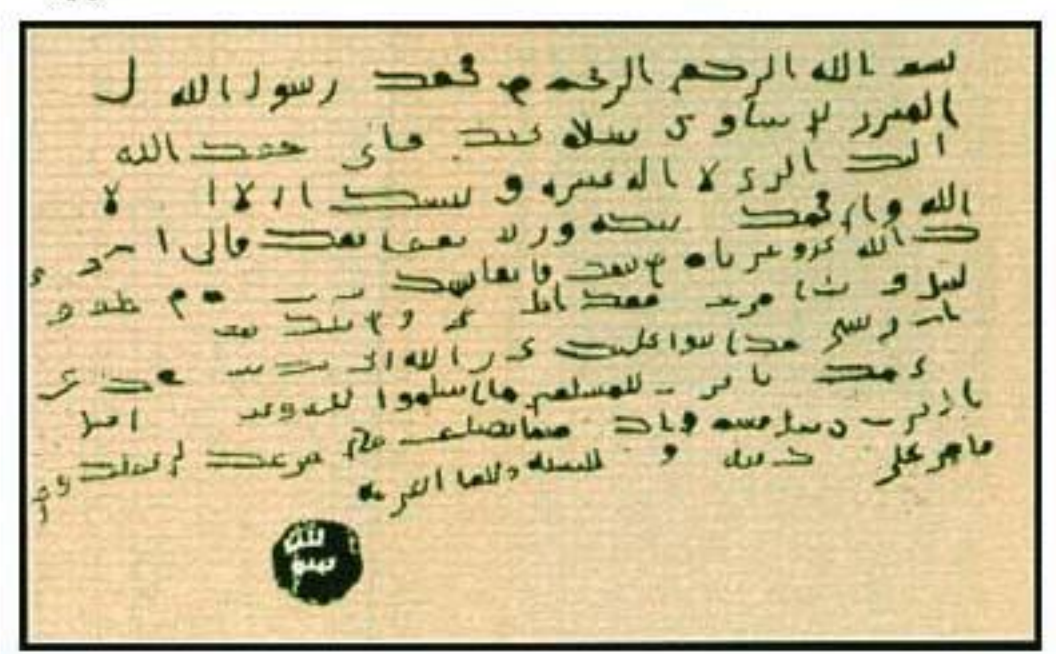
وكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ ساوى حاكم الْبَحْرَيْنِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وبَعَثَ إِلَيهِ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ بِذَلِكَ الكِتَابِ، فَكَتَبَ الْمُنْذِرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا بَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ، وَدَخَلَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ وَبِأَرْضِي مَجُوسٌ وَيَهُودُ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ[١]، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّاغَيْرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي

[١] محمد الانصاري: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي٢/٢٨٠.



وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِكَ، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ فَلَنْ نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِكَ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ مَجُوسِيَّةٍ فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ»)[1].

صورة



رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمير البحرين

"بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى،سلام عليك ،فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عز و جل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه،وإنه من يطيع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه،وعفوت عن أهل الذنوب ،فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك من عملك .ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية"

(1) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي ١/١٤٦.



٦–الكتاب إلى هَوذة بن علي صاحب اليمامة:

وَكَتَبَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، اعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ"

واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو الْعَامِرِيّ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سليط بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُومًا أَنْزَلَهُ وَحَيَّاهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَدًّا دُونَ رَدٍّ، وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ، وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي، فَاجْعَلْ إِلَيَّ بَعْضَ الْأَمْرِ أَتْبَعْكَ، وَأَجَازَ سليطا بِجَائِزَةٍ، وَكَسَاهُ أَثْوَابًا مِنْ نَسْجِ هَجَرٍ، فَقَدِمَ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ وَقَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ فَقَالَ: («لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةً مِنَ الْأَرْضِ مَا فَعَلْتَ بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ»).

فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَتْحِ، جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِأَنَّ هوذة قَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («أَمَا إِنَّ الْيَمَامَةَ سَيَخْرُجُ بِهَا كَذَّابٌ يَتَنَبَّأُ يُقْتَلُ بَعْدِي " فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ») فَكَانَ كَذَلِكَ[1].

٧–الكتاب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق:

كَتَبَ إِليْهِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَبْقَى لَكَ مُلْكُكَ»[2].

واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ الْأَسْدِيّ، وَلَمَّا أَبْلَغَهُ الكِتَاب رَمَى بِهِ وَقَالَ: مَنْ يَنْزِعْ مُلْكِي مِنّي؟ أنا سَائِرٌ إِلَيهِ، وَلَمْ يُسْلِم. وَاسْتَأْذَنَ قَيْصَرَ فِي حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَثَنَاهُ عَنْ عَزْمِه، فَأَجَازَ الْحَارِثِ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ بِالْكُسْوَةِ وَالنَفَقةِ، وَرَدَّهُ بِالحُسْنَى[3].

٨–الكتاب إلى ملك عُمان:

كِتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَاباً إِلَى مَلِكْ عُمَانَ جَيْفَرٍ، وَأَخِيهِ عَبْد ابْنَيْ الْجُلُنْدَى، وَنَصُهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللَّهِ، إِلَى جَيْفَرٍ، وَعَبْدٍ ابْنَيْ الْجُلُنْدَى، السَلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَا تَسْلَمَا، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ

---

[1] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٦٠٧ ٦٠٨.

[2] القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/٥٥٠.

[3] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٣٦٧.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالْإِسْلَامِ، وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرَّا بِالْإِسْلَامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ، وَخَيْلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا "[1].

واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَابِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ عمرو: فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى عُمَانَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، عَمَدْتُ إِلَى عبد، وَكَانَ أَحْلَمَ الرَّجُلَيْنِ وَأَسْهَلَهُمَا خُلُقًا، فَقُلْتُ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكَ وَإِلَى أَخِيكَ، فَقَالَ: أَخِي الْمُقَدَّمُ عَلَيَّ بِالسِّنِّ وَالْمُلْكِ، وَأَنَا أُوصِلُكَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْرَأَ كِتَابَكَ، ثُمَّ قَالَ: وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ؟ قُلْتُ: أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِهِ، وَتَشْهَدُ أَنَّ محمدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: يَا عمرو إِنَّكَ ابْنُ سَيِّدِ قَوْمِكَ فَكَيْفَ صَنَعَ أَبُوكَ، فَإِنَّ لَنَا فِيهِ قُدْوَةً؟ قُلْتُ مَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ أَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ حَتَّى هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، قَالَ: فَمَتَى تَبِعْتَهُ؟ قُلْتُ: قَرِيبًا فَسَأَلَنِي أَيْنَ كَانَ إِسْلَامُكَ؟ قُلْتُ: عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ أَسْلَمَ، قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعَ قَوْمُهُ بِمُلْكِهِ؟ فَقُلْتُ: أَقَرُّوهُ وَاتَّبَعُوهُ، قَالَ: وَالْأَسَاقِفَةُ وَالرُّهْبَانُ تَبِعُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: انْظُرْ يَا عمرو مَا تَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ خَصْلَةٍ فِي رَجُلٍ أَفْضَحَ لَهُ مِنَ الْكَذِبِ، قُلْتُهُ: مَا كَذَبْتُ وَمَا نَسْتَحِلُّهُ فِي دِينِنَا، ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَى هرقل عَلِمَ بِإِسْلَامِ النَّجَاشِيِّ، قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: كَانَ النَّجَاشِيُّ يُخْرِجُ لَهُ خَرْجًا فَلَمَّا أَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَوْ سَأَلَنِي دِرْهَمًا وَاحِدًا مَا أَعْطَيْتُهُ، فَبَلَغَ هرقل قَوْلُهُ، فَقَالَ لَهُ: يَنَّاقُ أَخُوهُ: أَتَدَعُ عَبْدَكَ لَا يُخْرِجُ لَكَ خَرْجًا وَيَدِينُ دِينًا مُحْدَثًا؟ قَالَ هرقل: رَجُلٌ رَغِبَ فِي دِينٍ فَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مَا أَصْنَعُ بِهِ وَاللَّهِ لَوْلَا الضَّنُّ بِمُلْكِي لَصَنَعْتُ كَمَا صَنَعَ، قَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ يَا عمرو، قُلْتُ: وَاللَّهِ صَدَقْتُكَ.

قَالَ عبد: فَأَخْبِرْنِي مَا الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ؟ قُلْتُ: يَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَيَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَعَنِ الزِّنَى وَعَنِ الْخَمْرِ وَعَنْ عِبَادَةِ الْحَجَرِ وَالْوَثَنِ وَالصَّلِيبِ. قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ لَوْ كَانَ أَخِي يُتَابِعُنِي عَلَيْهِ لَرَكِبْنَا حَتَّى نُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ وَنُصَدِّقَ بِهِ، وَلَكِنْ أَخِي أَضَنُّ بِمُلْكِهِ مِنْ أَنْ يَدَعَهُ وَيَصِيرَ ذَنَبًا، قُلْتُ: إِنَّهُ إِنْ أَسْلَمَ، مَلَّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فَرَدَّهَا عَلَى فَقِيرِهِمْ. قَالَ: إِنَّ هَذَا لَخُلُقٌ حَسَنٌ وَمَا الصَّدَقَةُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْإِبِلِ.

قَالَ يَا عمرو: وَتُؤْخَذُ مَنْ سَوَائِمِ مَوَاشِينَا الَّتِي تَرْعَى الشَّجَرَ وَتَرِدُ الْمِيَاهَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرَى قَوْمِي فِي بُعْدِ دَارِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ يُطِيعُونَ بِهَذَا، قَالَ: فَمَكَثْتُ بِبَابِهِ أَيَّامًا وَهُوَ يَصِلُ إِلَى أَخِيهِ، فَيُخْبِرُهُ كُلَّ خَبَرِي، ثُمَّ إِنَّهُ دَعَانِي يَوْمًا، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ أَعْوَانُهُ بِضَبُعَيَّ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَأُرْسِلْتُ فَذَهَبْتُ لِأَجْلِس فَأَبَوْا أَنْ يَدْعُونِي أَجْلِس فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ مَخْتُومًا فَفَضَّ خَاتَمَهُ وَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَخَاهُ أَرَقَّ مِنْهُ، قَالَ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ صَنَعَت؟ فَقُلْتُ: تَبِعُوهُ إِمَّا رَاغِبٌ فِي الدِّينِ وَإِمَّا مَقْهُورٌ بِالسَّيْفِ. قَالَ وَمَنْ مَعَهُ؟ قُلْتُ: النَّاسُ قَدْ رَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَاخْتَارُوهُ عَلَى غَيْرِهِ وَعَرَفُوا

---

[1] محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي ١/١٦٢.



بِعُقُولِهِمْ مَعَ هُدَى اللَّهِ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ، فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ غَيْرَكَ فِي هَذِهِ الْحَرَجَةِ، وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُسْلِمِ الْيَوْمَ وَتَتْبَعْهُ يُوطِئْكَ الْخَيْلَ، وَيُبِيدُ خَضْرَاءَكَ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَيَسْتَعْمِلْكَ عَلَى قَوْمِكَ، وَلَا تَدْخُلْ عَلَيْكَ الْخَيْلُ وَالرِّجَالُ.
قَالَ: دَعْنِي يَوْمِي هَذَا وَارْجِعْ إِلَيَّ غَدًا.

فَرَجَعْتُ إِلَى أَخِيهِ، فَقَالَ: يَا عمرو إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ إِنْ لَمْ يَضِنَّ بِمُلْكِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ أَتَيْتُ إِلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لِي فَانْصَرَفْتُ إِلَى أَخِيهِ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ، فَأَوْصَلَنِي إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا أَضْعَفُ الْعَرَبِ إِنْ مَلَّكْتُ رَجُلًا مَا فِي يَدِي وَهُوَ لَا تَبْلُغُ خَيْلُهُ هَاهُنَا، وَإِنْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ أَلْفَتْ قِتَالًا لَيْسَ كَقِتَالِ مَنْ لَاقَى. قُلْتُ: وَأَنَا خَارِجٌ غَدًا، فَلَمَّا أَيْقَنَ بِمَخْرَجِي، خَلَا بِهِ أَخُوهُ، فَقَالَ: مَا نَحْنُ فِيمَا قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَدْ أَجَابَهُ، فَأَصْبَحَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُوَ وَأَخُوهُ جَمِيعًا وَصَدَّقَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلَّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَبَيْنَ الْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي[1].

---

[1] ابن طولون:إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ١/ ١٠٠.



المبحث الثاني

المستفاد من رسائل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء

١- نلاحظ أن جميع كتب الرسول ﷺ التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء يفتتحها ﷺ بالبسملة، والبسملة آية من كتاب الله تبارك وتعالى، وفي تصدير الكتاب بها أمور مهمة، كاستحباب بدء الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم اقتداء برسولنا محمد ﷺ، فقد واظب عليها في كتبه صلى الله عليه وسلم، كما فيها جواز كتابة آية من القرآن الكريم في كتاب، وإن كان هذا الكتاب موجهًا إلى الكافرين، وفيها جواز قراءة الكافر لآية أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن كتب رسول الله ﷺ تضمنت البسملة وغيرها، وفيها جواز قراءة الجنب لآية أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن هذا الكافر الذي أرسلت إليه الرسالة تضمنت البسملة وغيرها لا يحترز من الجنابة والنجاسة، فيقرأ الرسالة التي اشتملت على آيات من القرآن الكريم وهو جنب.

٢- جميع الرسائل كانت تهدف إلى الدعوة إلى الإسلام، وبذلك خرجت الدعوة الإسلامية بهذه الوسيلة من نطاق الجزيرة العربية إلى آفاق العالم الأوسع.

٣- اختار رسول الله ﷺ اللغة العربية كلغة مخاطبة مع اختلاف أسلوب التخاطب وصياغته، كان هناك الحديث بالرفق واللين، وكانت هناك الشدة والحزن، فإن المتكبرين لا يعرفون أسلوب الرفق، ويعدون ذلك عجزاً من المخاطب، لذا اختار رسول الله ﷺ هذه الاساليب ليدل بذلك على حكمته وبلاغته، فبينما نجده يخاطب النجاشي بقوله (...وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي...).نجده عليه السلام يخاطب كسرى بأسلوب آخر فيه من رحمة المؤمن وشفقته، وكذلك من عزته وقوته، فقال: (من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ اللَّهِ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا...) [(١)].

٤- مشروعية إرسال السفراء المسلمين إلى زعماء الكفر؛ لأن كل كتاب كان يكتبه الرسول ﷺ يكلف رجلاً من المسلمين يحمله إلى المرسَل إليه.

٥- مشروعية الكتابة إلى الكفار في أمر الدين والدنيا.

٦- ينبغي أن يكتب في الكتاب اسم المرسل والمرسل إليه وموضوع الكتاب وهو واحد في جميع الكتب ويتلخص في دعوتهم إلى الإسلام.

٧- عدم بدء الكافر بتحية الإسلام، وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ لأن النبي ﷺ لم يطرح السلام في كتبه على ملك من ملوك الكفر بل كان يصدر كتبه بقوله: السلام على من اتبع الهدى، أي آمن بالإسلام، ويؤخذ

[(١)] المهيري: الموسوعة في سماحة الإسلام، ص١١٣.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من هذا عدم جواز مخاطبة الكافر بتحية الإسلام.

٨- اتخاذ الخاتم: فقد كان رسول الله ﷺ يختم رسائله بعد كتابته بخاتمه، وقد كتب عليه ثلاث كلمات:

الله

رسول

محمد [١]



فعن أنس رضي الله عنه قال: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلا أن يكون مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه محمد رسول الله[٢].

٩- تقدير الرجال:

لما أسلم باذان بن ساسان وكان أميرًا على اليمن لم يعزله رسول الله ﷺ ، بل أبقاه أميرًا عليها بعد إسلامه، حين رأى فيه الإداري الناجح والحاكم المناسب، مما يدلل على أن الرسول ﷺ يقدر الكفاءات في الرجال ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ قد ولى ولده شهرًا أميرًا على اليمن بعد موته[٣].

١٠- جواز أخذ الجزية من المجوس:

وهذا الحكم استخرج من كتاب النبي ﷺ الذي أرسله إلى المنذر بن ساوي يحدد فيه الموقف من اليهود والمجوس، إذ ورد فيه: (ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية) [٤].

وقد ذهب ابن القيم مع طائفة من العلماء إلى جواز أخذ الجزية من كل إنسان يبذلها سواء أكان كتابيًا أم غير كتابي كعبدة الأوثان من العرب وغيرهم، فقد جاء في زاد المعاد (وقد قالت طائفة في الأمم كلها إذا بذلوا الجزية، قبلت منهم، أهل الكتابين بالقرآن، والمجوس بالسنة، ومن عداهم ملحق بهم؛ لأن المجوس أهل شرك لا كتاب لهم، فأخذها منهم دليل على أخذها من جميع المشركين، وإنما لم يأخذها ﷺمن عبدة الأوثان من العرب؛ لأنهم أسلموا قبل نزول آية الجزية، فإنها نزلت بعد تبوك[٥].

١١- جواز أخذ هدية الكافر:

---

[١] أبو فارس، محمد عبد القادر: غزوة الحديبية، ص٢٣٩، ٢٤٠.

[٢] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، ٢٤/١، حديث (٦٥).

[٣] أبو فارس، محمد عبد القادر: غزوة الحديبية، ص٢٤٢.

[٤] المصدر نفسه.

[٥] أبن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد٨٣/٥.الصلابي: السيرة النبوية ٧٢١/١.



فقد أرسل المقوقس عظيم القبط حاكم مصر -مع سفير رسول الله حاطب بن أبي بلتعة- وهو كافر هدية تشتمل على جاريتين وكسوة للرسول ﷺ وبغلة يركبها، فقبلها رسول الله ﷺ وإحدى هاتين الجاريتين مارية القبطية[1].

نتائج إرسال الكتب إلى الملوك والأمراء:

أظهر الرسول ﷺ في سياسته الخارجية دراية سياسية فاقت التصور، وأصبحت مثالا لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر ﷺ قوة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله ﷺ لخشي عاقبة ذلك الأمر، لا سيما أن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقس، ولكن حرص رسول الله وعزيمته على إبلاغ دعوة الله، وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه وقد حققت هذه السياسة النتائج الآتية:

أ- وطد الرسول ﷺ بهذه السياسة أسلوبًا جديدًا في التعامل الدولي لم تكن تعرفه البشرية من قبل.

ب- أصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها وقوتها وفرضت وجودها على الخريطة الدولية لذلك الزمان.

ج- كشف للرسول ﷺ نوايا الملوك والأمراء وسياستهم نحوه وحكمهم على دعوته.

د- كانت مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبيرًا عمليًّا على عالمية الدعوة الإسلامية، تلك العالمية التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكي مثل قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[2].

وهكذا، فإن رسائل النبي ﷺ إلى أمراء العرب والملوك المجاورين لبلاده تعتبر نقطة تحول في سياسة دولة الرسول الخارجية، فعظم شأنها، وأصبحت لها مكانة دينية وسياسية بين الدول، وذلك قبل فتح مكة، كما أن هذه السياسة مهدت لتوحيد الرسول ﷺ لسائر أنحاء بلاد العرب في عام الوفود[3].

---

[1] أبو فارس، محمد عبد القادر: غزوة الحديبية، ص٢٤٣.

[2] سورة الانبياء: الآية ١٠٧.

[3] معطي، علي: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، ص٣٥١.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل التاسع

عمرة القضاء

تمهيد:

لَقدْ كَانَ قيامِ النَّبِي ﷺ بأدَاءِ مَناسِكْ عُمْرَة القَضْاء[1] عَلَى تلكَ الصُورَة المَهْيَبة الَّتِي دَخلَ بهَا النَّبِيُّ ﷺ وأَصْحَابُهُ مَكَّةَ، وَالَّتِي لاتَزَال حَتَّى تِلْكَ السَنَةِ تَحتَ سُلْطَانِ المُشْرِكِينَ، أَول نَصرٍ مَعْنَوِي عَظِيمٍ تُسَجلُهُ الدَّعْوَةِ الإسْلامِيَة عَلَى بَاطِلِ المُشْرِكينَ الَّذِينَ ظَلُّوا يُحَارِبُونَهَا طِوَالَ عِشْرينَ عَاماً.وَمِنْ أَجْلِ التَّعَرُفِ عَلَى أَخْبَارِ عُمْرَةِ القَضَاءِ والمُسْتَفادِ مِنْهَا فَقدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْل إِلَى مَبْحَثَينِ وَعَلَى النَحْوِ التَّالِي:

المَبْحَث الأَول: أَخْبَار عُمْرَة القَضَاء.

المَبْحَث الثَّانِي: المُسْتَفَادِ مِنْ أَخْبَار عُمْرَة القَضَاء.

المبحث الأول

عمرة القضاء

قَالَ الْحَاكِمُ:تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَلَّ ذُو الْقَعْدَةِ مِنَ السَنَةِ السَّابِعَةِ لِلهِجْرَةِ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءَ عُمْرَتِهِمْ وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ فَخَرَجُوا إِلَّا مَنِ اسْتُشْهِدَ وَخَرَجَ مَعَهُ آخَرُونَ مُعْتَمِرِينَ فَكَانَتْ عُدَّتُهُمْ أَلْفَيْنِ سِوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيانِ[2].

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُوَيْفَ بْنَ الْأَضْبَطِ الدّيلِيّ، أو أَبَا رُهْمٍ الْغِفَارِيّ، وسَاقَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتِّينَ بَدَنَةً. وَجعلَ عَلَيهَا نَاجيَةُ بْنُ جُنْدُب الْأَسْلَمِيّ، وَأَحْرَمَ لِلعُمْرَة مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَلَبّى، وَلَبّى الْمُسْلِمونَ مَعهُ، وَخرجَ مُسْتَعِداً بِالسِّلاحِ وَالْمُقَاتِلَة، خَشْيَةَ أَنْ يَقعْ مِنْ قُرَيْش غدْر، فَلَمَّا بَلَغَ يَأْجج وَضعَ الْأَدَاةَ كُلَّهَا الْحجَفَ وَالْمَجَانَّ وَالرِّمَاحَ وَالنَّبْلَ، وَخَلَّفَ عَلَيْها أَوْسَ بْنَ خَوْلِيٍّ الْأَنْصَارِيَّ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ، وَدَخلَ بسِلَاحِ الرَّاكِبِ: السُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ[3].

---

[1] وسميت عمرة القضيَّة؛ لأنها كانت قضاءً عن عمرة الحديبية، أو لأنها وقعت حسب المقاضات – أي: المصالحة التي وقعت في الحديبية. وسميت عمرة الصلح لأنه اُتفق عليها في صلح الحديبية.وسميت عمرة القصاص لأن هذه الآية نزلت فيها: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ} [البقرة: ١٩٤].

[2] ابن حجر: فتح الباري٧/ ٥٠٠. ابن حزم: جوامع السيرة ص ٢١٩.

[3] ابن كثير: السيرة النبوية ٣/ ٤٣٥، ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ١٩٢، البيهقي:دلائل النبوة ٤/ ٣١٤.



تحرك الرسول ﷺ وأصحابه الكرام من المدينة:

وَقدْ اتَّجَهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَه الكِرَام مِنَ المَدْينَةِ باِتجَاه مَكَّةَ المُكَرَمَةِ فِي مَوكِبٍ مَهْيب يَشُقُ طَرِيقَه عِبْرَ القُرَى وَالبَوَادِي، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ المَوكِب النَّبَوي بمَنَازِل قَومٍ مِنَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ عَلَى جَانبَي الطَّرِيقِ بَينَ مَكَّةَ وَالمَدِينَة خَرَجُوا وَشَاهَدُوا مَنْظَراً لَمْ يَأَلَفُوهُ مِنْ قبلُ، حَيثُ المُسْلِمونَ بزِي وَاحِد مِنَ الإِحْرَام، وَهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتِهمْ بالتَلْبِيةِ، وَيَسوقُونَ هَدْيَهُم فِي عَلامَاتِه وَقَلائِده، فِي مَظْهَرٍ بَهِيٍّ لَمْ تَشْهَدْ المَنْطَقَة لَهُ مَثِيلاً[١].

الرسول ﷺ وأصحابه الكرام يؤدون شعائر العمرة:

وَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءِ، وَالْمُسْلِمُونَ مُتَوَشِّحُونَ السُّيُوفَ مُحْدِقُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُلَبُّونَ

وخرجَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى جبلِ قُعَيْقِعَانَ الجَبَل الَّذِي فِي شِمَالِ الكَعْبَةِ لِيَرَوا المُسلِمينَ، وَقَدْ قَالُوا فِيمَا بَينهمْ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَأَمَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ، وإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ لِيَرَى الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ

ودَخلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الَّتِي تُطْلِعُهُ عَلَى الْحَجُونِ وَقَدْ صُفَّ الْمُشْرِكُونَ يَنْظُرون إليهِ فَلَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ، ثُمَّ طَافَ، وطافَ المُسْلِمونَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بنْ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَجِزُ مُتَوَشِحَاً بِالسَّيفِ:

خلوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

قَدْ أَنْزَلَ الْقُرْآنُ فِي تَنْزِيلِهِ

بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ[٢].

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَقُولُ الشِّعْرَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلِّ عَنْهُ فَلَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ[٣].

ورَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُسلِمونَ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، فَلَمَا رَآهُمْ الْمُشْرِكُونَ قالوا: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا[٤].

ولَمَّا فَرغَ مِنَ الطَّوَافُ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا فَرغَ مِنَ السَّعْيِّ، وَقَدْ وَقَفَ الْهَدْيُ عَنْدَ الْمَرْوَةِ، وَقَالَ: «هَذَا الْمَنْحَرُ وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ»[٥] فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَحَلَقَ هُنَاكَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ بعث نَاسًا إِلَى

---

[١] حجازي، سليم: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص٣١٠.

[٢]رواه ابن حبان في صحيحه١٠ / ٣٧٩، حديث(٤٥٢١)وعلق عليه: حديث صحيح، رجاله ثقات على شرط الشيخين.

[٣]رواه الترمذي في سننه ٥ / ١٣٩، حديث(٢٨٤٧)وعلق عليه: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

[٤] صحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٩٢٣/٢، حديث١٢٦٦.

[٥] روى أبو داؤد في سننه الحديث التالي:« وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ وَكُلُّ مِنًى مَنْحَرٌ وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ وَكُلُّ جَمْعٍ مَوْقِفٌ » ٢٦٩/٢، حديث (٢٣٢٦)، وقال الالباني حديث صحيح.

أَصْحَابِهِمْ بِبَطْنِ يَأْجَجَ لِيُقِيمُوا على السِّلَاحِ، وَيَأْتِي الْآخَرُونَ فَيَقْضُوا نُسُكَهُمْ فَفَعَلُوا[1].

وأقام رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ[2] فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزل بسَرِف فأقام بها[3].وَقَدْ نَزَلَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ هَذِهِ قَوْلُه تَعَالَى: **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً** [4].

التحاق بنت حمزة بن عبد المطلب بركب المسلمين:

لَقَدْ تَغيرَتْ النُفوس وَالعُقول بِتَأثِير الإسْلام تَغيُراً عَظِيماً، فَعَادَتِ البِنْت –الَّتِي كَانَ يَتَعير بها أَشْرَاف العَرَب، وَجَرَت عَادَةِ وَأدِها فِي بَعْضِ القَبائِل فِرَاراً مِنَ العَار، وَزُهْدَاً فِي البَنَات– حَبِيبَة يَتَنَافَسْ فِي تَرْبِيَتها الْمُسْلِمونَ، وَكَانُوا سَوَاسِيَة، لا يَرْجِعْ بَعْضُهمْ عَلَى بَعْضٍ إلاّ بِفَضْلٍ أو حَقْ[5] ، وَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُروج مِنْ مَكَّةَ تَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ، تُنَادِي، يَا عَمِّ يَا عَمِّ فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمَلَتْهَا فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ فَقَالَ عَلِيٌّ أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَقَالَ جَعْفَرٌ ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي وَقَالَ زَيْدٌ ابْنَةُ أَخِي فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَالَتِهَا وَقَالَ الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ وَقَالَ لِعَلِيٍّ أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ وَقَالَ لِجَعْفَرٍ أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي وَقَالَ لِزَيْدٍ أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا[6].

زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث:

فِي هَذِهِ العُمْرَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْعَامِرِيَّةِ[7]، وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَعَثَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مَيْمُونَةَ لِيَخْطُبَهَا لَهُ فَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ وَكَانَتْ أُخْتُهَا أُمُّ الْفَضْلِ تَحْتَهُ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا فَبَنَى بِهَا بِسَرِفَ وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهَا مَاتَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَرِفَ[8].

---

[1] علي القاري:مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/٢٦٢٩.

[2] صحيح البخاري: كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه٣/١٨٥، حديث٢٧٠٠.

[3] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٣٩٢.

[4] سورة الفتح: الآية ٢٧.

[5] الندوي، أبو الحسن: السيرة النبوية ص٣٢١.

[6] صحيح البخاري: كتاب الصلح، باب الصُّلْحِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ٣/١٨٥، حديث٢٧٠٠.

[7] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب عمرة القضاء ٥/١٤٢، حديث ٤٢٥٩.

[8] ابن حجر: فتح الباري٧/ ٥١٠.



المبحث الثاني

المستفاد من عمرة القضاء

١-جاءت هذه العمرة تصديقاً للوعد الإلهي بدخول المسجد الحرام قال تعالى: **لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** [١].

٢-شكلت هذه العمرة خطوة تمهيدية للفتح المبين الذي تحقق بعدها.

٣-استحباب الاضطباع، والهرولة في طواف الأشواط الثلاثة الاولى؛ اتباعا لرسول الله ﷺ، وإنما يستحب ذلك في طواف يعقبه سعي، غير أن شيئاً من ذلك لا يستحب للمرأة.

٤-الإجتهاد في إظهار معالم القوة والبأس في حياة المسلمين حتى يرهبوا عدوهم.

٥ التزام الصدق في التعهدات والمواثيق، وهو ما أظهره رسول الله ﷺ في عمرته هذه، فقد نصَّ الاتفاق السابق بين الطرفين على المكوث في مكة ثلاثة أيام وحسب، غير أن رسول الله ﷺ أحبَّ البقاء في مكة أكثر من ذلك، إلا أن المشركين لم يأذنوا له، فخرج من مكة فعلاً على موجب الإتفاق المبرم بين الفريقين، وذلك خلق اسلامي رفيع يجب أن يسري في معاملات المسلمين مع أية جهة كانت، استجابة لأمر الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** [٢]. كما أن الوفاء بالتعهدات والصدق فيها، من أساليب الدعوة في التعامل مع الآخرين، من المسلمين أو غيرهم.

المستفاد من اداء الرسولﷺ واصحابه عمرة القضاء بهذه الصورة المهيبة:

قصد رسول الله ﷺ بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام وهي الاضطباع والهرولة، ورفع الأصوات بالتلبية، أن يرهب قريشًا، وأن يظهر لها قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم، ومناعة جبهتهم، وقد أثر هذا الأسلوب في نفوس المشركين[٣]، وبهذا الأسلوب النبوي الكريم أغاظ الرسول ﷺ المشركين وكايدهم.

لقد كان قيام النبي ﷺ بأداء مناسك العمرة على تلك الصورة المهيبة التي دخل بها النبي ﷺ وأصحابه مكة، والتي لاتزال حتى تلك السنة تحت سلطان المشركين، اول نصر معنوي عظيم تسجله الدعوة الإسلامية على باطل المشركين الذين ظلوا يحاربونها طوال عشرين عاماً.

فقد كان ﷺ يتقرب إلى الله بمكايدهم وإغاظتهم، ففي غزوة أحد أذن ﷺ لأبي دجانة أن يمشي متبخترًا أمام المشركين لإظهار عزة المؤمن؛ ولأن ذلك يغيظ المشركين، وزيادة في إغاظتهم كان يلبس العصابة الحمراء دون أن ينكر الرسول ﷺ ذلك. وفي غزوة الحديبية ساق رسول الله ﷺ في الهدي جمل أبي جهل الذي غنمه في بدر، ليراه المشركون فيزدادوا غيظًا حين يذكرون مصارع قتلاهم وذل أسراهم، وها هو ذا ﷺ يأمر المسلمين في عمرة القضاء بإظهار التجلد

---

[١] سورة الفتح: الآية ٢٧.

[٢] سورة المائدة: الآية ١.

[٣] حجازي، سليم: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص٣١٥.



والهرولة لإغاظتهم ومكايدتهم ورد كيدهم في نحورهم[1]. فهذه حرب نفسية شنها رسول الله ﷺ على المشركين وقد أتت أكلها، ولقد أقام الرسول في مكة ثلاثة أيام، ومعه المسلمون يرفعون راية التوحيد، ويطوفون بالبيت العتيق، ويرفعون الأذان ويقيمون الصلاة ويصلي بهم رسول الله ﷺ الصلوات الخمس في جماعة، وكان بلال بن رباح بصوته الندي يرفع الأذان من على ظهر الكعبة، فكان وقعه على المشركين كالصاعقة[2]. و لم ينس ﷺ مجموعة الحراسة التي كانت تحرس الأسلحة والعتاد بأن يرسل من يقوم بمهمتهم ممن طاف وسعى مكانهم، ويأتي هؤلاء ليؤدوا النسك، فقد كان ﷺ يتعامل مع نفوس يدرك حقيقة شوقها لبيت الله الحرام، وما جاءت للمرة الثانية وقطعت هذه المسافة الشاسعة إلا لتنال هذا الشرف، وتبل هذا الظمأ، فتطوف مع الطائفين وتسعى مع الساعين، فعمل ﷺ على مراعاة النفوس، وساعدها ولبى مطالبها من أجل إصلاحها والرقي بها، إنه من منهج النبوة في التربية[3].

المستفاد من قصة بنت حمزة بن عبد المطلب:

١- الخالة بمنزلة الأم.

٢- الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.

٣- تزكية رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه له بقوله: أشبهت خَلْقي وخُلُقي.

٤- منقبة علي: تأمل قوله ﷺ: أنت مني وأنا منك، والمعنى أنت مني وأنا منك في النسب والصهر والسابقة والمحبة.

٥- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: أنت أخونا ومولانا؛ لأنه كان أخًا لحمزة بن عبد المطلب، فقد آخى الرسول ﷺ بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب هنا يكون وليًّا على بنت حمزة رضي الله عنه.

٦- الخالة تقدم على العمة في الحضانة: لقد حكم النبي ﷺ إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

٧- زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة: فقد حكم الرسول ﷺ بالحضانة لخالة بنت حمزة وهي متزوجة من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

٨- لا بد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها؛ لأن الزوجة محتسبة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئيًا، فلا بد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

٩-إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخًا له في الرضاعة، وتصبح بناته كلها بنات أخيه في الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن[4].

---

[1] أبو فارس، محمد: صلح الحديبية، ص٢٨٢.

[2] المصدر نفسه، ص٢٧٠.

[3] المصدر نفسه، ص٢٧٧.

[4] الصلابي: السيرة النبوية ٧٢٧/١. أبو فارس، محمد: صلح الحديبية، ص٢٨٧.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل العاشر

غزوة مؤتة

تمهيد:

تُعْتبر هَذِه المَعْرَكَة مِنْ أَهَمِ المَعَارِك الَّتِي وَقَعَتْ بَينَ المُسْلِمينَ وَبينَ النَصارَى الصَلِيبيينَ مِنْ عَرَب وَعَجَم؛ لأَنَّهَا أَوَل صِدَام مُسَلَح ذِي بَالٍ بَينَ الفَرِيْقين، وَأَثرتْ تَلكِ المَعْرَكةِ عَلَى مُستقبلِ الدَّولَةِ الرُومَانيَة، فَقدْ كَانتْ مُقَدِمَةً لِفَتحِ بِلادِ الشَّامِ وَتَحْرِيرِهَا مِنَ الرُّومَانِ. وَنَستَطِيْع أَنْ نَقُول إنَّ تِلْكَ الغَزْوَةِ هِيَّ خُطْوَة عَمَلِيَةً قَامَ بِهَا النَّبيُّ ﷺ لِلقَضَاءِ عَلَى دَولَةِ الرُّومِ المُتَجَبرةِ فِي بِلادِ الشَّامِ. وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُفِ عَنْ اسْبَابِ هَذَهِ الغَزْوَةِ وَاهَمْ احْدَاثِهَا وَالدُرُوسِ المُستَفَادَةِ مِنْهَا فَقَدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْلِ إلى مَبْحَثَين مُستَقِلين.

المَبْحَثْ الأَول: أَحْدَاث غَزْوَة مُؤتَة.

المَبْحَثْ الثَّاني: المُسْتَفادِ مِنْ أَحْدَاث غَزْوَة مُؤتَة.

المبحث الأول

أحداث غزوة مؤتة

اسبابها:

١- تَأدِيب شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ عَامِل هِرَقْل [١]فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّة عَلَى بُصْرَى لاعْتِدَاءِه عَلَى الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيّ مَبْعُوث رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ حَملَ لَهُ رِسَالَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَقَتْلِه غَدْرًا رِغْمَ أَنَّ العُرْف الجَارِي هُوَ أَنَّ الرُّسُلْ لا تُقْتَل [٢].

٢- بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعْبَ بْنَ عُمَيْرٍ الْغِفَارِيَّ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذَاتِ أَطْلاحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَوَجَدُوا جَمْعًا مِنْ جَمْعِهِمْ كَثِيرًا، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، وَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلُوا، وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ جَرِيحٌ فِي الْقَتْلَى، فَلَمَّا بَرَدَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ تَحَامَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ[٣].

---

[١]هرقل: امبراطور الروم وعاصمة ملكه القسطنطينية.

[٢]الواقدي: المغازي ٢/ ٧٥٥. ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٧. ابن حجر: فتح الباري/٧/ ٥١١.

[٣]ابن سيد الناس: عيون الاثر ١٩٦/٢.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- قيام نَصَارى الشَّام بزَعَامَةِ الإمْبَراطوريّة الرُّومانيَة بالاعْتِدَاءاتِ عَلَى مَنْ يَعْتَنِقْ الإسْلام أَو يُفَكر بذَلكَ، فَقدْ قَتَلُوا وَالِي مَعَانَ حِينَ أَسْلَمَ، وَقتل وَالي الشَّام مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عَرَب الشَّام [١].

كَانَتْ هَذِه الأحْدَاثِ المُؤلِمةِ وَبخَاصَةً مَقْتَلْ سَفِير رَسُول اللهِﷺ الْحَارث بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيّ، مُحَركَةً لِنُفوس المُسْلِمينَ، وَبَاعِثاً لِيَضَعُوا حَدّاً لِهذِه التَصَرُفاتِ النَصْرَانيَّةِ العُدوانيَةِ، وَيَثأرُوا لإخْوَانهمْ فِي العَقِيدَةِ الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ بغَير حَقٍ إلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَنَبِينَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ [٢]. كَمَا أَنَّ تَأديبَ عَربِ الشَّام التَابعينَ لِلدَولةِ الرُّومَانيَة وَالَّذِينَ دَأبُوا عَلى اسْتِفْزَازِ المُسْلِمينَ وَتَحَديهمْ وَارتكَابِ الجَرائِم ضِدَّ دُعَاتِهمْ أَصْبحَ هَدَفاً مُهمَّاً، لأنَّ تَحْقيق هَذَا الهَدف مَعْنَاهُ فَرْض هَيْبَةِ الدَّولَة الإسْلامِيَة فِي تِلكَ المَناطِقْ بحَيث لا تَتَكرر مِثَل هَذِه الجَرائِم فِي المُسْتَقبَل، وَبحيثْ يَأمَن الدُعَاة المُسْلِمونَ عَلَى أَنْفُسهم وَيَأمَنْ التُجار المُتَرَدِدونَ بَينَ الشَّامِ وَالمَدِينَةِ مِنْ كُلِّ أَذَى يَحُولُ دُونَ وُصُولِ السِّلَع الضُروريَّةِ إلَى المَدِينَةِ [٣].

رسول الله ﷺ يستنفر أصحابه للحرب:

وَلِتَحقيقِ هَذَا الغَرض اسْتَنْفرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَاً قِوَامُهُ ثَلاثَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَنَةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرَةِ بَعْدَ عَوْدَتِه بِمنِ اعْتَمَرَ مَعهُ مِنَ المُسْلِمينَ عُمْرَةِ القَضَاءِ بِخَمْسَةِ أَشْهُر [٤]. وَعَسْكَرُ الجيش بِالْجُرْفِ عَلَى بُعْدِ عِدَةِ امْيَالٍ مِنَ المَدْينَةِ.

تعيين قادة الجيش:

اتَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِه الغَزْوَةِ إجْرَاءً احْتِيَاطِيّاً لِلمَرَةِ الأولَى، حَيثُ وَلّى عَدَداً مِنَ الأُمَراء بِالتَرتيب، مِمَّا دَلّلَ عَلى جَوازْ تَعْليق الإمَارَة بشَرْط. فَقدْ عَيَّنَ زَيْدَ بن حَارِثَةَ ﷺقائدًا للجيش وقَالَ: إنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ بن أبي طالب، وَإنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعبد الله بن رَوَاحَةَ [٥].. وَالرَاجحْ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ توقعَ أَنْ تَحفَ بالسِّرِيَةِ الأخْطَار بِسَبَب بُعْدِ المَسَافَةِ، وَجَهْلِهمْ بِالْمَنطقَةِ الَّتِي وُجِهُوا إليهَا، وَعَدمْ حُصُول تَجْرُبَةً سَابِقَةً فِي الاحْتِكَاكِ بِقُواتِ الإمبرَاطوريةِ البيزَنْطِيَة وَحُلَفَائِهَا مِنَ القَبَائِل العَرَبيَةِ فِي بِلادِ الشَّام» [٦].

---

[١] أبو زهرة، الشيخ محمد: خاتم النبيين ﷺ، ٣/٨٤٦.

[٢] أبو فارس، محمد: الصراع مع الصليبين، ص٢٠.

[٣] سالم، عبد الرحمن أحمد: المسلمون والروم في عصر النبوة، ص٨٩.

[٤] ابن إسحاق بإسناد حسن الى عروة الذي أرسله، ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٧٣، ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٢٨، ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٥١٠.

[٥] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة٥/١٤٣، حديث(٤٢٦١).

[٦] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم١/٣٥٩.



المسلمون يودعون الجيش:

وَدَّعَ المُسْلِمونَ فِي المَدينَةِ إِخْوَانَهُمْ المُشَارِكينَ فِي الجَيْشِ، والأُمَرَاء الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ لِهذِهِ المُهِمَةِ، وَحِينَئذٍ بَكَى أحَدْ أُمَرَاء رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَالُوا:مَا يُبْكِيك يَا بْنَ رَوَاحَةَ؟ فَقالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا)[1].

فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدَرِ بَعْدَ الْوُرُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَحِبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَرَدَّكُمْ إلَيْنَا صَالِحِينَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً... وضربة ذَات فرغ[2]تَقْذِفُ الزَّبَدا

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا

حَتَّى يُقَالَ إذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي[3]... أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[4]

ثُمَّ خرجَ القَوم، وَخرجَ رَسُولُ اللهِ مُشيعاً لَهُمْ حَتَّى بَلغَ ثَنْيَة الوَدَاعِ، فَوقف وَوَدَّعَهُمْ[5]

تحرك الجيش الاسلامي إلى معان:

وَتَحرَكَ الجَيْش حَتَّى وَصَلَ إلى مَعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَأَناخَ فِيهَا، وَبَلغَ المُسْلِمونَ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ بِأرضِ البَلقَاءِ فِي مَائَتِي أَلْفَ مُقَاتلٍ نِصْفهمْ مِنَ الرُّومِ وَنِصْفهمْ مِنْ نَصَارَى العَرَب مِنْ قَبَائِلَ لَخمٍ وَجُذَامٍ وَقُضَاعَةَ[6].

المجلس الاستشاري بمعان:

لَمْ يَكُنِ المُسْلِمونَ أَدْخلُوا فِي حِسَابِهِمْ لَقَاء مِثْلَ هَذَا الجَيْشِ العَرَمْرَمْ، الَّذِي بُوغِتُوا بِهِ فِي هَذِهِ الأرضِ البَعْيدَةِ- وَهَلْ يَهْجم جَيشْ صَغْير، قِوَامُه ثَلَاثَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ فَحسبْ، عَلَى جَيْشٍ كَبِير عَرَمْرَمْ، مِثلَ البَحْرِ الخِضَمْ، قِوَامُه مَائتَا أَلْفَ مُقَاتِلٍ؟ حَارَ المُسْلِمونَ[7]، وأَقَامُوا فِي مَعَانَ لَيْلَتَيْنِ يَنْظُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ، وَقَالُوا: نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا فَإِمَّا أَنْ يُمِدَّنَا بِالرِّجَالِ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِيَ لَهُ [8].

---

[1]سورة مريم: الآية ٧١.

[2]ذات فرغ:ذات سعة.

[3]جدثي: قبري.

[4]رواه ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٣٧٤.

[5]حسن المالكي: إنارة الدجى في مغازي خير الورى١/٥٥٩.

[6]ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٧٥. ابن حزم: جوامع السيرة ص٢٢٠- ٢٢٢.

[7]المباركفوري: الرحيق المختوم ص٣٩٥.

[8]ابن القيم: زاد المعاد ٣/٣٣٧.



ولكن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ حَسَم المَوقِفْ بقَولِهِ: (يَا قَوْمِ وَاللَّهِ إنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةُ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ)[1]، فأَلهَبتْ كَلِمَاتُه مَشَاعِرَ المُجَاهِدِينَ، وَانْدَفَعَ زَيْدَ بن حَارِثَةَ بِالنَّاسِ إلَى مِنْطَقَةِ مُؤتَة جَنْوبِ الكَرَكْ يَسْير حَيثُ آثَرَ الاصْطِدامِ بِالرُّومِ هُناكَ، فَكَانَتْ مَلْحَمَةً سَجل فِيهَا القَّادَة بُطولاتٍ عَظِيمَةٍ [2].

الجيش الإسلامي يتحرك نحو العدو:

وَحِينَئِذٍ بَعْدَ أَنْ قَضَى الجَيْش الإسْلامِيّ لَيْلَتَيْنِ فِي مَعَانَ، تَحَرَّكُوا إلَى أَرْضِ العَدُوِّ، حَتَّى لَقِيَتْهُمْ جُمُوعُ هِرَقْل مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَب بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَلْقَاء يُقَال لَهَا مَشَارِفُ، ثُمّ دَنَا الْعَدُوّ، وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةُ، فَالْتَقَى النّاسُ عِنْدَهَا، فَتَعَبّأَ لَهُمْ الْمُسْلِمُونَ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَذْرَة، يُقَالُ لَهُ: قُطْبَةَ بْنَ قَتَادَةَ الْعُذْرِيَّ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيّ[3].

بداية القتال، وتناوب القواد:

وَهُنَاكَ فِي مُؤتَة التَقَى الفَرِيقَانِ، وَبَدَأَ القِتَال المَرِير، ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُلٍ يُوَاجِهونَ هَجَمات مَائَتِي أَلْفَ مُقَاتِلٍ. مَعْرَكَة عَجِيبَة تُشَاهِدَهَا الدُّنْيَا بِالدَّهْشَةِ وَالحِيرَةِ، وَلكِنْ إذَا هَبتْ رُيح الإيمانِ جَاءَتْ بِالعَجَائِب.

قَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرَاوَةٍ بَالِغَةٍ، وَبَسَالَةٍ لا يُوجَدْ لَهَا نَظِير إلاّ فِي أَمْثَالِه مِنْ أَبْطَالِ الإسْلامِ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِل وَيُقَاتِل حَتَّى شَاطَ [4] فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ.

وَحِينَئِذٍ أَخذَ الرَّايَة جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَطَفِقَ يُقَاتِلُ قِتَالاً مُنْقَطِعِ النَّظِير، حَتَّى إذَا أَرْهَقَه القِتَال اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ الشَّقْرَاءَ فَعَقَرَهَا، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قَطِعَتْ يَمِينُهُ، فَأَخَذَ الرَّايَة بِشِمَالِهِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَطِعَتْ شِمَالُهُ، فَاحْتَضَنَها بِعَضُدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ رَافِعًا إيَّاهَا حَتَّى قُتِلَ.

وَيُقَالُ: إنّ رُّومِياً ضَرَبَهُ ضَرْبَةً، فَقَطَعَتْهُ نِصْفَيْن. وَأَثَابَهُ اللَّهُ بِجناحَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَّ: بِجَعْفَرِ الطَّيار، وَبِجَعْفَرِ ذِي الْجَنَاحَيْنِ. وكَانَ ابْنُ عُمَرَ – رضي الله عنه – إذَا حَيَّا ابْنَ جَعْفَرٍ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ [5].

عن ابْنِ عُمَرَ ﵄أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ قَتِيلٌ، قال: فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ – يَعْنِي: فِي ظَهْرِهِ [1].

---

[1] ابن كثير، ألبداية والنهاية ٦/٤١٦.

[2] العمري: السيرة النبوية الصحيحة٢/٤٦٨.

[3] السهيلي: الروض الآنف ٧/١٤.

[4] يُقَال شاط الرجل: إذا سَالَ دَمه فَهَلَك.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة٥/٢٠، حديث(٣٧٠٩).





وفي رواية أن ابن عمر قال: فَالْتَمَسْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ[٢].

والظاهر هنا –والله أعلم– أَنَّ الْعَدَدَ ليس بمَفْهُوم؛ وإنما أراد ابن عمر – رضي الله عنه – أن يُكنّى عن كثرة الطعنات أو« لبَيَان فَرْطِ شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ» [٣].

وَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أخذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ قَالَ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهْ... لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إنْ أَجْلَبَ النَّاسُ[٤] وَشَدُّوا الرّنّه [٥]... مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ

قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ... هَلْ أَنْتِ إلَّا نُطْفَةٌ[٦] فِي شَنَّهْ[٧]

وَقَالَ أَيْضًا:

يَا نَفْسُ إلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيَتْ

وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتُ... إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتُ

يُرِيدُ صَاحِبَيْهِ: زَيْدًا وَجَعْفَرًا، ثُمَّ نَزَلَ. فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ بِعَرْقٍ[٨] مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ: شُدَّ بِهَذَا صُلْبَكَ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتُ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتُ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ [٩] مِنْهُ نَهْسَةً، ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ[١٠] فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ، فَقَالَ: وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[١١].

الراية إلى سيف من سيوف الله:

وَحِينَئِذٍ تَقَدمَ رَجُلٌ من بَنِي الْعَجْلَانِ اسمه ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ فأَخَذَ الرَّايَةَ وقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ [١] فَلَمَّا أخذ الرَّايَة قَاتَلَ قِتَالاً مريراً، فَقَدْ

---

[١] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة٥/١٤٣، حديث(٤٢٦٠).

[٢] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة٥/١٤٣، حديث(٤٢٦١).

[٣] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٥١٢.

[٤] أجلب الْقَوْم: صاحوا واجتمعوا.

[٥] الرنة: صَوت تَرْجِيع شبه الْبكاء.

[٦] النُّطْفَة: المَاء الْقَلِيل الصافي.

[٧] الشنة: السقاء الْبَالِي، أي فيوشك أن تهراق النُّطْفَة أو ينخرق السقاء، ضرب ذَلِك مثلا لنَفسهِ فِي جسده.

[٨] الْعرق: الْعظم الّذي عَلَيْهِ بعض لحم.

[٩] انتهس: أخذ مِنْهُ بفمه يَسِيرا.

[١٠] الحطمة: زحام النَّاس وحطم بَعضهم بَعْضًا.

[١١] سنده صحيح: ابن هشام:السيرة النبوية ٢/٣٨٠.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رَوَى الْبُخَارِي عن خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قال: لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ [٢]. وفي لفظ آخر: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ لَقَدْ دُقَّ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ وَصَبَرَتْ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ لِي يَمَانِيَة [٣].

قال ابن حجر – رحمه الله –:وَهَذَا الْحَدِيث يَقْتَضِي أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَتَلُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرًا. اه [٤].

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺيوم مُؤتَة مُخْبِراً بالوَحْيِّ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ إلى النَّاسِ الخَبَرُ مِنْ سَاحَةِ القِتَال، فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخذَ ابْنُ رَوَاحَة فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِمْ [٥].

خالد وخطة الانسحاب الرائعة:

أصْبَحَتِ الخِطَة الأسَاسِيَّة المَنوطَة بخَالِد فِي تِلْكَ السَّاعَة العَصِيْبَة مِنَّ القِتَال، أن ينقذ المسلمين من الهلاك الجماعي، فَبَعْدَ أَنْ قَدَرَ المَوقِفْ واحْتِمَالاتِه المُخْتَلِفَة قدرًا دقيقًا، وَدَرسَ ظُروفِ المَعْرَكَةِ دَرْسًا وَافِيًا وَتوقَعَ نَتَائِجَهَا، اقْتَنَعَ بأنَّ الانْسِحَاب بأقَلْ خَسَارَةٍ مُمْكِنَةٍ هُوَ الحَلُ الأفْضَلْ، فقوَة العَدُوِّ تَبْلُغ (٦٦) ضِعْفًا لِقُوَةِ المُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَبْقَ أَمامَ هَؤُلاءِ إلاَّ الانْسِحَاب المُنَظَم وَعَلَى هَذَا الأَسَاسِ وَضَعَ خَالِدْ الخطة التالية:

أ- الحَيْلولَة بَينَ جَيش الرُّومِ وَجَيش المُسْلِمينَ لِكَي يَضْمن لِجَيشِ المُسْلِمينَ سَلامة الانسحاب.

ب- لِبلوغِ هَذَا الهَدَف، لا بُدَّ مِنْ تَضْليلِ العَدُوَّ بإيهَامِهِ أَنَّ مَدَداً وَرَدَ إلى جَيشِ المُسْلِمينَ فَيُخَفف مِنْ ضَغْطِهِ وَهَجَمَاتِه، وَيَتَمكَن المُسْلِمونَ مِنَ الانسحَاب، وَصَمدَ خَالِد حَتَّى المَسَاءِ عَمَلاً بهَذِه الخِطَة، وَغَيرَّ فِي ظَلامِ اللَّيلِ مَرَاكِزَ المُقَاتِلِين فِي جَيشه، فَاسْتَبدَلَ المَيمَنَة بالمَيْسَرَة، وَمُقَدمَة القَّلب بالمُؤخرَة، وَفِي أَثْنَاء عَمَليةِ الاسْتِبْدَال اصْطَنَعَ ضَجَّةً صَاخِبَةً وَجَلَبَةً قَوِيَة، ثُمَّ حَملَ عَلَى العَدُوِّ، عِنْدَ الفَجْرِ، بِهَجَمَاتٍ سَرِيعَةٍ مُتَتَالِيةٍ وَقَوِيَةٍ لِيُدخِلَ فِي رَوعِه أَنَّ إمْدَادَاتٍ كَثِيرَةٍ وَصَلَتْ إلَى المُسْلِمينَ [٦].

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] صحيح البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٥/ ١٤٤، حديث(٤٢٦٥).

[٣] صحيح البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٥/ ١٤٤، حديث(٤٢٦٦).

[٤] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٥١٦.

[٥] صحيح البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٥/ ١٤٣، حديث(٤٢٦٢).

[٦] الصلابي: السيرة النبوية ٧٣٧/١.



نهاية المعركة:

مَا كَادَ يَطْلُع الصَبَاح حَتَّى وَجدَ الرُومان أَنْفُسَهمْ أَمَامَ جَيشٍ جَديدٍ فَأَنْكَرُوا مِنَ الْمُسلِمينَ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَهُ طَوَال ايَامِ القِتَالِ الستَةِ، وَنَجَحتْ الخِطَةِ؛ إِذْ بَدَا لِلعَدو صَبَاحَاً أَنَّ الوُجُوهِ وَالرَّاياتِ الَّتِي تُواجهُهُ جَدْيدَةً لَمْ يَرَهَا مِنْ قَبْلُ، وَأَنَّ الْمُسْلِمينَ يَقُومونَ بِهَجَماتٍ عَنْيفَةٍ، فَأَيْقَنَ أَنَّهُمْ تَلقَوا إِمْدَادَاتٍ، وَأَنَّ جَيْشَاً جَدْيداً نَزلَ إِلَى المَيْدانِ، وَكَانَ البَلاءُ الحَسنُ الَّذِي أَبْلاهُ الْمُسْلمونَ قَدْ فَتَ فِي عَضُدْ الرُّوم وُحُلَفائِهِمْ، فَأَدْرَكُوا أَنَّ إِحْرَاز نَصْر حَاسِم وَنِهَائِي عَلَى الْمُسْلِمينَ أَمر مُسْتَحيل، فَتَخَاذَلُوا وَتَقَاعَسُوا عَنْ مُتَابَعةِ الهُجُومِ، وَضعْف نَشَاطَهِمْ وانْدِفَاعِهِمْ، فَخَفَ الضَغطْ عَنْ جَيْشِ الْمُسْلِمينَ، وَانْتَهزَ خَالد الفُرْصَة فَبَاشَرَ الانْسِحَاب، وَكَانَتْ عَمليَة التَرَاجُع الَّتِي قَامَ بِهَا خالد فِي أَثْنَاء مَعْرَكَةِ (مُؤتة) مِنْ أَكْثَرِ العَمَلياتِ فِي التَاريخ العَسْكَري مَهَارَةً وَنَجَاحَاً، بَلْ إِنَّهَا تَتفِق وَتَتَلائَم معَ التَكْتيكِ الحَدْيثِ لِلانْسحَاب، فَقدْ عَمدَ خَالدْ إِلى سَحْب الجَنَاحين بحمَايةِ القَلب، وَلَمَّا أَصْبَحَ الجَنَاحانِ بِمَنأى عَنِ العَدُوِّ، وَفِي مَأمنْ مِنهُ، عَمدَ إِلَى سَحْبِ القَلْبِ بحمَايةِ الجَنَاحَينَ، إِلَى أَنْ تَمكنَ وَضَمنَ سَلامَة الانْسِحَاب كُلِيَّاً، وَيُمْكِن القَول إِنَّ خَالِدَاً بخُطَتِه تِلكَ، قَدْ أَنْقَذَ اللهُ الْمُسْلِمينَ به مِنْ هَزِيْمَةٍ مَاحِقَةٍ وَقَتلٍ مُحقَق، وَأَنَّ انْسحَابَهُ كَانَ قِمَةِ النَصْر بالنسْبَةِ إِلَى ظُروفِ المَعْرَكَةِ، حَيثُ يَكُونُ الانْسحَاب فِي ظُروفِ مُمَاثِلَةٍ أَصْعبْ حَرَكَات القِتَال، بَلْ أَجْدَاهَا وَأَنْفَعهَا [1].وَهَكَذَا انْحَازَ العَدُوُّ إِلَى بِلادِهِ، وَلَمْ يُفَكِرْ فِي القِّيَامِ بُمُطَارَدَةِ الْمُسْلِمينَ، وَنجحَ الْمُسْلِمونَ فِي الانْحِيازِ سَالِمينَ. وَلَمَّا أَقْبَلَ أَصْحَابُ مُؤْتَةَ تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَجَعَلُوا يَحْثُونَ عَلَيْهِمُ التُّرَابَ وَيَقُولُونَ: يَا فُرَّارُ فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ، وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللهُ[2].

---

[1] سويد، ياسين: معارك خالد بن الوليد، ص١٧٥.

[2] البيهقي: دلائل النبوة ٤/٣٧٤.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة مؤتة

١- دلت توصية النبي ﷺ، على أنه يجوز للخليفة أو الحاكم أن يعلق إمارة أحد الناس بشرط، وأن يولّي المسلمين عدة أمراء بالترتيب، كما فعل النبي ﷺ في تولية زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة، وتنعقد ولاية الكل في ذلك مرتبة[1].

٢- دلت توصية الرسول ﷺ أيضا، على جواز التأمر في الحرب بغير تأمير[2].

٣- يدل نعي النبي ﷺ للقادة الثلاثة على أن الله تعالى قد طوى الأرض لرسوله ﷺ، فأضحى يرى من شأن المسلمين الذين يقاتلون على مشارف الشام، ما حدث أصحابه به، وهي من جملة المعجزات الكثيرة التي أكرمه الله بها.

٤- لا يتنافى ذرفه ﷺ للدموع وهو يُخبر أصحابه في المدينة باستشهاد القادة مع الرضى بقضاء الله تعالى وقدره فإن العين لتدمع والقلب ليحزن- كما قال عليه الصلاة والسلام- وتلك رقة طبيعية ورحمة فطر الله الإنسان عليهما[3].

المستفاد من إكرام النبي ﷺ لآل جعفر بن أبي طالب:

لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ، دَخَلَ عَلِيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَجَنْتُ عَجِينَهُمْ وَغَسَلْتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ» قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي وَأُمِّي مَا يُبْكِيكَ؟ أَبَلَغَكَ شَيْءٌ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ» قَالَتْ: فَقُمْتُ أَصِيحُ وَاجْتَمَعَ إِلَى النِّسَاءِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: «لَا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ»[4].

وتلحظ في هذا الخبر عدة أمور منها:

١- جواز بكاء المرأة على زوجها المتوفى: أُخذ هذا من فعل أسماء بنت عميس رضي الله عنها حينما نعى النبي ﷺ زوجها ومن معه، فبكت وصاحت، فلم ينكر عليها النبي ﷺ ولم ينهها عن ذلك، ولو كان ممنوعًا لنهاها عن ذلك، والبكاء الذي نهى عنه الإسلام هو ما كان سائدًا عند أهل الجاهلية من النواح واللطم وشق الجيوب، والتبرم بقضاء الله وقدره، وما إلى ذلك مما يكون سببًا في معصية الخالق سبحانه.

---

[1] ابن حجر: فتح الباري ٥١٣/٧.

[2] كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري ٢٩٣/١١.

[3] المرجع نفسه.

[4] رواه الطبراني في معجمه الكبير: ١٤٣/٢٤، حديث (٣٨٠).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- استحباب صنع الطعام لأهل الميت: وقد ندب الرسول ﷺ الناس أن يصنعوا طعامًا لآل جعفر، فَعنْ عبد الله بن جَعْفَرٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: لما جاء نعي جعفر، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ "اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ ما يشغلهم - أو أَمْرٌ شَغَلَهُمْ" [١].

وهذا فيه مواساة لأهل المتوفى وتخفيف مصابهم، وفي الوقت نفسه تكافل بينهم وهذه السنة خالفتها بعض الشعوب الإسلامية، وأصبح أهل الميت يصنعون الطعام للقادمين، وهذا أمر قبيح ينبغي أن يبتعد عنه المسلمون [٢]. هذا وقد نهى رسول الله ﷺ عن البكاء بعد ثلاث، فقد دخل على أسماء وقال لها: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي» فجيء بهم كأنهم أفرخ، فدعا بالحلاق فحلق لهم رؤوسهم ثم قال: «أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي»، ثم أخذ بيمين عبد الله وقال: «اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» قالها ثلاثا [٣]. ولما ذكرت له أمهم يتمهم وضعفهم قال لها: «العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة» [٤].

وهذا منهج نبوي كريم خطه رسول الله ﷺ لرعاية وتكريم أبناء الشهداء لكي تسير الأمة على نهجه الميمون [٥].

٣- زواج أبي بكر الصديق من أسماء بنت عميس: وبعد أن انقضت عدة أسماء بنت عميس خطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فتزوجها، وولدت له محمد بن أبي بكر، وبعدما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب، وولدت له أولادًا رضي الله عنه وعنها وعنهم أجمعين. وقد ذكر ابن كثير أن أسماء بنت عميس رثت زوجها جعفر بن أبي طالب بقصيدة تقول فيها:

فآليت لا تنفك نفسي حزينة... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا [٦]

المستفاد من موقف أهل المدينة من الجيش:

لما دنا الجيش من حول المدينة، بدأ الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار، أفررتم في سبيل الله، ويقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

إن الإنسان ليعجب من هذه التربية النبوية التي صنعت من الأطفال الصغار، رجالاً وأبطالاً، يرون العودة من المعركة دون شهادة في سبيل الله، فرارًا من سبيل الله، لا يكافئون عليه إلا بحثو التراب في وجوههم [١].

---

[١] صحيح: أخرجه أبو داود (٣١٣٢)، كتاب: الجنائز، باب: في صنعة الطعام لأهل الميت، ابن ماجه (١٦١٠)، كتاب: الجنائز، باب: في الطعام يبعث لأهل الميت، وحسنه الألباني في "صحيح السنن".

[٢] أبو فارس، محمد: الصراع مع الصليبين، ص٦٨.

[٣] أبو شهبة، محمد: السيرة النبوية٢/٤٣٠.

[٤] رواه الطبراني في معجمه الكبير: ٢/١٠٥، حديث (١٤٦١).

[٥] أبو شهبة، محمد: السيرة النبوية٢/٤٣٠.

[٦] الصلابي: السيرة النبوية ١/٧٤٠.



المستفاد من موقف الصحابي ثابت بن أقرم العجلاني في غزوة مؤتة:

عندما أخذ الصحابي الجليل ثابت بن أقرم العجلاني اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة آخر الأمراء، وذلك أداء منه للواجب؛ لأن وقوع الراية معناه هزيمة الجيش، ثم نادى المسلمين أن يختاروا لهم قائدًا، وفي زحمة الأحداث قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل.. فاصطلح الناس على خالد. وفي رواية أن ثابتًا مشى باللواء إلى خالد، فقال خالد: لا آخذه منك، أنت أحق به فقال: والله ما أخذته إلا لك.

إن مضمون كلتا الروايتين واحدٌ، أن ثابتًا جمع المسلمين أولاً وأعطى القوس باريها، فأعطى الراية أبا سليمان خالد بن الوليد [٢] ، ولم يقبل قول المسلمين: أنت أميرنا، ذلك أنه يرى فيهم من هو أكفأ منه لهذا العمل، وحينما يتولى العمل من ليس له بأهل، فإن الفساد متوقع، والعمل حينما يكون لله تعالى، لا يكون فيه أثر لحب الشهرة، أو حظ النفس. إن ثابتًا لم يكن عاجزًا عن قيادة المسلمين، وهو ممن حضر بدرًا، ولكنه رأى من الظلم أن يتولى عملاً وفي المسلمين من هو أجدر به منه، حتى ولو لم يمضِ على إسلامه أكثر من ثلاثة أشهر؛ لأن الغاية هي السعي لتنفيذ أوامر الله على الوجه الأحسن والطريقة الأمثل [٣].

إن كثيرًا ممن يتزعمون قيادة الدعوة الإسلامية اليوم يضعون العراقيل أمام الطاقات الجديدة، والقدرات الفذة خوفًا على مكانتهم القيادية، وامتيازاتهم الشخصية، وأطماعهم الدنيوية، فعلى أولئك القادة أن يتعظوا من هذا الدرس البليغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المستفاد من موقف النبي ﷺ في حماية القادة والأمراء:

قال عوف بن مالك الأشجعي ﷺ: خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقني مدديّ من اليمن [٤]

... ومضينا فلقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وله سلاح مذهب، فجعل الرومي يضرب بالمسلمين، فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه بسيفه، وفر الرومي، فعلاه بسيفه فقتله وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه بعض السلب، قال عوف: فأتيت خالدًا، وقلت له: أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكني استكثرته قلت: لتردنها إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ ، فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا خالد ما حملك على ما صنعت؟» قال: استكثرته فقال:

---

[١] فيض الله، محمد فوزي: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص٣٥٨.

[٢] الحميدي، عبد العزيز: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٧/١٢٤.

[٣] الشامي: من معين السيرة، ص٣٧٦.

[٤] مددي أي جاء مددا، وفي رواية: رجل من حمير.



«رد عليه الذي أخذت منه». قال عوف: فقلت: دونكها يا خالد، ألم أوف لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما ذلك؟» فأخبرته قال: فغضب رسول الله ﷺ وقال: «لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لي أمرائي؟ إنما أنا مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلا أو غنما فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم »[1]. هذا موقف عظيم من النبي ﷺ في حماية القادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقص ولا إهانة، فخالد حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه، وإنما اجتهد فغلَّب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب على فرد واحد، ورأى أنه إذا دخل في الغنيمة العامة نفع عددًا أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك أدى مهمته في الإنكار على خالد، ثم رفع الأمر إلى رسول الله ﷺ حينما لم يقبل خالد قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك؛ لأنه والحال هذه قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح على يديه، ولكنه تجاوز هذه المهمة حيث حول القضية من قضية إصلاحية إلى قضية شخصية، فأظهر شيئًا من التشفي من خالد، ولم يقره النبي ﷺ على ذلك، بل أنكر عليه إنكارًا شديدًا وبيَّن حق الولاة على جنودهم، وكون النبي ﷺ أمر خالدًا بعدم رد السلب على صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع؛ لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله ﷺ إنسانًا بجريرة غيره، فلا بد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، إما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لا يذكر تفصيله في الخبر [2].

إن الأمة التي لا تقدر رجالها ولا تحترمهم لا يمكن أن يقوم فيها نظام، إن التربية النبوية استطاعت بناء هذه الأمة بناء سليمًا، وما أحرى المسلمين اليوم أن يكون كل إنسان في مكانه، وأن يحترم ويقدر بمقدار ما يقدم لهذا الدين، ويبقى الجميع بعد ذلك في الإطار العام الذي وصف الله به المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [3] وفي قوله ﷺ: «هل أنتم تاركون لي أمرائي» وسام آخر يضاف إلى خالد رضي الله عنه حيث عد من أمراء الرسول ﷺ، وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال [4].

دور الإيمان في المعركة:

توقف الجيش الإسلامي في معان يناقش كثرة جيش العدو، وكانت المقاييس المادية لا تشجعهم على خوض المعركة، ومع ذلك تابعوا طريقهم ودخلوا بمقاييس إيمانية، فهم خرجوا يطلبون الشهادة فلماذا إذن يفرون مما خرجوا لطلبه. قال زيد بن أرقم: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياتًا منها:

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل ٣/١٣٧٣، حديث (١٧٥٣).

[2] الحميدي، عبد العزيز: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٧/١٣٠.

[3] سورة المائدة: الآية ٥٤.

[4] الشامي: من معين السيرة، ص٣٧٨.





وجاء المسلمون وغادروني... بأرض الشام مشتهى الثواء

رضي الله عنهفلما سمعتها منه بكيت، قال: فخفقني بالدرة، وقال: وما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل [1].

إن التأمل بعمق في غزوة مؤتة يساعدنا في معالجة الهزيمة النفسية والروحية التي تمر بها الأمة، وإقامة الحجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا التفوق التكنولوجي لدى الأعداء. لقد سجل ابن كثير رأيه في هذه المعركة وقال: (... هذا عظيم جدا أن يقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلا، وقد قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول: لقد اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟ دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل أوان...) [2].

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٣٧٧.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٤٨٩.



الفصل الحادي عشر

غزوة فتح مكة

تمهيد:

لَقدْ أَصْبحَ المُسْلِمونَ قِوَى عُظْمَى فِي جَزيرَةِ العَرَب بَعْدَ فَتْحِ مَكَة، وَتَحققتْ أُمنيةُ الرَسُولُ ﷺ بدخول قُرَيْشٍ فِي الإِسْلامِ، وَبَرزَتْ قُوَةً كُبْرَى فِي الجَزْيرَةِ العَرَبيَة لا يَسْتَطيعْ أي تَجمُع قَبَلِي الوُقوف فِي وَجْهِهَا، وَهِيَ مُؤهَلَة لِتَوحيدِ العَرَبِ تَحْتَ رَايَةِ الإِسْلامِ ثُمَّ الانْطِلاقِ إلى الأَقْطارِ المُجاورَةِ، لإخْرَاجِ العِبَاد مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إلى عِبَادَةِ رَب العباد وَمِنْ جَورِ الأَدْيَان إلى عَدْلِ الإِسْلامِ وَمِنْ ضِيقِ الدُنْيَا إلى سِعَتِهَا وَإزَالَةِ الظُلمِ وَالطُغْيَانِ عَنِ العِبَادِ وَالبِلادِ. وَمِنْ أَجْلِ التَعرفِ عَنْ أَسْبَابِ غَزْوَة فَتْحِ مَكَّة وَأَهَمْ أَحْدَاثِهَا والدُروسِ المُسْتَفادَة مِنْهَا فَقدْ قَسَّمنَا هَذَا الفَصْلِ إلى مَبْحَثَينِ مُتَتاليين وَعَلَى النَحوِ التَالي:

المَبْحَث الأول: أَحَدَاث غَزْوَة فَتْحِ مَكَّةَ.

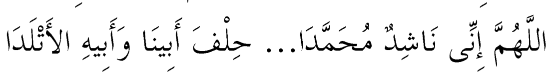
المَبْحَث الثاني: المُسْتَفاد مِنْ أَحدَاث غَزْوَة فَتْحِ مَكَّةَ.

المبحث الاول

احداث غزوة فتح مكة

اسباب الغزوة:

كَانَ فِى صُلْحِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِى عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِى عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ فَقَالُوا نَحْنُ نَدْخُلُ فِى عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ فَقَالُوا نَحْنُ نَدْخُلُ فِى عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ فَمَكَثُوا فِى تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ أَوِ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ إِنَّ بَنِى بَكْرٍ الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِى عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِى عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَعَهْدِهِ لَيْلاً بِمَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ قَرِيب مِنْ مَكَّةَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّلاَحِ فَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِلضِّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِى بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا


اللَّهُمَّ إِنِّى نَاشِدٌ مُحَمَّدَا... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الأَتْلَدَا





www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كُنَّا وَالِدًا وَكُنْتَ وَلَدَا...ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أعتَدَا...وَادْعُوا عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا... إنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا...وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا

فَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا... قَدْ جَعَلُوا لِي بِكَدَاءِ مَرْصَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا... فَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم-:« نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ ». فَمَا بَرِحَ حَتَّى مَرَّتْ عَنَانَةٌ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم-:« إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِى كَعْبٍ »[١].ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُمْ، وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشٍ بَنِي بَكْرٍ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إلَى مَكَّةَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ:كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ. وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ بِعُسْفَانَ، قَدْ بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ، وَقَدْ رَهِبُوا الَّذِي صَنَعُوا. فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلِ بْنَ وَرْقَاءَ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ يَا بُدَيْلُ؟وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: تَسَيَّرْتُ فِي خُزَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ: أَوَ مَا جِئْتُ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا، فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلِ إلَى مَكَّةَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَئِنْ جَاءَ بُدَيْلِ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوَى، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَّهُ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلِ مُحَمَّدًا[٢].

رسول الله ﷺ يعتزم فتح مكة وتأديب كفارها:

أمام نَقْض قُرَيْش للعُهودِ والمَوَاثيق مَع المُسْلِمينَ فَقدْ عَزَم رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ وَتَأدِيبِ كُفَارِهَا، وَقَدْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ العَزْم –بَعْدَ تَوفِيقِ اللهِ– عِدَةِ أَسْبَاب مِنْهَا:

١– قُوَةَ جَبْهَةِ المُسْلِمينَ الدَاخِلِيَة فِي المَدِينَة وَتَمَاسُكِهَا بَعْدَ أَنْ تَخَلَصَتْ الدَوْلَة الإِسْلامِيَة مِنْ غَدْرِ اليَهْودِ، وَتَمَّ القَضَاء عَلَى يَهْودِ بَنْي قَيْنُقَاع، وَبَنِي النَضْير، وَبَنِي قُرَيظَة، وَيَهُودِ خَيْبَر.

٢– ضَعْف جَبْهَة الأَعْدَاء فِي الدَاخِل، وَخُصُوصاً بَعْدَ أَنْ فَقَدَ المُنَافِقُونَ الرُكْن الرَكِينْ لَهُمْ (يَهُودْ المَدِينَة).

٣– اهْتِمَام رَسُول اللهِ ﷺ بتَطْوِيرِ القُوَة العَسْكَرِيَة، وَإِرْسَالِ السَّرَايَا فِي فَتْرَةِ الصُّلْحِ؛ وَبِذَلِكَ أصْبَحَتْ مُتَفَوقَة عَلَى قُوَةِ مُشْرِكِي قُرَيْش مِنْ حَيْثُ العَدَدِ وَالعُدَةِ وَالروحِ المَعْنَوِيَة.

٤– القُوَةَ الاقْتِصَادِيَة لِلدَوْلَةِ الإِسْلامِيَة بَعْدَ أَنْ فَتَحَ المُسْلِمونَ خَيْبَر وَغَنِمُوا مِنْهَا أَمْوَالاً كَثْيرَة.

---

[١] سنده قوي، مشهور:رواه البيهقي في سننه الكبرى٩/٢٣٣، حديث(١٩٣٣١).

[٢] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٣٩٧.





www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- انْتِشَارِ الإسْلام فِي القَبَائِل الُمجَاوِرَةِ لِلمَدِينَةِ، وَهَذَا يُطَمْئِن القِيَادَة حِينَ تَتَخِذْ قَرَارَهَا العَسْكَرِي بِنَقْلِ قُوَاتِهَا وَمُهَاجَمَةِ أعْدَائِهَا،

٦- قِيَام السَبَب الجَوهَرِي لِغَزْو مَكَّةَ، وَهُوَ نَقْضُ قُرَيْش لِلعَهْدِ وَالعَقْدِ [١].

تهيؤ النبي ﷺ لغزو قريش وإخفاء قصده:

وَقَدْ أمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أصْحَابَه بالتَجهز وَالاسْتِعْدَادِ لِلغَزْوِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُسَمّ وُجْهَتَهُ، وَحَرَصَ عَلَى ضَمَانِ السِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ فِي هَذَا الَمجَال، وَسَأَلَ رَبَّهُ قَائِلاً: « اللَّهمّ خُذْ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا [٢] فِي بِلَادِهَا » [٣]. وَبَدأتْ الاسْتِعْدَادَاتِ لِحَشْدِ القُوَّةِ الإسْلامِيَة القُصْوَى الُمسْتَطاعَة، وَكَانَ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُعلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِأَنَّهُ سَائِرٌ إلى مَكَّةَ، ثُمَّ اسْتَنْفَرَ القَبَائِلَ الَّتِي تَقْطُنُ قُرْبَ المَدِينَةِ: سُلَيْماً، و أَشْجَعَ و مُزَيْنَةُ وأسْلَمْ و غِفَاراً، فَمِنْهُمْ مَنْ التَحقَ بالجَيْشِ الإسْلامِيّ فِي المَدِينَةِ، وَمِنْهمْ مَن التَحقَ بالُمسْلِمينَ فِي الطَرِيقِ إلى مَكَّةَ [٤]، وَقَدْ ارْتَفَعتْ مَعْنَوياتِ الُمسْلِمينَ كَثْيراً، وكان حَسَّانُ بْنُ ثَابتٍ يُلْقِي شِعْرَهُ الَّذِي يُذَّكِر فِيهِ بِمُصَاب خُزَاعَةَ، وَنَقْضِ الُمشْرِكِينَ لِلعَهْدِ، وَيُحَرِضْ الُمسْلِمينَ عَلَى القِتَال [٥]قَالَ حَسَّانُ:

عَنَانِي[٦] وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاء مَكَّةٍ... رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا [٧]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِي... سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَحَرُّهَا وَعُقَابُهَا

وَصَفْوَانُ عَوْدٌ [٨] حَنَّ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ... فَهَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا

فَلَا تَأْمَنَنَّا يَا بن أُمِّ مُجَالِدٍ... إذَا احْتُلِبَتْ صَرْفًا[٩] وَأَعْصَلَ[١٠] نَابُهَا

ولاَ تَجْزَعُوا مِنَّا فَإِنَّ سُيُوفَنَا... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

---

[١] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية ، ص٤٠١.

[٢] هُوَ من البغتة، وَهُوَ الْفجأَة، يُقَال: بغته الْأَمر وفجأه: إِذا جَاءَ وَلم يعلم بِهِ.

[٣] ابن كثير: البداية ٦/ ٥٢٥ بإسناد صحيح عن طريق محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة- رضي الله عنها-، وأورده ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٩٧ بإسناد حسن من حديث الزهري عن عروة عن المسور.

[٤] ابن هشام: السيرة ٢النبوية/ ٣٩٩ بإسناد حسن لذاته، الواقدي:المغازي ٢/ ٨٠١.ابن سعد:الطبقات الكبرى٢/١٣٤.

[٥] ابن كثير: البداية ٦/ ٥٢٧، ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٩٨.

[٦] عناني: أهمني.

[٧] لم تجن ثِيَابهَا: لم تستر. يُرِيد أَنهم قتلوا وَلم يدفنوا.

[٨] الْعود: المسن من الْإِبِل.

[٩] الصّرْف: اللَّبن الْخَالِص هُنَا.

[١٠] وأعصل: أَعْوَج، والعصل: اعوجاج الْأَسْنَان.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبلغ عدد جيش الْمُسْلِمِينَ عَشَرَةِ آلَافٍ مُقَاتِلْ [1]، وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ[2]، وهذا يدل على مدى تعاظم قوات المسلمين خلال فترة السنة ونصف التي أعقبت صلح الحديبية [3].

قصة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة:

التَزَمَ الصَحابَة بِالسِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ وُحجِبَتْ الأَخْبَار تَمامَاً عَنْ قُرَيْش مِمَّا يَعْكِسْ مَدَى الضَبْط وَالرَبْط وَالالْتِزَام الدَقْيق بِأوَامرِ القِيَادَةِ، وَالتَقويمِ السَّليمِ لِلمَصْلَحَةِ الإسْلامِيَةِ العُلْيَا. وَكَانَ الاسْتِثْنَاء الوَحْيد فِي هَذَا المَجَال المُحَاوَلَة الفَاشِلَة الَّتِي أَقْدَمَ عَلَيهَا الصَحَابِي البَدْري حَاطِب ابْن أَبِي بَلْتَعَة. حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا قَالَ فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ قَالَتْ مَا مَعِي كِتَابٌ فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ قَالَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ يَقُولُ كُنْتُ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[4] فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** [5].فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ [6].

---

[1] الواقدي: المغازي ٢/ ٨٠١.

[2] سنده صحيح:رواه الطبراني في معجمه الكبير ١١/٨، حديث(٧٢٦٤).

[3] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٧٤.

[4] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْفَتْحِ ٥ / ١٤٥، حديث(٤٢٧٤).

[5] سورة الممتحنة، الآية: ١.

[6] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا ٥ / ٧٧، حديث(٣٩٨٣).



الجيش الاسلامي يتحرك نحو مكة:

أعَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشاً لَمْ تَشْهَدْ الجَزِيرَة العَرَبِيَة لَهُ مَثيلاً مِنْ قَبْلُ، وَسَارَ هَذَا الجَيْش باتِجَاهِ مَكَّةَ، وَحَتَّى يُموِّه عَلَى الحَمْلَةِ أَرْسَلَ أَبَا قَتَادَة الْحَارِث بْنُ رِبْعِيٍّ إِلَى إِضَمْ[1] فِي ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ لِيُوهِمَ الْقُرَشِيِّينَ أَنَّهُ تَوَجَّهَ إلى تِلْـكَ النَاحِيَـةِ، وَلْيُفَاجِئهُم عَلَى غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ مِنْهُمْ لِحَرْبِهِ[2].

بَدَأَتْ قُواتْ الفَتْح مَسْيْرَتَها المُظَفَرَة مِنَ الْمَدِينَةِ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَة ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ؛ بَعْدَ أَنِ اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنٍ الْغِفَارِيَّ [3]، وَسَارَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُـومُونَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ، وَهُوَ مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَلَمْ يَصُمْ "[4].

رسول الله ﷺ يفطر على راحلته:

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتحِ إِلى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاء، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: "أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ". وفي رواية: أنه قِيلَ للنبي ﷺ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ الصِّيَامُ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ فِيمَا فَعَلْتَ، فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصرِ [5]. ولَمْ يَزَلْ النبي ﷺ مُفْطِرًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ [6].

وعن أنس: لَمَّا اسْتَوَى النَّبِي ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ أَوْ مَاءٍ عَلَى رَاحَتِهِ أَوْ رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلى النَّاسِ، فَقَالَ الْمُفْطِرُونَ لِلصُّوَّامِ: أَفْطِرُوا[7].

أبو سفيان بن حرب بين يدي رسول الله ﷺ:

أَمَرَ النَّبِي ﷺ أَصْحَابَهُ فَأَوْقَدُوا عَشَرَةَ آلَافِ نَارٍ وَلَمْ يَبْلُغْ قُرَيْشًا مَسِيرُهُ وَهُمْ مُغْتَمُّونَ لِمَا يَخَافُونَ مِنْ غَـزْوِهِ إِيَّـاهُمْ فَبَعَثُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ يَتَحَسَّبُ الْأَخْبَارَ وَقَالُوا: إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّدًا فَخُذْ لَنَا مِنْهُ أَمَانًا[1].وقد خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو

---

[1] أضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السُّمينة، وقيل ذو إضم جوف هناك به ماء، وإضم وادٍ بجبال تهامة وهو الوادي الذي فيه المدينة الذي تجتمع فيه الوديان الثلاثة: بطحان وقناة والعقيق، على ثلاثة بُرد منها. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان ١/ ٢١٥.

[2] ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٣٢/٢.

[3] سنده صحيح:رواه الطبراني في معجمه الكبير ١١/٨، حديث(٧٢٦٤).

[4] إسناده صحيح على شرط الشيخين:رواه احمد في مسنده: ٥/ ٢٠٧، حديث (٣٠٨٩).

[5] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب جواز الفطر في شهر رمضان للمسافر في غيرمعصية٧٨٥/٢، حديث(١١١٤).كُراع الغميم: تبعد عن المدينة ٣٠١ كم وعن مكة ٨٦ كم.

[6] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان، ١٤٥/٥، حديث(٤٢٧٥).

[7] صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الفتح في رمضان١٤٦/٥، حديث(٤٢٧٧).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سُفْيَانَ بْنُ حَرْب، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَحَسَّسُونَ وَيَنْتَظِرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ، وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ. قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ. فَلَمَّا أُخْرِجَ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيٌّ لَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي، أَوْ لآخُذَنَّ بِيَدِ ابْنِيَّ هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهُمْا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْا فَدَخَلاَ وَأَسْلَمَا، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ، إِنَّهُ لَهَلاَكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ الْبَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الأَرَاكَ فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ، أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً. قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا، وَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلاَمَ أَبِي سُفْيَانَ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا وَلاَ عَسْكَرًا قَالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ وَاللَّهِ نِيرَانُ خُزَاعَةَ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خُزَاعَةُ، وَاللَّهِ أَذَلُّ وَأَلأَمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا وَعَسْكَرُهَا. قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ فَقُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ مَالَكَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ مَعِي هَذِهِ الْبَغْلَةَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَأْمِنَهُ لَكَ، قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، فَحَرَّكْتُ بِهِ كُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: عَمُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الْبَغْلَةِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلاَ عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيءُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلاَ عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ قُلْتُ: مَهْلاً يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ: مَهْلاً يَا عَبَّاسُ، فَوَاللَّهِ لإِسْلاَمُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/١٣٥.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِسْلاَمِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلاَّ أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلاَمَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلاَمِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ، فَإِذَا أَصْبَحَ فَائْتِنِي بِهِ. فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ هَذِهِ، وَاللَّهِ كَانَ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الآنَ. قَالَ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَسْلِمْ، وَاشْهَدْ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قَالَ: فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ: نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ. فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا. قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَحْبِسَهُ قَالَ: وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ. فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ قَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ. فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ؟ حَتَّى تَعَدَّتِ الْقَبَائِلُ لاَ تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلاَّ قَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ؟ فَأَقُولُ: بَنُو فُلاَنٍ. فَيَقُولُ: مَالِي وَلِبَنِي فُلاَنٍ. حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَضْرَاءِ كَتِيبَةٌ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لاَ يَرَى مِنْهُمْ إِلاَّ الْحَدَقَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، مَنْ هَؤُلاَءِ يَا عَبَّاسُ؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ. قَالَ: مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلاَءِ قِبَلٌ وَلاَ طَاقَةٌ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مِلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا. قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ. قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ، قُلْتُ: النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ. قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ، فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الدَّسَمَ الأَحْمَسَ، فَبِئْسَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ. قَالَ: وَيْحَكُمْ، لاَ تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ قَالُوا: وَيْلَكَ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ. قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ[1].

[1] سنده صحيح:رواه الطبراني في معجمه الكبير ٨/١١، حديث(٧٢٦٤).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسول الله ﷺ يستعد لدخول مكة:

جَهَزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَهُ اسْتِعْدَادًا لِدُخول مَكَّةَ، فَقَسَّمَ الجَيْشَ وَجَعلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى وَالزُّبَيْرَ بنَ الْعَوَّامِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وجعل أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجرَّاحِ عَلَى الرَجَالَة فِي بَطْنِ الْوَادِي[1].ثُمَّ أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ يَجْمعْ لَهُ الْأَنْصَارَ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ النبي ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ [2]؟ "، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "انْظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا"، ثُمَّ قَالَ بِيَدِه -أيْ: أَشارَ- وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ [3].ثُمَّ أَمرَ النَّبيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَأخُذَ بَطْن الْوَادِي أَسْفَلَ مَكَّةَ [4]، وَقَام بتوزيع الزُّبَيْرَ بنَ الْعَوَّامِ و أَبَا عُبَيْدَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – [5].وسار النَّبِي ﷺ ناحية كَدَاءِ [6] الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ [7]، وَوَاعَدهُمْ أَنْ يُوافُوهُ عِنْدَ جَبَلِ الصَّفَا، وَقَالَ: "مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا"[8]. يقول أبو هريرة ﷺ فَانْطَلَقْنَا، فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا[9] أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا [10].

الرسول ﷺ يَدْخُل المسجد الحرام:

دَخَلَ النبي ﷺ مَكَّةَ فاتحًا منتصرًا دون أدنى مقاومة تُذكر، وَكان على رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ[11]، وكانت رَايَةَ النبي ﷺ حين دخوله سَوْدَاءَ، وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضُ [12]، ودخل النبي ﷺ من أعلى مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَهُوَ يَقْرَأ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرَجِّعُ [1]. وكان

---

[1] أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الأُخْرَى وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّرِ فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِى. صحيح مسلم:٣ / ١٤٠٥، حديث(١٧٨٠).

[2] أوباش قريش: أي جموع قريش.

[3] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة٣/١٤٠٥، حديث(١٧٨٠).

[4] صحيح: التخريج السابق.

[5] صحيح: أخرجه أبو داود: كتاب الخراج والفيء والامارة، باب ما جاء في خبر مكة، ٤/٦٣٥، حديث (٣٠٢٤)وصححه الألباني.

[6] كَداء: جبل بأعلى مكة.

[7] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب دخول النبي – صلى الله عليه وسلم – من أعلى مكة، ٥/١٤٩، حديث(٤٢٩٠).

[8] (موعدكم الصفا):يعني قال هذا لخالد ومن معه الذين أخذوا أسفل من بطن الوادي وأخذ هو صلى الله عليه وسلم ومن معه أعلى مكة.

[9] فما شاء أحد منا الخ) أي لا يدفع أحد منهم عن نفسه.

[10] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة٣/١٤٠٥، حديث(١٧٨٠).

[11] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي الراية يوم الفتح، ٥/١٤٨، حديث(٤٢٨٦).

المغفر: واقي الرأس، الذي يلبسه الفرسان في الحروب.

[12] صحيح: أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الجهاد، باب الرايات والألوية، ٢/٩٤١، حديث(٢٨١٨) وحسنه الالباني.



مُردِفًا أُسَامَةَ بن زَيْدٍ، وَمَعَهُ بِلَالٌ، وَمَعَهُ عُثْمَانُ بن طَلْحَةَ مِنْ الْحَجَبَةِ [٢]، حَتَّى أَنَاخَ النبي ﷺ في الْمَسْجِدِ، فَأَمَرَ عثمان بن طلحة أَنْ يَأْتِيَ بِمِفْتَاحِ الْبَيْتِ، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَعَهُ أُسَامَةُ وَبِلَالٌ وَعُثْمَانُ بن طلحة، فَمَكَثَ فِيهَا نَهَارًا طَويلاً، ثُمَّ خَرَجَ، فَاسْتَبَقَ النَّاسُ، وَكَانَ عبد الله بن عُمَرَ ﷺ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ، فَوَجَدَ بِلَالًا وَرَاءَ الْبَابِ قَائِمًا، فَسَأَلَهُ: أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالَ جَعَلَ عَمُودَيْنِ عَنْ يَسَارِهِ وَعَمُودًا عَنْ يَمِينِهِ وَثَلَاثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ – وَكَانَ الْبَيْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ – ثُمَّ صَلَّى.[٣].وَعَنْ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى ركْعَتَيْنِ [٤]. وَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بالدَعَاء في نَوَاحِيها كُلِّهَا [٥]، ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَي الْبَابِ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟ ، فَقَالُوا: نَقُولُ أَخٌ وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٌ رَحِيمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٦]، قَالَ: فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ[٧].

الرَّسُول ﷺ يأمر بتطهير المسجد الحرام من الاصنام:

وأمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بتَحْطِيمِ الأصْنَامِ، وَتَطْهِيرِ الْبَيْتِ الحَرَامِ مِنْهَا، وَشَارَكَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ صنم، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ" [٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ، كَانُوا يَعْبُدُونَهُ وَفِي يَدِه قَوْسٌ، وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ [٩]، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِي عَيْنِهِ، وَيَقُولُ: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ" [١].

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح، ٥/١٤٧، حديث(٤٢٨١).صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب ذكر قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – سورة الفتح يوم فتح مكة١/٥٤٧، حديث(٧٩٤).الترجيع: ترديد الحرف في الحلق.

[٢] الحجبة: الذين معهم مفتاح الكعبة.

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار، ٤/٥٦، حديث(٢٩٨٨). صحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، والصلاة فيها، والدعاء في نواحيها كلها٢/٩٦٦، حديث(١٣٢٩).

[٤] صحيح: أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، باب الصلاة في الكعبة، ٣/٣٧٢، حديث(٢٠٢٦)، وصححه الألباني.

[٥] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح، ٥/١٤٨، حديث(٤٢٨٨).صحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب دخول الكعبة٢/٩٦٨، حديث(١٣٣٠).

[٦]سورة يوسف:الآية ٩٢.

[٧]سنده صحيح:رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣ / ٣٢٥، حديث(٥٤٥٤).

[٨] متفق عليه:أخرجه البخارى: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح، ٥/١٤٨، حديث(٤٢٨٧).صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة٣/ ١٤٠٨، حديث (١٧٨١).

[٩] سِيَة القوس: أي طرفه.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَفِي رِوَايَة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النَّبيَّ ﷺجَعَلَ يَطْعَنُهَا وَهوَ يَقُولُ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٢]، ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا {يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [٣][٤].

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ، وَفِي الْبَيْتِ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلاَثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَكُبَّتْ كُلُّهَا لِوُجُوهِهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٥]، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْبَيْتَ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، فَرَأَى فِيهِ تِمْثَالَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، وَقَدْ جَعَلُوا فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ الأَزْلاَمَ يَسْتَقْسِمُ بِهَا [٦].

الرَّسُول ﷺ يأمر بِطَمْسِ مَا بِالْبَيْتِ مِنْ صُوَرٍ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قَاتَلَهُمَ اللَّهُ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلاَمِ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِزَعْفَرَانٍ، فَلَطَّخَهُ بِتِلْكَ التَّمَاثِيلِ [٧].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا دخل مَكَّةَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأُخرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا مِنْ الْأَزْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَاتَلَهُمُ الله لَقَدْ عَلِمُوا مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ" [٨].

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ، وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ، خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِهِ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ [٩]فِي يَدِهِ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَخَذَ مِنْهُ

---

[١] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة٣/١٤٠٥، حديث(١٧٨٠).

[٢] سورة الاسراء:الآية ٨١.

[٣] سورة سبأ:الآية ٤٩.

[٤] متفق عليه: أخرجه البخارى: كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}، ٦/٨٦، حديث(٤٧٢٠). صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة٣/ ١٤٠٨، حديث (١٧٨١).

[٥] سورة الاسراء:الآية ٨١.

[٦] الأزلام: مفردها زلم، بفتح الزاي أو ضمها، وهي الرماح، فكان أهل الجاهلية إذا كان الواحد منهم مقبلاً على أمر مهم جاء برماح ثلاثة مكتوب على أحدها: (افعل)، والآخر (لاتفعل)، والثالث ليس عليه شيء، أو مكتوب على أحدها: (أمرني ربي)، والآخر (نهاني ربي)، والثالث ليس عليه شيء، ثم وضعها في شيء، ثم يمدُّ يده فيخرج أحدها، فإذا خرج سهم الأمر، فعله، وإذا خرج سهم النهي، تركه، وإن طلع الفارغ، أعاد، والاستقسام: مأخوذ من طلب القَسْم من هذه الأزلام.

[٧] حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٤٠٣، حديث (٣٦٩٠٥)، وحسنه ابن حجر في "المطالب العالية" ١٧/٤٦٩، حديث (٤٣٠٣).

[٨] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح، ٥/١٤٨، حديث(٤٢٨٨).

[٩] المِحْجَن: عود مِعْوَجُّ الطرف، يمسكه الراكب للبعير في يده.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَفُتِحَتْ لَهُ، فَدَخَلَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ طَرَحَهَا، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اُسْتُكِفَّ لَهُ النَّاسُ[1] فِي الْمَسْجِدِ[2].

وعن جَابِر بن عبد الله ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ أَمَرَ عُمَرَ بن الْخَطَّاب ﷺ زَمَنَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ، أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَةَ فَيَمْحُوَ كُلَّ صُورَةٍ فِيهَا، فلَمْ يَدْخُلْها النبي ﷺ حَتَّى مُحِيَتْ كُلُّ صُورَةٍ فِيها. وفي رواية: فَبَلَّ عُمَرُ ثَوْبًا وَمَحَاهَا بِهِ [3].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ فَوَجَدَ فِيهِ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَصُورَةَ مَرْيَمَ، فَقَالَ: "أَمَا لَهُمْ فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ"[4]. وَهَكَذا تَمَّ تَطْهِيرِ البَيتِ العَتيقِ مِنْ مَظَاهِرِ الوَثَنِيةِ وَأَوْضَارِ الجَاهِلِيَةِ، لِيَعُود كَمَا أَرادَ لَهُ اللهُ تَعَالَى وَكَمَا قَصدَ بِبنَائِه إِبْراهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، مَكَاناً لِعبَادَةِ اللهِ وَتَوحيدِهِ، وَلا شَكَّ أَنَّ تَطْهِيرِ البَيتِ مِنَ الأصْنَامِ كَانَ أَكْبرْ ضَرْبَةً للوَثَنيَةِ فِي أَرْجَاءِ الجَزْيرَةِ العَرَبيَةِ حيثُ كَانَتْ الكَعْبَةَ أَعْظَمْ مَرَاكِزِهَا [5].

النبي ﷺ يخطب الناس بعد الفتح:

عن عَمْرِو بن حُرَيْثٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه [6]. وعَنْ عبد الله بن عُمَرَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَهُوَ عَلَى دَرَجِ الْكَعْبَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تذكر وتدعى من دَمٍ أو مال تَحْتَ قَدَمَيَّ، إِلَّا مَا كَانَ وسِدَانَةِ الْبَيْتِ، ألا إن دية الخطإ شبه العمد، ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل، منها أربعون في بطونها أولادها" [7].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ، عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ، بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأُخْبِرَ بذَلِكَ رسول الله ﷺ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ، فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَه وَالْمُؤْمِنون، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ

---

[1] استكفَّ الناس: أي: اجتمعوا.

[2] إسناده حسن: أخرجه ابن هشام في "السيرة" ٢/٤١٢، عن ابن إسحاق بإسناد حسن.

[3] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، ٢٣/٤٠٩، حديث ١٥٢٦١، وأبو داود: كتاب اللباس، باب في الصور، ٦/٢٣٣، حديث (٤١٥٦)وصححه الألباني.

[4] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)} [النساء: ١٢٥]، ٤/١٣٩، حديث(٣٣٥١).

[5] العمري:السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٨٣ ٤٨٤.

[6] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام٢/٩٩٠، حديث(١٣٥٩).

[7] حسن: أخرجه أبو داود: كتاب الديات، باب الدية كم هي؟٦/٦٠٦، حديث(٤٥٤٧). أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الحدود، باب دية شبه العمد، ٢/٨٧٨، حديث(٢٦٢٨).


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ، لَا يُخْبَط [1] شَوْكُهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا [2]، وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا مُنْشِدٍ، ومَنْ قُتِلَ له قتيل فَهُوَ بخَيْرِ النَّظَرَيْنِ [3]، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يقال له: أبو شاة، فَقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: "اكْتُبُوا لأبي شاة" [4].

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العدوي أن النَّبيَّ ﷺ خطب يَوْمَ الغد من فَتْحِ مكة، فحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الْأخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا: فَقُولُوا له: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ" [5]. وقال النَّبيُّ ﷺ: "لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" [6].

وعن عبد الله بن مُطِيعٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: "لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" [7].

وعَنْ عبد الله بن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بنو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [8] " [9].

---

[1] يخبط: أي يُضرب بالعصا ليقع.

[2] يُعضد: يقطع.

[3] بخير النظرين: أي إما أن يقبل الدية، وإما أن يُقاد من القاتل.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم، ١/٣٣، حديث(١١٢).صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة٢/٩٨٨، حديث(١٣٥٥).

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد الغائب، ١/٣٢، حديث(١٠٤).صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة٢/٩٨٧، حديث(١٣٥٤).

[6] صحيح: أخرجه الترمذي في سننه:كتاب السير، باب ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة، ٤/١٥٩، حديث (١٦١١) وقال: حسن صحيح.

[7] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب لا يقتل قرشي صبرًا بعد الفتح٣/١٤٠٩، حديث(١٧٨٢).

[8] سورة الحجرات:الآية ١٣.

[9] صحيح: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب سورة الحجرات،٥/٣٨٩، حديث(٣٢٧٠) وصححه الألباني.





وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ: "لَا هِجْرَةَ بعد الفتح، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا"، ثم ساق ابن عباس خطبة النبي ﷺ بنحو حديث أبي هريرة في تحريم مكة وشجرها ونباتها، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله إِلَّا الْإِذْخِرَ، فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ [1]، وَلِبُيُوتِهِمْ، فقَالَ النبي ﷺ: "إِلَّا الْإِذْخِرَ" [2].

وعَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺأَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: "إِنَّ الله وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ"، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ؟ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ [3]،

فَقَالَ: "لَا هُوَ حَرَامٌ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: "قَاتَلَ الله الْيَهُودَ إِنَّ الله لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ [4]، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ" [5].

اهدار دماء رجال من اكابر المجرمين:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ آمَنَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– النَّاسَ إِلاَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ:« اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِى جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ وَمِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى سَرْحٍ ». فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ وَأَمَّا مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِى السُّوقِ فَقَتَلُوهُ وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ لأَهْلِ السَّفِينَةِ أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لاَ تُغْنِى عَنْكُمْ شَيْئًا هَا هُنَا قَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِى فِى الْبَحْرِ إِلاَّ الإِخْلاَصُ لاَ يُنَجِّينِى فِى الْبَرِّ غَيْرُهُ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَىَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِى مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِىَ مُحَمَّدًا حَتَّى أَضَعَ يَدِى فِى يَدِهِ فَلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا قَالَ فَجَاءَ فَأَسْلَمَ وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَفَى عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاَثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ:« أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ

---

[1] قينهم، بفتح القاف: الحداد والصائغ، وهم يحتاجون إليه في وقود النار.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الإذخر والحشيش في القبر، ٩٢/٢، حديث(١٣٤٩). صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة، وفي رواية قال العباس: ولقبورهم٩٨٦/٢، حديث(١٣٥٣).

[3] يستصبح بها الناس: أي يوقدون بها مصابيحهم.

[4] جملوه: أي: أذابوه.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، ٨٤/٣، حديث (٢٢٣٦).صحيح مسلم: كتاب المساقاه، باب تحريم بيع الخمر والميتة والختزير والأصنام١٢٠٧/٣، حديث(١٥٨١).

رَآني كَفَفْتُ يَدِى عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟ ». فَقَالُوا: مَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِى نَفْسِكَ هَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ قَالَ:« إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى لِنَبِىٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ » [١].

النبي ﷺ يُبايع أهل مكة:

عن الْأَسْوَدِ بن خلف ﷺ أنه رأى النَّبِيَّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ يَوْمَ الْفَتْحِ، قَالَ: جَلَسَ عِنْدَ قَرْنِ مَصْقَلَةَ [٢]، فَبَايَعَ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالشَّهَادَةِ [٣].

وعن مُجَاشِعِ بن مسعود ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَخِي بَعْدَ الْفَتْحِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله جِئْتُكَ بِأَخِي لِتُبَايِعَهُ عَلَى الْهِجْرَةِ، قَالَ: "ذَهَبَ أَهْلُ الْهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا"، فَقُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيءٍ تُبَايِعُهُ؟ قَالَ: "أُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ" [٤].

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَثَرْ عَفْو النَّبِيِّ الشَامِلْ لأَهْلِ مَكَّةَ أَنْ دَخلَ أَهْل مَكَّة رِجَالاً وَنِسَاءً وَأَحْرَاراً وَمَوالي فِي الإسْلام طَوَاعِيَةً واختياراً، وَتَبِعَهُمْ مُعْظَمِ العَربْ فِي الدُخُولِ فِي الإسْلامِ، وَقَدْ أشَارتْ سُورَة النَصْر إِلَى فَتْح مَكَّةَ وَدُخُول قُرَيْش وَغَيرهُم فِي دِينِ الله، قَالَ تَعَالَى: **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** [٥].

بيعة النساء لرسول الله:ﷺ

لَمَّا فرغَ ﷺ مِنْ بَيْعَةِ الرِجَال، بَايَعَ النِسَاء عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْمُمْتَحِنَة، وَقَدْ تَضَمنَتْ «**ألّا يشركن بالله تعالى ولا يسرقن ولا يزنين ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف**» [٦].وَلَقَدْ خَشِيَ بَعْض الأنْصَار أَنْ يَكُونَ الأمَان الَّذِي مَنَحه الرَسُول ﷺ لِقُرَيْش وَتَسامُحه مَعَهُمْ دَلِيلاً عَلَى رَغْبَتِه فِي الْمُقَام بَينَ أَبْناء عَشيرَته، فَأخْبَرَه الوَحْي بِمَا قَالُوا فَخَاطَبَهُمْ قَائِلاً: « إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ »، فَاعْتَذَروا إليه فقَبلَ اعْتِذَارَهُمْ [٧].

---

[١] صحيح: أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: قتل الأسير، ولا يُعرض عليه الإسلام، ٣١٨/٤، حديث(٢٦٨٣). والنسائي في سننه: كتاب المحاربة، باب الحكم في المرتد، ٤٤٣/٣، حديث(٣٥١٦) وصححه الألباني.

[٢] مكان في الكعبة.

[٣] إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده ١٦١/٢٤، حديث (١٥٤٣١) بإسناد صحيح.

[٤] متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب مقام النبي – صلى الله عليه وسلم – بمكة زمن الفتح، ١٥٢/٥، حديث(٤٣٠٥، ٤٣٠٦). صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة١٤٨٧/٣، حديث(١٨٦٣).

[٥] سورة النصر: الآيات ١ ٣.

[٦] سورة المتحنة:الآية ١٢.

[٧] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ٣/ ١٤٠٦ حديث ١٧٨٠.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السرايا والبعوث لهدم الاوثان:

بَثَّ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَرَايَاهُ إِلَى الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَنَادَى مُنَادِيهِ بِمَكَّةَ: " «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدَعْ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ» ".ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَّى، وَكَانَتْ بِنَخْلَةَ [1]، وَكَانَتْ بَيْتًا يُعَظِّمُهُ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَمُضَرَ كُلِّهَا، وَكَانَتْ سَدَنَتُهَا[2] وَحُجَّابُهَا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حُلَفَاءِ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا سَمِعَ صَاحِبُهَا السُّلَمِيُّ بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهَا، عَلَّقَ عَلَيْهَا سَيْفَهُ، وَأَسْنَدَ [3]فِي الْجَبَلِ الَّذِي هِيَ فِيهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَيَا عُزَّ شُدِّي شِدَّةً لَا شَوَى لَهَا [4]... عَلَى خَالِدٍ أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمِّرِي

يَا عُزَّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا... فَبُوئِي[5] بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنَصَّرِي

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا خَالِدٌ هَدَمَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَتْ الْعُزَّى أَعْظَمَ آلهَة قُرَيْش[6].

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيَّ إِلَى مَنَاةَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَكَانَتْ بِالْمُشَلَّلِ لِلْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَغَسَّانَ فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا سَادِنٌ فَقَالَ: السَّادِنُ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: هَدْمَ مَنَاةَ، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي إِلَيْهَا وَتَخْرُجُ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ ثَائِرَةُ الرَّأْسِ تَدْعُو بِالْوَيْلِ وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا، فَقَالَ: السَّادِنُ: مَنَاةُ دُونَكَ بَعْضَ غَضَبَاتِكِ وَيَضْرِبُهَا سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيُّ وَقَتَلَهَا وَيُقْبِلُ إِلَى الصَّنَمِ مَعَهُ أَصْحَابُهُ فَهَدَمُوهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِي خَزَائِنِهَا شَيْئًا وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم وَكَانَ ذَلِكَ لِستٍّ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.ثم بَعَثَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلم عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى سُوَاعٍ صَنَمِ هُذَيْلٍ لِيَهْدِمَهُ قَالَ عَمْرٌو: فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ السَّادِنُ فَقَالَ: مَا تُرِيدُ قُلْتُ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم أَنْ أَهْدِمَهُ قَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: تُمْنَعُ قُلْتُ: حَتَّى الْآنَ أَنْتَ فِي الْبَاطِلِ وَيْحَكَ وَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَكَسَرْتُهُ وَأَمَرْتُ أَصْحَابِي فَهَدَمُوا بَيْتَ خِزَانَتِهِ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ شَيْئًا ثُمَّ قُلْتُ لِلسَّادِنِ: كَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ أَسْلَمْتُ لِلَّهِ[7].

وَلَمَّا رَجَعَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ مِنْ هَدْمِ العُزْى بَعَثَه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ

---

[1] نخلة: اسم مكان، على بعد يومين من مكة.

[2] سدنتها: جمع سَدَن، وهو خادم بيت.......

[3] أسند: ارتفع وعلا.

[4] لا شوى لها: أي: لا تبقى على شيء.

[5] بوئي: ارجعي.

[6] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٣٧.

[7] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/١٤٦.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ[١].

وَكَانتْ بَنُو سُلَيْمٍ هُمْ الذِينَ قَتَلوا أسْرَاهُمْ دُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَبعثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً فَوَدَى لهم قَتْلاهُمْ وَمَا ذَهَبَ مِنْهُمْ، وَكانَ بَيْنَ خَالِدٍ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلامٌ وَشَرٌ فِي ذَلك، فَبَلغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: مَهْلًا يَا خَالِدُ، دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي، فوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلَا رَوْحَتَهُ[٢].

---

[١] صحيح: أخرجه البخاري: بَاب بَعْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ٥/١٦٠، حديث(٤٣٣٩)

[٢] وفي رواية:عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (لو كنت متخذا خليلا)٥/٨، حديث (٣٦٧٣).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

المستفاد من احداث غزوة فتح مكة

المستفاد من أسباب نجاح الرسول ﷺ في فتح مكة:

١- معرفة الرسول ﷺ بإمكانات قريش وقدراتها العسكرية، في الوقت الذي كانت تجهل تطور قوة المسلمين الحقيقية، بدليل أنها أقدمت على مساعدة حليفتها قبيلة بكر في قتالها ضد خزاعة حليفة الرسول ﷺ؛ ما كان سبباً في اندحارها وفتح مكة.

٢- المحافظة على السرية التامة لوجهة التحرك، وتحقيق مبدأ المفاجأة.

٣- لجوء الرسول ﷺ إلى الحرب النفسية لإرباك العدو.

٤- توزيع القوات من أجل الإستعداد الدائم لأي مواجهة مفاجئة، وتفويت فرصة القتال على أهل مكة، إن أرادوا ذلك، فيضطرون إلى تشتيت وتبديد قواهم، وإنما فعل الرسول ﷺ ذلك حقناً للدماء ما أمكن.

٥- كان الرسول ﷺ عندما وصل إلى مشارف مكة يقرأ سورة الفتح، ويشكر الله على نصره وتأييده بعيداً عن نشوة النصر ومشاعر التكبر والتجبر، كما يفعل معظم القادة عادة، ويضع رأسه تواضعاً لله، وهذا يعني أنه كان مندمجاً في حال من العبودية التامة لله تعالى، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم في حال عبودية دائماً لله في كل أحواله، في السراء والضراء، والرخاء والشدة، وعند الضعف والقوة.

٦- إتصف الرسول ﷺ عقب فتح مكة بسمو النفس، وسماحة الخلق، فأزداد الناس إعجاباً به، ذلك أن قواعد الحرب في الجاهلية في جزيرة العرب وخارجها، قبل الإسلام، كانت تجعل أهل البلد المفتوح في موضع الأسرى بيد القائد الفاتح ورجاله، ولهم حق السلب والنهب والقتل حتى يصدر القائد المنتصر الأمر لجنوده بالتوقف عن ذلك، فلما فتح الرسول ﷺ مكة؛ تصرف وفقاً لشرائع الإسلام السمحة، ودفعته إنسانيته أن يقول لأهل مكة إنكم لستم أسرى ولا عبيد، وليست بلدكم ملكاً لي، ولا مستباحاً من جنودي، وأنه ليس ملكاً متغلباً، فلا غلب، ولا سيادة غالب على مغلوب، إنما هو فتح القلوب للإسلام.

٧- عامل الرسول ﷺ الناس بعد أن دخل مكة فاتحاً على قدر عقولهم، وكأنه إلى جانب نبوته كان مصلحاً اجتماعياً، فهو يخاطب كل واحد بالإسلوب الذي يقنعه وبمنطقه، كما حصل مع صفوان بن أُمية.

٨- منح الرسول ﷺ من لم يهتدِ من المشركين فسحة من الوقت مدتها أربعة أشهر حتى يناله الهدى، وبعدها يجوز عليه القتل إن لم يهتد، أما الرجل من أهل الكتاب، فعليه الجزية والطاعة حتى يهتدي، إن أراد الله به الخير. وقد طبق هذا المعنى في الطليق والطلقاء مع عدة نفر لم يشاؤوا أن يُسلموا عند الفتح، منهم سهيل بن عمرو، شيخ بني عامر بن لؤي.



المستفاد من معاملة رسول الله ﷺلأبي سفيان يوم فتح مكة:

١ – عندما أصبح أبو سفيان رهينة بيد المسلمين، وأصبح رهن إشارة النبي ﷺ، وهمَّ به عمر، وأجاره العباس، ثم جاء في صبيحة اليوم الثاني ليمثل بين يدي رسول الله ﷺ، وكانت المفاجأة الصاعقة له بدل التوبيخ والتهديد والإذلال أن يدعى إلى الإسلام، فتأثر بهذا الموقف واهتز كيانه؛ فلم يملك إلا أن يقول: بأبي أنت وأمي يا محمد، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! إنه يفدي رسول الله ﷺ بأبيه وأمه، ويثني عليه الخير كله: ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! [١].

٢– وعندما قال العباس للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا قال النبي ﷺ: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ففي تخصيص بيت أبي سفيان شيئًا يشبع ما تتطلع إليه نفس أبي سفيان، وفي هذا تثبيت له على الإسلام وتقوية لإيمانه [٢] وكان هذا الأسلوب النبوي الكريم عاملا على امتصاص الحقد من قلب أبي سفيان، وبرهن له بأن المكانة التي كانت له عند قريش، لن تنتقص شيئا في الإسلام، إن هو أخلص له وبذل في سبيله [٣] وهذا منهج نبوي كريم على العلماء والدعاة إلى الله أن يستوعبوه ويعملوا به في تعاملهم مع الناس.

٣– وفي قول رسول الله ﷺ لعمه العباس عن أبي سفيان: «احبسه بمضيق الوادي، حتى تمر به جنود الله فيراها» [٤] ففعل العباس، وكان ﷺ يريد أن يشن حربًا نفسية للتأثير على معنويات قريش حتى يتسنى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة، وحتى يرى أبو سفيان بعيني رأسه مدى قوة ما وصل إليه الجيش الإسلامي من تسليح وتنظيم وحسن طاعة وانضباط؛ وبذلك تتحطم أي فكرة في نفوس المكيين يمكن أن تحملهم على مقاومة هذا الجيش المبارك إذا دخل مكة لتحريرها من براثن الشرك والوثنية [٥] ، وبالفعل تم ما رسمه رسول الله ﷺ، وأدرك أبو سفيان قوة المسلمين، وأنه لا قبل لقريش بهم، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار قال أبو سفيان: سبحان الله! يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: نعم إذاً.... [٦].

«إنها النبوة»؛ تلك هي الكلمة التي أدارتها الحكمة الإلهية على لسان العباس، حتى تصبح الرد الباقي إلى يوم القيامة على كل من يتوهم أو يوهم أن دعوة النبي ﷺ إنما كانت ابتغاء ملك أو زعامة، أو إحياء قومية أو عصبية، وهي

---

[١] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن٢/٣٩٥.

[٢] المصدر نفسه٢/ ٤٠٣.

[٣] محمد رواس: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٢٤٥.

[٤] سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٣.

[٥] محمد الرشيد: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص٤٤٧.

[٦] السيرة النبوية لابن هشام ٢/٤٠٤.



كلمة جاءت عنوانًا لحياة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها، فقد كانت ساعات عمره ومراحلها كلها دليلاً ناطقا على أنه بعث لتبليغ رسالة الله إلى الناس، لا لإشادة ملك لنفسه في الأرض [1].

المستفاد من أمر رسول الله ﷺبإيقاد النيران يوم فتح مكة:

لقد تعمد النبي ﷺ شن الحرب النفسية على أعدائه أثناء سيره لفتح مكة، حيث أمر رسول الله ﷺ بإيقاد النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق، فكان لمعسكرهم منظر مهيب كادت تنخلع قلوب القريشيين من شدة هوله [2]، وقد قصد النبي ﷺ من ذلك تحطيم نفسيات أعدائه والقضاء على معنوياهم حتى لا يفكروا في أية مقاومة، وإجبارهم على الاستسلام لكي يتم له تحقيق هدفه دون إراقة دماء، وبتطبيق هذا الأسلوب تم له صلى الله عليه وسلم ما أراد، ولقد كان اهتمام النبي ﷺ بمعنويات المقاتل ونفسيته سبقًا عسكريًّا؛ بدليل أن المدارس العسكرية التي جاءت فيما بعد جعلت هذا الأمر موضع العناية والاهتمام من الناحية العسكرية[3].

المستفاد من حركة السرايا التي أرسلها رسول الله ﷺ بعد فتح مكة:

ونستفيد من حركة السرايا التي أرسلها رسول الله ﷺ للقضاء على الأصنام والأوثان أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة.

وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركا عندها وبها [4].

المستفاد من قصة حاطب بن أبي بلتعة:

١- لايجوز الاقتداء بعمل حاطب في العفو عمن يعمل عمله، لان العفو عنه كان لعلة لم يعد يمكن تحققها في غيره بعد عصر الصحابة وهو كونه شهد بدراً. وهذا مافقهه الامام مالك إذ قال: يقتل الجاسوس المسلم، مما يدل على أن إسلام الجاسوس لا يعصمه ولايقيه من عقوبة القتل لخطورة جرمه[5].

٢- يُتسامح مع فاعل الخير الكثير ما لا يتسامح مع غيره [1].

---

[1] البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٢٧٥.

[2] الصلابي: السيرة النبوية ١/٧٥٧.

[3] محمد فرج: العبقرية العسكرية وغزوات الرسول، ص٥٦٥.

[4] بريك بن محمد بريك: السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص٣٠٢.

[5] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/٤٠٢.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- جواز تجريد المرأة وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة، فإن علياً والمقداد رضي الله عنهما قالا للمرأة العجوز التي حملت كتاب حاطب، وقد نفت ذلك أولاً: (لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك)، وإذا كان جائزاً تجريد المرأة لحاجتها إلى ذلك إذا دعت إليها، فتجريدها لمصلحة الإسلام والمسلمين أولى[٢]. وإن كان ظاهر النص يشير أن علياً رضي الله عنه قد هددها بذلك و لم يفعله.

الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث فتح مكة:

١- جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية؛ حيث صام الرسول في مسيرة الجيش من المدينة حتى بلغ كديدًا فأفطر [٣].

٢- صلى النبي ﷺ صلاة الضحى ثماني ركعات خفيفة واستدل قوم بهذا على أنها سنة مؤكدة[٤].

٣- قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة [٥].

٤- تحريم نكاح المتعة إلى الأبد بعد إباحته لمدة ثلاث أيام [٦]. ويرى الإمام النووي [٧] أنه وقع تحريمه وإباحته مرتين؛ إذ كان حلالاً قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أبيح يوم الفتح، ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبد. ويرى ابن القيم [٨] أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمها فقط يوم الفتح، وله في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح، والمتفق عليه أنها حرمت إلى الأبد بعد الفتح [٩].

٥- قرر الرسول ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما جاء ذلك في حديث ابن وليدة بن زمعة، فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن زمعة، فقضى فيه رسول الله لعبد الله بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه.

٦- وعدم جواز الوصية بأكثر من ثلث المال، كما في قصة سعد بن أبي وقاص حين مرضه بمكة واستشارة الرسول ﷺ في أن يوصي بأكثر من الثلث [١٠].

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٣٧٢.

[٣] مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٧٤.

[٤] المصدر نفسه.

[٥] اكرم العمري: المجتمع المدني، ص١٨٥.

[٦] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٧٥.

[٧] النووي على شرح مسلم ٨/١٦٩، اعتمدت على فقه الأحكام على ما استخرجه الدكتور العمري في المجتمع المدني، والدكتور مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

[٨] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤٠٣.

[٩] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٧٥.

[١٠] اكرم العمري: المجتمع المدني، ص١٨٦.





الفصل الثاني عشر

غزوة حنين وحصار الطائف

تمهيد:

تُعدْ غَزْوَة حَنْين آخِرْ غَزَواتِ الرَسُولِ الكَرِيمِ ﷺ فِي جَزيرَةِ العَرَبِ، حَيثُ لَمْ تُقِمْ بَعْدَهَا لِلوَثَنيَةِ العَرَبيَةِ قَائِمَةً، وَارتَفَعَ بَعْدَهَا عَلَمُ التَوحيدِ عَالِيَاً فِي سَمَاءِ الجَزْيرَةِ العَربيَةِ، وَتَهاوَتْ ألويَة الشِّركِ، وَدَخَلَ العَرَبُ جَميعَاً بَعدَ هَذِهِ الغَزْوَةِ فِي دينِ اللهِ أَفْواجَاً. وَقدْ جَمَعتْ هَذِهِ الغَزْوَةِ بَينَ الهَزْيمَةِ لِلمُسْلِمينَ فِي بَادِئ الأَمْرِ ثُمَّ كَانَتِ العَاقِبَةُ لَهُمْ النَصْرُ وَالظَفَرُ بأعْدَائِهمْ. وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُفِ عَلَى أَحْدَاثِ غَزْوَةِ حَنْين وَحِصَارِ الطَائِفِ وَالدُروسِ المُسْتَفَادَةِ مِنْهَا فَقدْ قَسَمنَا هَذَا الفَصْلَ إِلَى مَبْحَثَينِ مُسْتَقِلَين وَكَمَا يَلي:

المَبْحَثِ الأَوْل: أَحْدَاثِ غَزْوَةِ حَنْين وَحِصَارِ الطَائِفِ.

المَبْحَثِ الثَّانِي: المُسْتَفَادِ مِنْ أَحْدَاثِ غَزْوَةِ حَنْين وَحِصَارِ الطَائِفِ.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

أحداث غزوة حنين وحصار الطائف

أسباب الغزوة:

تُعْتَبر قَبِيلَةِ هَوَازِن مِنْ قَبَائِلْ العَرَب الشَهْيرَة الَّتِي انْتَشَرَتْ بُطونهَا فِي تِهامة على سَاحِلْ البَحْر الأحْمَر، وَكَانَتْ ثَقِيفٌ مِنْ أبْرَزْ فُروعِهَا، وَقدْ اسْتَقرتْ فِي الطَائِفْ وَمَا حولَهَا[1]، وَلَمْ تَشْتَرِكْ هَوَازِن وَبُطونهَا بَعدَ الهِجْرَة فِي دَائِرةِ الحَرْب وَالصِرَاعِ المُحْتَدِمْ بَينَ المُسْلِمينَ وَأهْلِ مَكَّة، وَلَعَلَّهَا ظَنَّتْ أنَّ قُرَيْشاً تَكْفِيهَا، وَظَلَتْ تَرْقُبُ المَعَارِكَ الوَاحِدَةَ بَعْدَ الأخْرَى مِنْ غَير أنْ تَدْخُلَ فِي شَيءِ مِنْهَا، وَلا رَيْبَ فِي أنَّ ذَلِكَ عَكَس ضعف تقديرها لقوة المسلمين [2]. غَيْرَ أنَّ الأمُور إنْجَلتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّة، فَقدْ أدْرَكَتْ هَوَازِن حَقِيْقَةِ القُوَة المُتَعَاظِمَة لِلمُسْلِمينَ، وَأنَّ مَا دَارَ عَلَى مَكَّة قَدْ يَدورُ عَلَيهَا هِيَ الأُخْرَى، لِذَا فإنَهَا رَاحَتْ تُعِدُّ العِدَةَ لِمُواجهَةِ المُسْلِمينَ، وَمَعَهَا فِي ذَلِكَ ثَقِيف وَبَنُو هِلال وَوَلُوا عَلَيْهِمْ مَالِكِ بْن عَوْفٍ النَّصْرِيِّ، وَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْ هَوَازنَ كَعْبٌ وَكِلَابٌ [3].

تعبأ قوى التحالف:

عَبَأَ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ قُوَاتَهُ البَالِغَة قُرَابَة عِشْرِينَ ألفَ مُقَاتِلْ، وَرَاحَ يُشَجِعَهُمْ عَلَى الثَبَاتِ وَالإسْتِبْسَالِ فِي القِتَالِ فِي خُطُواتٍ مُتَدَرِجَةٍ:

١- فَقَدْ خطَبَ فِي جُنْدِهِ، وَقَالَ: (إنّ مُحمّدًا لَمْ يُقَاتِلْ قَطّ قَبْل هَذِهِ الْمَرّةِ، وَإِنّمَا كَانَ يَلْقَى قوما أَغْمَارًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَيُنْصَرُ عَلَيْهِمْ) [4].

٢- حَشَّدَ نساءِ المُقَاتِلينَ وَأطْفَالِهم وَأموالِهمْ خَلْفَهُمْ، مُعْتَقِداً بأنَّ المُقَاتِلَ إذَا شَعَرَ وَهُوَ يُقَاتِل بِأنَّ أعَزْ مَا يَمْلِك وَرَاءَهُ ثَبتَ فِي القِتَال، وَصَعبَ عَلَيهِ أنْ يَلُوذْ بالفِرارِ وَيَترُكهم لِلْعَدُوِّ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ افْتَتَحْنَا مَكَّةَ ثُمَّ إِنَّا غَزَوْنَا حُنَيْنًا فَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ بِأَحْسَنِ صُفُوفٍ رَأَيْتُ - قَالَ - فَصُفَّتِ الْخَيْلُ ثُمَّ صُفَّتِ الْمُقَاتِلَةُ ثُمَّ صُفَّتِ النِّسَاءُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ثُمَّ صُفَّتِ الْغَنَمُ ثُمَّ صُفَّتِ النَّعَمُ [5].

٣- الأخذ بِزِمَامِ المُبَادَرَةِ وَمُهَاجَمةِ المُسْلِمينَ؛ لأنَّ فُرْصَةِ النَّصْرِ تَكُونُ فِي الغَالبِ لِصَالِحِ المُهَاجمْ، وَيَكونُ المُدَافِع فِي مَوقِفٍ ضَعِيفٍ.

---

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٧٣.

[2] أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص٤٩١.

[3] السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/ ٤٦٧. ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٣٨.

[4] الواقدي: المغازي ٣/٨٩٣.

[5] صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم٢/٧٣٣، حديث(١٠٥٩).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- أمر مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ قواته أَنْ يَكْسِرُوا جُفُونَ سُيُوفِهِمْ، ثُمَّ يَشُدُّوا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ [١]، وَالمَعْروفِ أَنَّ مِنْ عَادَةِ العَرَبِ فِي حُروبِهِمْ أَنْ يَكْسِرُوا أَجْفَانِ سُيُوفِهِمْ قَبْلَ بَدْءِ القِتَالِ، وَهَذَا يَعْنِي إِصْرارِ المُقَاتِلْ عَلَى الثَبَاتِ أَمَامَ الخَصْمِ حَتَّى النَصْرِ أَو المَوتِ [٢].

٥- اسْتَخْدَمَ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ سِلاحْ الحَرْب النَفْسيَّة ضِدْ المُسْلِمينَ بِهَدَفِ بَثْ الخَوفْ فِي نُفوسِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ وَاقِعْ وَضعْ عَشَرَاتِ الآلافِ مِنَ الجِمالِ وَراء صُفُوفِ جَيْشِهِ، ثُمَّ أَرْكَبَ عَلَيْهَا النِسَاءَ، فَبَدَا وَكَأَنَّ هَذَا الجَيْش مِنَ الضَخَامَةِ مَا يُثَبِطْ عَزِيمَةِ الخَصْمِ [٣].

خروج الرسول ﷺ إلى حنين:

لَمَّا سَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعزمِ هَوَازِنْ عَلَى حَربِهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ ابْن أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيَّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي النَّاسِ، فَيُقِيمَ فِيهِمْ حَتَّى يَعْلَمَ عِلْمَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِيَهُ بخبَرِهِمْ. فَانْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ، فَدَخَلَ فِيهِمْ، فَأَقَامَ فِيهِمْ، حَتَّى سَمِعَ وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَأَمْرِ هَوَازِنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ[٤].

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ نَحْوَ حَنْين سَنَة ٨هـ بجَيْشِهِ المُكَونِ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا [٥]، العَشَرَةِ آلَافِ الذين فَتَحُوا مَكَّةَ، وأَلْفَانِ من الطُلَقَاءِ، وَهُوَ أَكْبَرْ جَيْش لِلمُسْلِمينَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، واسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﷺ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ عَلَى مَكَّةَ [٦].

فَلَمّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السّيْرَ ذُكِرَ لَهُ أَنّ عِنْدَ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ أَدْرَاعًا لَهُ وَسِلَاحًا- وكان صَفْوَانُ لا يزال مُشْرِكًا، فَقَالَ رسول الله ﷺ:« يَا صَفْوَانُ هَلْ عِنْدَكَ سِلاَحٌ ». قَالَ: عَارِيَةً أَمْ غَصْبًا. قَالَ:« بَلْ عَارِيَةً »، فَأَعَارَهُ مَا بَيْنَ الثَّلاَثِينَ إِلَى الأَرْبَعِينَ دِرْعًا [٧].

ولما كَانَ عَشِيَّةً، جَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِني انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ، وَقَالَ: "تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله"، وَتَطَوعَ للحِرَاسَةِ تلك اللَّيْلَةِ أَنَسُ بن أبي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ[١].

---

[١] ابن هشام:السيرة النبوية ٢/٤٣٩.

[٢] الصلابي: السيرة النبوية ١/٧٨١.

[٣] غزوة حنين للشيخ محمد أحمد باشميل، ص١٢٨ - ١٣١.

[٤] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٤٤٠.

[٥] المصدر نفسه

[٦] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤١١.

[٧] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب البيوع، باب في تضمين العارية،٥/٤١٦، حديث (٣٥٦٣)وصححه الألباني.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصة الشجرة ذات أنواط:

عن الْحَارِثِ بن مَالِك ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَسِرْنَا مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضرَاءُ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ، فَيُعَلِّقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا، قَالَ: فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِدْرَةً خَضرَاءَ عَظِيمَةً، قَالَ: فَنَادَيْنَا مِنْ جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اللهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: **اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون)** [٢] إِنَّهَا السَّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ منْ كَانَ قَبْلَكُم" [٣].

الجيش الاسلامي يُبَاغَتْ بالرماة والمهاجمين:

وَصَلَ الجَيْشِ الاسْلامِي إلى حَنْين فِي مَسَاءِ العَاشِرْ مِنْ شَوَال [٤].وَكانَ مَالِك بن عَوْف قَدْ سَبَقَهُمْ، فَأَدْخَلَ جَيْشَهُ بالليْلِ فِي ذَلِكَ الوَادِي، وَفَرَّقَ كُمَنَاءَهُ فِي الطُرُق وَالمَدَاخِلْ والشِّعَابْ وَالأخبَاءِ وَالمَضَايقِ، وَاصْدَرَ إليْهِم أَمْرَهُ بِأَنْ يَرْشقُوا المُسْلِمينَ أَولَ مَا طَلَعُوا، ثُمَّ يَشُدُّوا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ[٥].

وَبالسَّحَر عَبَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَهُ، وَعقَدَ الألويَةِ وَالرَايَاتِ، وَفَرَّقَهَا عَلَى النَّاسِ، فِي عِمَايَةِ الصُّبْح [٦]اسْتَقْبَلَ المُسْلِمونَ وَادي حَنْين، وَشَرَعُوا يَنْحَدِرونَ فِيهِ، وَهُمْ لا يَدْرونَ بوجودِ كُمَنَاءِ الْعَدُوِّ فِي مَضَايق هَذَا الوَادِي، فَبَينَا هُمْ يَنْحَطونَ إذا تُمْطِر عَلَيْهِمْ النَبَالْ، واذا كَتَائِبْ الْعَدُوِّ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأنْشَمرَ[٧] المُسْلِمونَ رَاجعِينَ، لَا يَلْوي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَتْ هَزْيمَةً مُنْكَرَة، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ

---

[١] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في فضل الحرس في سبيل الله عز وجل، ١٥٥/٤، حديث (٢٥٠١)وصححه الألباني.

[٢] سورة الاعراف: الآية ١٣٨.

[٣] صحيح: رواه ابن إسحاق بسند صحيح، "سيرة ابن هشام" ٢/ ٤٤٢، والحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ٤٧٥/٤، حديث(٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصحح اسناده الألباني رحمه الله.

[٤] اكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٤٩٥/٢.

[٥] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده:٢٧٤/٢٣، حديث ١٥٠٢٧.

[٦] عماية الصُّبْح: ظلامة قبل أن يتَبيَّن.

[٧] انشمر النَّاس: انْفَضُّوا وانهزموا.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الْحَنْبَلِ: أَلَا بَطَلَ السّحْرُ الْيَوْمَ.حَتَّى قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ: أَلَا بَطَلَ السّحْرُ الْيَوْمَ[1].

وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ[2].وَكَانَ الَّذِينَ ثَبَتُوا معَ النَّبِيّ ﷺ فِي أَولِ الأمْرِ لا يَتَعَدونَ المَائة [3]، رَهْطًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثَبَتَ مَعَهُ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ[4]، فلما دعاهم العباس، والنبي ﷺ يدعوهم ويَقُولُ: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عبد الْمُطَّلِبْ، اللهمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ"[5]وَكَانَ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَع النَّبِيِّ ﷺ فِي أَولِ الأمْرِ لا يَتَعَدونَ المَائَة [6]، رَهْطًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثَبَتَ مَعَهُ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ[7]،

فَلَمَّا دَعَاهُم العَباسُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يدعوهم ويَقُولُ: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عبد الْمُطَّلِبْ، اللهمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ" [8].

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٤٤.

[2] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده:٢٣/٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[3] صحيح الإسناد: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الجهاد، باب ما جاء في الثبات عند القتال، ٤/٢٠٠، حديث (١٦٨٩)وصحح إسناده الألباني رحمه الله.

[4]إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده:٢٣/٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[5] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين٣/١٤٠١، حديث (١٧٧٦).

[6] صحيح الإسناد: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الجهاد، باب ما جاء في الثبات عند القتال، ٤/٢٠٠، حديث (١٦٨٩)وصحح إسناده الألباني رحمه الله.

[7]إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده:٢٣/٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[8] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين٣/١٤٠١، حديث (١٧٧٦).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رجوع المسلمين واحتدام المعركة:

نادى رَسُولُ اللهِ ﷺ العَبَّاس قائلاً:"أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ [١] "، قَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا[٢] فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا[٣]، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بن الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بن الخَزْرَجِ، يَا بني الْحَارِثِ بن الْخَزْرَجِ [٤].وَاسْتَجَابَ اللهُ عزَّ وَجَلَ لِرَسُولِهِ، وَاجْتَمعَ الْمُسْلِمونَ مَرَّةً أُخْرَى، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنْك تَشَأْ أَنْ لَا تُعبد بعد اليوم" [٥]، ويقول: "أين أَيُّها النَّاسُ؟ هَلُمَّ إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ الله، أَنَا رَسُولُ الله، أَنَا مُحَمَّدُ بن عبد الله... " [٦].

واسْتَعَادَ الْمُسْلِمونَ تَوازُنَهُمْ، وَنَظَمُوا صُفُوفَهمْ، وَتَجَالَدَ الفَرِيقَانِ مُجَالَدةً شَديدَةً، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيهَا إلى قِتَالِهِمْ، وَقَدْ اسْتَحَرَ واحْتَدمْ، وقَالَ: " الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ[٧]"، ثُمَّ أَخذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ مِنَ الأَرْضِ، فَرَمَى بِهَا وُجُوهِ القَومِ وَقَالَ « شَاهَتِ[٨] الْوُجُوهُ ». فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ[٩]، قَالَ العَبَّاس: "فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً[١٠]، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا" [١١].

انكسار حدة العدو وهزيمته الساحقة:

وَمَا هِيَّ إلاّ سَاعَاتٍ قَلائِلْ بَعْدَ رَمْيِّ القَبْضَة حَتَّى انْهَزَمَ العَدُوُّ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً، وَقُتِلَ مِنْ ثَقْيفٍ وَحْدَهُمْ نَحْوَ السَّبْعِينَ، وَحازَ الْمُسْلِمونَ مَا كَانَ معَ العدوِ مِنْ مَالٍ وَسِلاحٍ وَظُعُنٍ [١٢].وَفِي غَزْوَةِ حُنَين يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي

---

[١] أصحاب السَّمُرَةِ: هم أصحاب البيعة تحت الشجرة، وكانت شجرة سمر.

[٢] صيتا: قوي الصوت.

[٣] لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها: أي عودهم لمكانتهم وإقبالهم إليه صلى الله عليه و سلم عطفة البقر على أولادها أي كان فيها انجذاب مثل ما في الأمات حين حنت على الأولاد.

[٤] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/١٣٩٨، حديث(١٧٧٥).

[٥] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده: ١٩/٢٥٠، حديث (١٢٢٢٠).

[٦] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده:٢٣/٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[٧] رواه الطبراني في معجمه:٧/٢٩٨، حديث ٧١٩١.

[٨] شاهت:قبحت.

[٩] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/١٤٠٢، حديث(١٧٧٧).

[١٠] فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً:أي ما زلت أرى قوقم ضعيفة.

[١١] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/١٣٩٨، حديث(١٧٧٥).

[١٢] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٤٢٣.





مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ[١].

حركة المطاردة:

وَلَمَّا انْهَزَمَ العَدُوُّ صَارَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الطَائِفِ، وَطَائِفَةٌ إِلَى نَخْلَة، وَطَائِفَةٌ إِلَى أَوْطَاس، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَوْطَاسٍ طَائِفَةً مِنَ الْمُطَارِدِينَ يَقُودُهُمْ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ، فَتَنَاوَشَ الفَرِيقَانِ القِتَالَ قَلِيلاً، ثُمَّ انْهَزَمَ جَيْش الْمُشْرِكِينَ، وَفِي هَذِهِ الْمُنَاوَشَةِ قُتِلَ القائد أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ[٢].

وَطَارَدَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ فُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ فُلولِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَلَكُوا نَخْلَةَ، فَأَدْرَكَتْ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه[٣].

وَأَمَّا مُعْظَمُ فُلولِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَجَأُوا إِلَى الطَائِفْ، فَتَوَجَهَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ جمعَ الغَنَائِمْ.

غزوة الطائف:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم مِنْ حُنَيْنٍ يُرِيدُ الطَّائِفَ فِي شَوَال سَنَة ٨هـ، وَقَدَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، وَقَدْ كَانَتْ ثَقِيفٌ رَمَّوْا حِصْنَهُمْ وَأَدْخَلُوا فِيهِ مَا يُصْلِحُهُمْ لِسَنَةٍ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ وَتَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ[٤]، فَرَمَوْا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ رَمْيًا شَدِيدًا كَأَنَّهُ رِجْلُ جَرَادٍ، حَتَّى أُصِيبَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِجِرَاحَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَرُمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَئِذٍ فَانْدَمَلَ الْجُرْحُ ثُمَّ انْتَقَضَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَاتَ مِنْهُ. فَارْتَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِ الطَّائِفِ الْيَوْمَ وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ فَضَرَبَ لَهُمَا قُبَّتَيْنِ ، وَكَانَ يُصَلِّي بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ حِصَارَ الطَّائِفِ كُلَّهُ فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا[٥].

---

[١] سورة التوبة:الآيتان ٢٥-٢٦.

[٢] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٥٣.

[٣] ابن حجر: فتح الباري ٨/ ٤٢، وقال ابن حجر: رواه البزار في مسند أنس بإسناد حسن.

[٤] البيهقي:دلائل النبوة ٥/١٦٢.

[٥] ابن سعد:الطبقات الكبرى ٢/١٥٩.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأسلحة التي استعملها رسول الله ﷺ في حصار الطائف:

اسْتَعْمَلَ النَّبيُّ ﷺ فِي حِصَارِه لِلطَائِفْ أَسْلِحَةً جَدْيدَةً لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ اسْتَعْمَلَهَا مِنْ قَبلُ، وَهَذِهِ الأسْلِحَةِ هِيَّ:

١- المنجنيق: فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الرَسُولُ ﷺ اسْتَعْمَلَ هَذَا السِّلاحِ عِنْدَ حِصَارِهِ لِحْصنِ ثَقْيف بِالطَائِف، فَعَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيد أَنَّ اَلنَّبيَّ صلى الله عليه وسلم نَصَبَ الْمَنْجَنيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ[1].

وَالْمَنْجَنيق مِنْ أَسْلِحَةِ الحِصَارِ الثَّقِيلَةِ ذَاتِ التَأْثِيرِ الفَعَّالِ عَلَى مَنْ وُجهتْ إليه، فَبِحِجَارَته تُهْدَم الحُصون وَالأبْرَاجِ، وَبِقَنَابُلِهِ تُحْرقْ الدُورُ والْمُعَسْكَرَات، وَهَذَا النَّوعِ يَحْتَاج إلى عَدَدٍ مِنَ الجُنودِ فِي إدَارَتِه وَاسْتِخْدَامِه عِنْدَ القِتَالِ[2].

٢- الدبابة: وَمِنْ أَسْلِحَةِ الحصار الثقيلة التي استعملها الرسول ﷺ لأول مرة في حِصَارِ الطَائِف: الدّبّابَةُ؛ و الدّبّابَة عَلَى شَكْلِ بَيْتٍ صَغِير تَعْمَل مِنَ الخَشَبِ وَتُتخذْ لِلوقَايَةِ مِنْ سِهَامِ الأعْدَاءِ، عِنْدَمَا يُرَاد نَقْض جِدَارِ الحُصْنِ، بِحَيث إذَا دَخَلَهَا الجُنُود كَانَ سَقْفُهَا حِرْزاً لَهُمْ مِنَ الرمي.

٣- الحسك الشائك: مِنْ الأسْلِحَةِ الجَديدَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الرَّسُول ﷺ فِي حِصَارِه لأهْلِ الطَائِفْ: الحَسَكْ الشَائِكْ؛ وَهُوَ مِنْ وَسَائِلْ الدِفَاعِ الثَّابِتة، وَيَعْمَل مِنْ خَشَبَتَين تُسَمَّرَانِ عَلَى هَيْئَةِ الصَليب، حَتَّى تَتَأَلَفْ مِنْهُمَا أَربَع شُعَب مُدَبَبَة، وَإذَا رَمَى فِي الأرْضِ بَقِيَتْ شُعْبَة مِنْهُ بَارزَة تَتَعَثَر بِهَا أَقْدَام الخَيْل وَالمَشَاة، فَتَتَعَطَلْ حَرَكَةِ السَّيرِ السَّرِيعَةِ المَطْلوبَةِ فِي مَيْدَانِ القِتَال [3].

وأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم بِقَطْعِ أَعْنَابِهِمْ وَتَحْرِيقِهَا فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ قَطْعًا ذَرِيعًا ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَدَعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم: «فَإِنِّي أَدَعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ»[4] وَنَادَى مُنَادِيَ رَسُول اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم: «إِيُّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ حُرٌّ» فَخَرَجَ مِنْهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ نَزَلَ فِي بَكْرَةٍ فَقِيلَ أَبُو بَكْرَةَ ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم ، وَدَفَعَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُونُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً وَلَمْ يُؤْذَنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم فِي فَتْحِ الطَّائِفِ وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيَّ فَقَالَ: «مَا تَرَى؟» فَقَالَ: ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ فَضَجَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: نَرْحَلُ وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا الطَّائِفُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم: «فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ» فَغَدَوْا فَأَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَاتٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[5] فَسُرُّوا بِذَلِكَ وَأَذْعَنُوا وَجَعَلُوا يَرْحَلُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم يَضْحَكُ وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم: «قُولُوا لَا إِلَهَ

---

[1] رواه الترمذي في سننه ٥/٩٤، حديث(٢٧٦٢)

[2] محمد فرج: المدرسة العسكرية الإسلامية، ص٤٠٧.

[3] عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ١٩٥.

[4] ابن القيم:زاد المعاد ٣/٤٥٣.

[5] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ٨/٣٣، حديث(٦٠٨٦).




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» فَلَمَّا ارْتَحَلُوا وَاسْتَقَلُّوا قَالَ: «قُولُوا آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[1] وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ عَلَى ثَقِيفٍ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا [2]».

قسمة الغنائم بالجعرانة:

وَلَمَّا عَادَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلم بَعْدَ رَفْعِ الحِصَارِ عَنِ الطَّائِفِ؛ مَكَثَ بِالْجِعْرَانَةِ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة لا يُقَسِم الغَنَائِمْ، وَيَتَأَنَّى بِهَا، يَبْتَغِي أَنْ يَقْدِمْ عَلَيهِ وَفْدِ هَوَازِنْ تَائِبِينَ، فَيحْرُزُوا مَا فَقَدُوا، وَلَكِنَهُ لَمْ يَجِئه أَحَدْ، فَبَدَأَ بِقِسْمَةِ المَالِ، لِيُسْكِتَ المُتَطَلعِينَ مِنْ رُؤسَاءِ القَبَائِلِ وَأَشْرَافِ مَكَّةَ، فَكَانَ المُؤَلَفةِ قُلُوبُهمْ أَولَ مَنْ أُعْطَى وَحَظِيَ بِالأَنْصِبَةِ الجَزْلَةِ[3].

عَنْ رَافِعِ بن خَدِيجٍ ﷺ قَالَ: قسم رَسُولُ الله ﷺ غنائم يوم حنين فأعطى أَبَا سُفْيَانَ بن حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعَ بن حَابِسٍ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بن مِرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ

فَمَاكَانَ بَدْرٌ وَلَاحَابِسٌ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

وما كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا... وَمَنْ تَخفِضْ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ مِائَةً [4]

وعَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ، قَالَ: "وَيلَكَ! وَمَن يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ"، فَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ ﷺ:دَعْنِي يَا رَسُولَ الله فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: "مَعَاذَ الله أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أصحابي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ" [5].

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ- وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ – فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: "وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ"، فَقَالَ عُمَرُ بن الخطاب: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: "دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُم صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِم، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسلام كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ

[1] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يقول إذا رجع من الغزو٤/٧٧، حديث (٣٠٨٦).

[2] إسناده قوي على شرط مسلم: رواه احمد في مسنده: ٢٣/٥٠، حديث(١٤٧٠٢)

[3] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٤٢٦.

[4] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم٢/٧٣٧، حديث(١٠٦٠).

[5] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم٢/٧٤٠، حديث(١٠٦٣).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(١)، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى نَضِيِّهِ وَهوَ قِدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ (٢)، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ (٣)، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ(٤)، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ (٥)، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ"، قَالَ أبو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيث مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فوجد، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرتُ إِلَيهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَ (٦).

الانصار تَجِدُ على رسول الله:

وَهَذِهِ السِّيَاسَةِ لَمْ تُفْهَمْ أَولَ الأَمْرِ، فَأُطْلِقتْ أَلسِنَةٌ شَتَى بِالاعْتِرَاضِ، وَكَانَ الأَنْصَارُ مِمَنْ وَقَعَتْ عَلَيهِمْ مَغَارِمْ هَذِهِ السِّيَاسَةِ، لَقَدْ حُرِمُوا جَمْيعَاً أُعْطِيَةِ حُنَين، وَهُمْ الَّذِينَ نُودُوا وَقْتَ الشِّدَةِ فطَارُوا يُقَاتِلونَ مَع الرَسُول صلّى الله عليه وسلم حَتَّى تَبَدَلَ الفِرَارُ انْتِصَاراً، وَهَاهُمْ أُولاءِ يَرَونَ أيْدِيَّ الفَارِينَ مَلأى، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يُمْنَحُوا شَيْئَاً قطُ(٧).

وعَنْ عبد الله بن زَيْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَخطَبَهُمْ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ الله بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ الله بِي؟ " وَهم يَقُولُونَ: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: "أَلَا تُجِيبُونِي؟ " فَقَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنْ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاءِ وَالْإِبِلِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ الله إلى رِحَالِكُمْ، الْأَنْصارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ (٨)، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً (٩)، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ(١).

---

(١) النصل: هو حديد السهم، والرصاف: هو مدخل النصل من السهم.

(٢) النضيُّ: عود السهم.

(٣) القُذَذُ: هي ريش السهم. فشبَّه النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – مروقهم وخروجهم من الدين بالسهم الذي يخرج بسرعة شديدة نحو الرميَّة.

(٤) الفرث: الروث في الكرش، أي: أن السهم من شدة سرعته خرج من الناحية الأخرى و لم يصبه فرث ولا دم.

(٥) البضعة –بفتح الباء-: القطعة عن اللحم، تتدردر: أي: تضطرب وتذهب وتجيء.

(٦) متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/٢٠٠، حديث(٣٦١٠). صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاهم٢/٧٤١، حديث (١٠٦٤).

(٧) الغزالي: فقه السيرة ١/٣٩٥.

(٨) الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: الثوب الذي يكون فوقه، ومعنى الحديث: الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق بي من سائر الناس. الامام النووي: شرح صحيح مسلم ١٥٧/٧.

(٩) ستلقون بعدي أثرة: أي: ستلقون ناسًا يؤثرون أنفسهم وذويهم على غيرهم.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا [٢].

قدوم وفد هوازن:

قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ وَقَدْ أَسْلَمُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أَهْلٌ وَعَشِيرَةٌ قَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخف عَلَيْكَ فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ وَقَامَ خَطِيبُهُمْ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّوَاتِي فِي الْحَظَائِرِ مِنَ السَّبَايَا خَالَاتُكَ وَعَمَّاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ وَأَنْتَ خَيْرُ مَكْفُولٍ ثُمَّ أَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتَ الْمَشْهُورَةَ أولها[٣]:

امْنُنْ عَلَيْنا رَسُولَ اللَّهِ فِي دَعَةٍ * فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ

امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا * إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدِّرَرُ[٤]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا، بَلْ تَرُدُّ إِلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ، فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ لَكُمْ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ. فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا. وَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ: أَمَا أَنَا وَبَنُو فَزَارَةَ فَلَا. وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا. فَقَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ:

بَلَى، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ لِبَنِي سُلَيْمٍ: وَهَّنْتُمُونِي[٥].

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " إنّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ جَاءُوا مُسْلِمِينَ وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ سَبْيَهُمْ وَقَدْ خَيّرْتُهُمْ فَلَمْ يَعْدِلُوا بِالْأَبْنَاءِ وَالنّسَاءِ شَيْئًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنّ شَيْءٌ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَرُدّهُ فَسَبِيلُ ذَلِكَ وَمَنْ أَحَبّ أَنْ

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ١٥٧/٥، حديث(٤٣٣٠).صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم٧٣٨/٢، حديث(١٠٦١).

والمؤلفة قلوبهم هم أناس قد أسلموا، حديثو عهد بكفر يعطون من الزكاة ليثبتوا على الإسلام ويحسن إسلامهم، أو كافر يعطى من المال رجاء أن يُسلم.

[٢] اسناده حسن: رواه احمد في مسنده:٢٥٥/١٨، حديث(١١٧٣٠).

[٣] ابن حجر: فتح الباري ٣٣/٨.

[٤] ابن كثير: ألسيرة النبوية ٣٣٤/١.

[٥] ابن هشام: السيرة النبوية ٤٨٩/٢.



يَسْتَمْسِكَ بِحَقِّهِ فَلْيَرُدَّ عَلَيْهِمْ وَلَهُ بِكُلِّ فَرِيضَةٍ سِتّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا[1]، فَقَالَ النَّاسُ قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ[2]، فَرَدّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ فَإِنَّهُ أَبَى أَنْ يَرُدَّ عَجُوزًا صَارَتْ فِي يَدَيْهِ ثُمّ رَدّهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَكَسَا رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ السّبْيَ قُبْطِيّةً قُبْطِيّةً[3].

[1] زاد المعاد ٣/٤٧٦.

[2] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، بَاب إِذَا وَهَبَ شَيْئًا لِوَكِيلٍ أَوْ شَفِيعِ قَوْمٍ جَازَ ٣/١٠٠، حديث٢٣٠٨.

[3] زاد المعاد ٣/٤٧٦.





المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة حنين وحصار الطائف

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة حنين:

قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [1].

١- الكثرة قد تخدع أصحابها، فيتهاونون في توثيق صلتهم بالله، فيفقدون بذلك أهم أسباب النصر.

٢- السكينة رداء يتزلها الله ليُثبت القلوب المضطربة المؤمنة الصابرة ويُهدىء الإنفعالات الثائرة.

٣- باب المغفرة مفتوح دائماً لمن يخطىء ثم يتوب، والله يقبل التوبة من عباده ويوفق من شاء إليها.

أسباب هزيمة المسلمين في الجولة الأولى:

وقعت الهزيمة في الجولة الأولى لعدة أسباب منها:

١ - أن شيئًا من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين، لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي ﷺ فكانت الهزيمة.

٢- خروج شبان ليس لديهم سلاح أو سلاح كافٍ، وإنما عندهم حماس وتسرع.

٣- أن عدد المشركين كان كثيرًا بلغ أكثر من ضعفي عدد المسلمين.

٤- أن مالك بن عوف سبق بجيشه إلى حنين فتهيأ هنالك ووضع الكمائن والرماة في مضايق الوادي وعلى جوانبه، وفاجأوا المسلمين، برميهم بالنبال وبالهجوم المباغت.

٥- كان العدو مهيأ ومنظما ومستعدا للقتال حال مواجهته لجيش المسلمين، فقد جاء المشركون بأحسن صفوف رُئيت: صف الخيل ثم المقاتلة ثم النساء من وراء ذلك ثم الغنم ثم النعم.

٦- وجود ضعاف الإيمان الذين أسلموا حديثًا في مكة، ففروا فانقلبت أولاهم على أخراهم، فكان ذلك سببا لوقوع الخلل وهزيمة غيرهم [2].

---

[1] سورة التوبة: الآيات ٢٥٢٧.

[2] عبد الكريم زيدان:المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٤٠٩.



أسباب انتصار المسلمين في الجولة الثانية:

كانت عوامل النصر في حنين عدة أسباب منها:

١- ثبات الرسول في القتال وعدم تراجعه، مما جعل الجنود يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت.

٢- شجاعة القائد، فالرسول القائد لم يثبت في مكانه فحسب، بل تقدم نحو عدوه راكبًا بغلته، فطفق يركض ببغلته قِبَل الكفار والعباس آخذ بلجام البغلة يكفها ألا تسرع.

٣- ثبات قلة من المسلمين معه وحوله حتى جاء الذين تولوا وأكملوا المسيرة؛ مسيرة الثبات والبر والقتال حتى النصر.

٤- سرعة استجابة الفارِّين والتحاقهم بالقتال.

٥- وقوع الجيش المعادي في خطأ عسكري قاتل، وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد فراره، مما أعطى فرصة ثمينة للجيش الإسلامي ليلتقط أنفاسه ويعود إلى ساحة القتال ويستأنف القتال من جديد بقيادة القائد الثابت الشجاع رسول الله ﷺ.

٦- رمية الحصى، فقد أخذ النبي ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» [1].

٧ - الاستعانة والاستغاثة بالله عز وجل، فقد كان الرسول يلح على الله في الدعاء بالنصر على الأعداء.

٨- إنزال الملائكة في الغزوة ومشاركتهم فيها، وقد سجل الله هذه المشاركة في كتابه الكريم في سورة التوبة [2]:وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ.

المستفاد من أمر النبي ﷺ بتحريق بساتين العنب والنخل في ضواحي الطائف:

يجوز لولي أمر المسلمين إتلاف أشجار العدو وزروعه في حالة الحرب إذا كان في هذا الإتلاف مصلحة وفائدة للمسلمين، كإلقاء الرعب في قلوب العدو أو لإغاظته، أو لضرورات نقل الجنود، أو لتسهيل مراقبة العدو ونحو ذلك، لأنه إذا جاز أو وجب إتلاف النفوس في الحروب المشروعة، جاز ما دون ذلك من الإتلاف مما تقضي به ضرورات الحرب[3].

المستفاد من تولية النبي ﷺ عتاب بن أسيد أميراً على مكة وتكليف معاذ بن جبل ليفقه أهلها أمور دينهم:

ينبغي لولي امر المسلمين أن يعين من ينوب عنه، ويختاره من الأكفاء والقادرين على أداء ما وكلوا فيه. وأن يكلف من يعلّم الناس أمور الدين.

---

[1] شرح النووي صحيح مسلم ١٢/ ١١٦.

[2] ابو فارس: السيرة النبوية، ص٤٢٣.

[3] عبد الكريم زيدان:المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٤٢٧.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من طلب بعض افراد الجيش من الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام أن يُجعل لهم شجرة ذات أنواط:

عبّر طلب بعض الطلقاء من الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام لرسول الله ﷺ بأن يُجعل لهم شجرة ذات أنواط ، عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص رغم إسلامهم، ولكن النبي ﷺأوضح لهم ما في طلبهم من معاني الشرك، وحذرهم من ذلك، و لم يعاقبهم أو يعنفهم؛ لعلمه بحداثة عهدهم بالإسلام [1]، وقد سمح لهم الرسول ﷺ بالمشاركة في الجهاد؛ لأنه لا يشترط فيمن يخرج للجهاد أن يكون قد صحح اعتقاده تماما من غبش الجاهلية، وإنما الجهاد عمل صالح يثاب عليه فاعله، وإن قصر في بعض أمور الدين الأخرى، بل الجهاد مدرسة تربوية تعليمية يتعلم فيه المجاهدون كثيرًا من العقائد والأحكام والأخلاق؛ وذلك لما يتضمنه من السفر وكثرة اللقاءات التي يحصل فيها تجاذب الأحاديث وتلاقح الأفكار [2].

المستفاد من استعمال النبي ﷺ في حصاره للطائف أسلحة جديدة للقتال:

رأينا أن النبي ﷺ أمر جنده باستعمال المنجنيق لرمي المشركين في الطائف، وكان هذا الاستعمال حصل لأول مرة من قبل المسلمين وفي حصار الطائف، ولم تكن تعرفه العرب في حروبها، وأيضاً استعملوا ما سمي بالدبابة؛ لغرض الاقتراب من سور الطائف وإحداث ثقب فيه، وعلى هذا ينبغي لولي امر المسلمين أن يعنى بتزويد جيشه بكل جديد من آلات الحرب حتى لا تتخلف عن مستوى قوة أي دولة، وأن يأمر بتعلم طائفة من المسلمين العلوم الحديثة الضرورية لإنتاج وسائل الحرب وآلاته وأسلحته [3].

الأحكام المستنبطة من غزوة حنين والطائف:

١ – نزول الآية الكريمة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [4] في يوم أوطاس لبيان حكم المسبيات المتزوجات، وقد فرق السبي بينهن وبين أزواجهن، فأوضحت الآية جواز وطئهن إذا انقضت عدتهن، لأن الفرقة تقع بينهن وبين أزواجهن الكفار بالسبي وتنقضي العدة بالوضع للحامل وبالحيض لغير الحامل [5].

٢ – منع المخنثين خلقة من الدخول على النساء الأجنبيات: وكان ذلك مباحًا إذ لا حاجة للمخنث بالنساء، وكان سبب المنع ما رواه البخاري عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة، دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي مخنث فسمعته

---

[1] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٩٧.

[2] الحميدي: التاريخ الإسلامي:٨/ ٦٢.

[3] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٤٢٧.

[4] سورة النساء: الآية ٢٤.

[5] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٢٠.



يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليك الطائف غدًا، فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكم» [1].

وفي هذا المنع حرص النبي ﷺعلى سلامة أخلاق المجتمع الإسلامي.

٣ – النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين: وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله مر يوم حنين بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون [2]عليها، فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: " أَدْرِكْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفًا" [3].

٤ – تشريع العمرة من الجعرانة: أحرم النبي ﷺبعمرة من الجعرانة، وكان داخلا إلى مكة وهذه هي السنَّة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير مما لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منها بعمرة ثم يرجع إليها فهذا لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس زعموا أنه اقتداء بالنبي وغلطوا، فإنه إنما أحرم منها داخلا إلى مكة و لم يخرج منها إلى الجعرانة ليحرم منها [4].

٥ – إرشاده للأعرابي بأن يصنع في العمرة ما يصنع في الحج:

قال يعلى بن منبه: جاء رجل إلى النبي ﷺوهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوق [5] –أو قال: أثر صفرة– فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي؟ قال: وأُنزل على النبي ﷺالوحي، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي ﷺوقد أنزل الوحي عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه فنظرت إليه، فإذا له غطيط (قال) فلما سري عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصفرة –أو قال: أثر الخلوق– واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك»[6].

٦ – من قتل قتيلاً فله سلبه: قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمًّا شديدًا حتى تخوفت، ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله، فقال رسول الله: «من أقام بينة على قتيل قتله، فله سلبه»، فقمت لألتمس بينة قتيلي فلم أر أحدًا يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺفقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا لا يعطه

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (٥/ ١٥٦) حديث ٤٣٢٤.

[2] متقصفون: مجتمعون.

[3] ابن كثير:البداية والنهاية ٧/ ٤٣.

[4] ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٥٠٤.

[5] خلوق: طيب.

[6] صحيح السيرة النبوية، ص٥٧٨.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[١] أصيبغ من قريش ويدع [٢] أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله، قال: فقام رسول الله ﷺفأداه إليّ فاشتريت منه خرافًا [٣]، فكان أول مال تأثلته في الإسلام [٤].

ونلحظ في هذا الخبر أن أبا قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - حرص على سلامة أخيه المسلم، وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق - رضي الله عنه - فيه دلالة على حرصه على إحقاق الحق، والدفاع عنه، ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمترلة رفيعة بالنسبة له [٥].

٧ - النهي عن الغلول: أخذ النبي ﷺيوم حنين وبرة من سنام بعير من الغنائم، فجعلها بين إصبعيه ثم قال: «أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، وإياكم والغلول، فإن الغلول عار، ونار، وشنار على أهله في الدنيا والآخرة» [٦].

ولما سمع الناس هذا الزجر بما فيه من وعيد من رسول الله ﷺ أشفقوا على أنفسهم وخافوا خوفا شديدًا فجاء أنصاري بكبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الوبرة لأخيط بها برذعة بعير لي دبر، فقال له ﷺ:«أما حقي منها، وما كان لبني عبد المطلب فهو لك» ، فقال الأنصاري: أما إذا بلغ الأمر فيها ذلك فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده [٧].

وأما عقيل بن أبي طالب فقد دخل على امرأته فاطمة بنت شيبة يوم حنين، وسيفه ملطخ دمًا، فقال لها: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع المنادي يقول: من أخذ شيئًا فليرده، حتى الخياط والمخيط، فرجع عقيل فأخذ الإبرة من امرأته، فألقاها في الغنائم [٨].

وهذا التشديد في النهي عن الغلول، وتبشيعه بهذه الصورة الشائهة المرعبة، ولو كان في شيء تافه لا يلتفت إليه، يمثل معلما من أهم معالم المنهج النبوي في تربية الأفراد على ما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم في حياته العملية، إيمانًا وأمانة، وفي التزام الأفراد بهذا التوجيه يتطهر المجتمع المسلم من رذيلة الخيانة، لأن التساهل في صغيرها يقود إلى كبيرها، والخيانة من أرذل الأخلاق الإنسانية التي لا تليق بالمجتمع المسلم [٩].

---

[١] لا يعطه: أي لا يعطي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقوله أصيبغ: نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.

[٢] يدع: يترك.

[٣] خرافا: أي بستانا أقام الثمر مقام الأصل.

[٤] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى { يوم حنين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا (٥/ ١٥٤) حديث ٤٣٢١.

[٥] الحميدي:التاريخ الإسلامي ٨/ ٢٦.

[٦] ابن كثير:البداية والنهاية ٧/ ٨٥.

[٧] المصدر نفسه

[٨] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٤٩٢.

[٩] محمد رسول الله، صادق عرجون ٤/ ٣٨٧.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ - وفاء نذر كان في الجاهلية:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لما قفلنا من حنين سأل عمر النبي ﷺ عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتكافًا فأمره النبي ﷺ بوفائه [1].

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قول الله تعالى { يوم حنين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا (٥/ ١٥٤)، حديث ٤٣٢٠.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث عشر

غزوة تبوك

تمهيد:

كَانَتْ غَزْوَةَ تَبُوكْ فِي رَجَب مِنَ العَامِ التَاسِعْ الهِجْري. وَتَبوكْ مَكَانْ مَعْرُوفْ يَقَعْ شَمَال الحِجَازْ يَنْتَصِف الطَرِيق بَيْنَ المَدْينَةِ وَدِمَشق.وَكَانَ لِهَذِهِ الغَزْوَة أَعْظَمَ أَثَرٍ فِي بَسْطِ نُفوذِ المُسْلِمينَ وَتَقْوِيَتِه عَلَى جَزْيرَةِ العَرَب، فَقدْ تَبَينَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَيْسَ لأيَّ قُوَّةٍ مِنَ القُوَاتِ أَنْ تَعِيْشَ فِي العَرَب سِوَى قُوَّة الإسْلامِ، وَبَطَلَتْ بَقَايَا أَمَل وَأُمْنِيَة كَانَتْ تَتَحَرَكْ فِي قُلُوب بَقَايَا الجَاهِليينَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَرَبَصونَ الدَوَائِرَ بالْمُسْلِمينَ، وَكَانُوا قَدْ عَقَدُوا آمَالَهُمْ بالرُومَانِ، فَقَدْ اسْتَكَانُوا بَعْدَ هَذِهِ الغَزْوَةِ، وَاسْتَسْلَمُوا لِلأَمْرِ الوَاقِعِ، الَّذِي لَمْ يَجِدُوا عَنْهُ مَحِيْداً وَلا مَنَاصاً.وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُفِ عَلَى أَسْبَابِ الغَزْوَةِ وَأَهَمِ أَحْدَاثِهَا فَقَدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْلَ إِلَى مَبْحَثَينِ وَعَلَى الْنَحْوِ التَالِي:

المَبْحَث الأَول: خُلاصَةِ غَزْوَةِ تَبُوك وَأَحْدَاثِهَا.

المَبْحَث الثَّاني: الُمسْتَفَادِ مِنْ أَحْدَاثِ غَزْوَةِ تَبُوك.

المبحث الأول

خلاصة غزوة تبوك وأحداثها

اسباب غزوة تبوك:

كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ اسْتِجَابَة إِيْمَانِيَة لِفَريضَةِ الجِهَادِ حَيْثُ كَانَ الرومُ أَقْرَبُ النَّاسِ إلى دِيَارِ الإِسْلامِ وَلِذَلكَ فَإِنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالدَعْوَةِ [١].وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** [٢]، وَهَكَذَا، فَبَعْدَ القَضَاءِ عَلَى الوَثَنِيَةِ فِي جَزْيرَةِ العَرَب، وَإِجْلاءِ يَهْود مِنَ المَدِينَةِ وَغَيْرِهَا، كَانَ عَلَى الُمسْلِمينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَهْلَ الكِتَاب مِنَ النَصَارَى الَّذِينَ كَانُوا يَقْطُنُونَ عَلَى المَشَارِفِ الشَمَالِيَة الغَربيَة مِنْ جَزْيرَةِ العَرَب، حَيْثُ كَانَتْ المَنْطَقَة الَّتِي تَوَجَهَ إِليهَا الرَّسُول فِي هَذِهِ الغَزْوَة مِنْ دِيَارِ قُضَاعَة وَهِيَ خَاضِعَة لِسُلطَانِ الإِمْبرَاطورِيَةِ البِيزَنْطِيةِ (الرَّوم).

وَلِذَلِكَ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى البَحْثِ عَنِ الأَسْبَابِ الُمبَاشِرَةِ لِهَذِهِ الغَزْوَة، كَمَا حَاوَلَ بَعْض الُمؤَرخِينَ الُمسْلمِينَ حِينَ ذَكَرُوا أَنَّ هِرْقَلْ قَدْ جَمعَ الجُموعِ [٣]، أَو كَمَا ذَكَرَ آخَرونَ أَنَّهُ قَدْ قَصَدَ مِنْهَا أَخْذَ الثَّأر لِقَتْلَى الُمسْلمِينَ فِي مُؤتَة عَامَةً جَعْفَر بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَاصَةً[١]، أَو ادِعَاءِ البَعْضِ أَنَّهَا نَاجِمَةٌ عَنْ مَشُورَةِ يَهْود [٢].

---

[١]يقول الحافظ ابن حجر «فعزم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة لقربهم إلى الإسلام وأهله». ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ١٤٤.

[٢]سورة التوبة: الآية ١٢٣. وانظر الطبري: التفسير ١٠/ ٦٤٢.

[٣]ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٦٥.



الإعلان بالتهيؤ لقتال الرومان:

عن كَعْبِ بن مَالِكٍ ﷺقال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فغَزَاهَا رَسُولُ الله ﷺ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واستَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا [٣]، واسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى [٤] لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ [٥].

الرسول ﷺ يدعو أصحابه إلى الإنفاق للغزو:

لَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺالصَحَابَةَ إِلَى الإنْفَاقِ عَلَى هَذِهِ الغَزْوَةِ نَظَراً لِكَثْرَةِ المُشَارِكِينَ فِيهَا، وَبُعدِ المَسَافَةِ الَّتِي كَانَ عَلَى الجَيْشِ أَنْ يَقْطَعَهَا، وَوَعدِ المُنْفِقِينَ بعَظِيمِ الأَجْرِ مِنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَسَارَعَ أَغْلَب الصَحَابَةِ إِلَى المُشَارَكَةِ فِي تَوْفِيرِ الأَمْوَالِ المَطْلوبَةِ كُلٌّ حَسَبَ مَقْدِرَتِهِ، اسْتِجَابَةً لِقَولِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ[٦] فَلَهُ الْجَنَّةُ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ بن عفان ﷺ[٧]، وقد تبرع عُثْمَانُ ﷺ من المال فقط بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَجاء بها فنْثُرَهَا في حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فجعل النَّبِيُّﷺ يُقَلِّبُهَا في حِجْرِهِ، وَيَقُولُ: "ما ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ" [٨].

وساهم عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي تَحَمُّلِ قِسْطٍ مِنْ نَفَقَاتِ الجَيْشِ حِينَ قَدَّمَ نِصْفَ أَمْوَالِهِ حِينَذَاكَ وَبَلَغتْ مُسَاهَمَتَهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ [٩]. كَمَا قَدَّمَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب مِائَةَ أُوقِيَّةٍ [١٠]، وَلا شَكَّ فِي أَنَّ عَدَداً آخَرَ مِنَ الصَحَابَةِ قَدْ سَاهَمُوا فِي تَغْطِيَةِ بَقِيَةِ النَفَقَاتِ كُلٌّ عَلَى قَدَرِ طَاقَتِهِ، وَالدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ فُقَراءِ المُسْلِمينَ قَدَمُوا مَا قَدِرُوا عَلَيهِ مِنَ النَفَقَةِ، رُغْمَ بَسَاطَتِهِ وَقِلَتِهِ، عَلَى اسْتِحياءٍ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ أَحدهم بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، وَجَاءَ آخَرْ بِنِصفِ صَاعٍ مِنْهُ، مِمَا

---

[١] اليعقوبي: التاريخ ٢/ ٦٧.

[٢] ابن عساكر: تاريخ دمشق ١/ ١٦٧- ١٦٨، والخبر في ذلك مرسل وضعيف.

[٣] المفاز: الفلاة التي لا ماء فيها.

[٤] جلَّى: أي: أوضح وبيَّن.

[٥] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من اراد غزوة فورى بغيرها. ٤/٤٨، حديث(٢٩٤٨).

[٦] سُمي جيش العُسْرة للعُسْر والشدة التي كان عليها المسلمون حينها.

[٧] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا واشترط لنفسه مثل دِلاء المسلمين. ٤/١٣، حديث(٢٧٧٨).

[٨] حسن: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان – رضي الله عنه – ٦/٦٧، حديث (٣٧٠١)وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني.

[٩] تفسير الطبري ١١/ ٥٨٩.

[١٠] نضرة النعيم في مكارم الرسول ١/٣٨٧.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَرَّضَهُمْ لِسُخْرِيَةِ وَلَمْزِ الْمُنَافِقِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قولُهُ الكَرِيم: **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** [١].

إعلان النفير العام:

أَعْلَنَ النَّبِيُّ ﷺالنَّفِير العَام فَأمَرَ النَّاس بالتَهَيؤ لِغَزوِ الرَّوم، وَقَدْ انْفَرد الوَاقِدي بذِكْر خَبر إِرْسَال النَّبِيِّ ﷺ إِلَى القَبَائِل يَسْتَنْفِرُهَا بالخُروج مَع الجَيش الإِسْلامِي مِنَ المَدِينَةِ إِلَى تَبُوك وَقَدْ أَشَارَ القُرآن الكَرِيم إِلَى إِعْلانِ النَفِير فَقَال تَعَالَى: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** [٢].

وَكَانَ النَفِير المُعْلَنْ أَمْراً وَاجباً عَلَى الجَمِيع تَنْفِيذَهِ وَالالْتِزام بِه؛ فَقَدْ طَالَبَهمْ القُرآن الكَرِيم أن يَنْفُروا شَبَاباً وَشُيوخاً أَغْنِيَاءَ وَفُقَراءَ وَأَنْ يَكونْ جِهَادَهمْ جَميعاً بالأَمْوَال وَالأَنْفُس، فَقَال تَعَالَى: **انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالًا وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** [٣].

الجيش الإسلامي إلى تبوك:

وَخرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَجهاً إِلى تَبُوك بِجَيْش يَقْرُب مِنَ الثَّلَاثِينَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ [٤]، مَعَهُمْ حَوَالِي عَشَرَةَ آلَافِ فَرَس، وخلَّف على المَدْينَةِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه [٥]، فَقَالَ عليٌّ للنَّبِيِّ ﷺ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِسَاءِ؟ قَالَ: "أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي [٦].

---

[١] سورة التوبة: الآية ٧٩، فتح الباري: ابن حجر٨/٣٣١، شرح حديث ٤٦٦٨.

[٢] سورة التوبة: الآية ٣٨.

[٣] سورة التوبة: الآية ٤١.

[٤] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٣١، حيث قال: ويبدو أن أغلب المؤرخين يميلون إلى القول أنهم كانوا ثلاثين ألفًا. اه

[٥] ذكر بعض أهل السير ومنهم ابن هشام أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، أو سباع بن عُرْفطة، واستخلف عليًّا على أهل بيته فقط، قلت: وهذا التفصيل لم يأت في رواية صحيحة، إنما الذي جاء في الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استعمل عليًا، وقول عليّ للنبي – صلى الله عليه وسلم -: أتُخلّفني في الصبيان والنساء، يوضح أنه – رضي الله عنه – كان على المدينة كلها وليس على أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقط. والله أعلم.

[٦] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة العسرة، ٣/٦، حديث(٤٤١٦).

صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –٤/١٨٧٠، حديث ٢٤٠٤.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان خَرَوجَ النبي ﷺ إلى هذه الغزوة يَومَ الْخَمِيسِ حيث كَانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي جَمِيعِ أَصْفَارِهِ [١].

يرحم الله أبا ذر:

لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ جَعَلَ لَا يَزَالُ يَتَخَلَّفُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ فُلَانٌ، فَيَقُولُ: " دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ " حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ " فَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بَعِيرِهِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، وَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كُنْ أَبَا ذَرٍّ " فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ "[٢].

قصة أبو خَيْثَمَةَ:

رَجَعَ أبو خَيْثَمَةَ رضي الله عنه إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ بَعْدَ أَن سَارَ رَسُولُ الله ﷺ أَيّامًا ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ [٣] لَهُمَا فِي حَائِطِهِ[٤]، قَدْ رَشّتْ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً، وَهَيّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا، فَلَمّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ، فَنَظَرَ إلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الضّحّ[٥] وَالرّيحِ وَالْحَرّ، وَأبو خَيْثَمَةَ فِي ظِلّ بَارِدٍ، وَطَعَامٍ مُهَيّأٍ، وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ، فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنّصَفِ، ثُمّ قَالَ: وَاَللّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ الله ﷺ، فَهَيّئَا لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا، ثُمّ قَدّمَ نَاضِحَهُ[٦] فَارْتَحَلَهُ، ثُمّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عُمَيْر بن وَهْبٍ الْجُمَحِي فِي الطّرِيقِ، يَطْلُبُ رَسُولَ الله ﷺ، فَتَرَافَقَا، حَتّى إذَا دَنَوَا مِنْ تَبُوكَ، قَالَ أبو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بن وَهْبٍ: إنّ لِي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْك أَنْ تَخَلّفَ عَنّي حَتّى آتِيَ رَسُولَ الله ﷺ، فَفَعَلَ

---

[١] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب مَن أراد غزوة فورَّى بغيرها ومَن أحب الخروج يوم الخميس.٤/٤٨، حديث(٢٩٥٠).

[٢] أخرجه الحاكم في مستدركه ٣/ ٥٢، حديث ٤٣٧٣ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه ووافقه الذهبي، ولكنه قال: فيه إرسال، وابن كثير في "البداية والنهاية" ٧/ ١٥٩، وقال: إسناده حسن.

[٣] العريش: شبيه الخيمة.

[٤] حائطه: أي بستانه.

[٥] الضّحّ: الشمس.

[٦] ناضحه: أي جمله.





حتّى إذا دَنا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بتبُوك، قَالَ النّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "كُنْ أَبَا خيَثمَةَ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله هُوَ وَالله أبو خيَثمَة، فَلَمّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلّمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: "أَوْلَى لَكَ [1] يَا أَبَا خيَثمَة"، ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولَ الله ﷺ الْخَبَرَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: "خيرًا"، وَدَعَا لَهُ بِخَيرٍ [2].

معجزات لرسول الله ﷺ:

١- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ أَوْ أبي سَعِيدٍ (شَكَّ الْأَعْمَشُ) قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: افْعَلُوا، قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ الله أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "نَعَمْ"، فَدَعَا بنطعٍ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِم، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى الله بِهِمَا عبد غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ" [3].فأَكَلَ الصَحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَشَرِبُوا، بَعْدَ مَا نَالوه مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ شَدِيدَيْن.

٢- أَخْبَرَ رَسُولُ الله ﷺ أَصْحَابَه فِي تَبُوك بِأَنَّ رِيْحاً شَدِيْدَةً ستَهُبُّ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَحْتَاطُوا لأَنْفُسِهِمْ وَدَوَابِهِمْ فَلا يَخْرُجُوا حَتَّى لا تُؤذِيهِمْ، وَلِيَرْبطُوا دَوَابَهُمْ حَتَّى لا تُؤذَى، وَتَحققَ مَا أَخْبَرَ به رَسُولُ الله ﷺ ، فَهَبتِ الرِّيحُ الشّدِيدَةُ وَحَمَلتْ مَنْ قَامَ فِيهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيد[4] فقد رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحه بإِسْنَادِهِ إلى أَبِي حُمَيْدٍ قال: وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الريح حَتَّى أَلقَتْهُ بجبلى طئ [5].

قَالَ النَّوَوي فِي شَرْحِه عَلَى صَحِيح مُسْلِم مُعَقِباً عَلَى هَذَا الحَدِيْث: هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الظَّاهِرَةُ مِنْ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَغِيبِ وَخَوْفِ الضَّرَرِ مِنَ الْقِيَامِ وَقْتَ الرِّيحِ [6].

٣- قال مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه : قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنكم لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ"، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ

---

[1] أَوْلَى لَكَ: كلمة فيها معنى التهديد، معناها: دنوت من الهلكة.

[2] ابن هشام: السيرة ٥٢١/٢ من رواية ابن إسحاق بلا سند، وله شاهد من حديث كعب بن مالك الطويل في "الصحيحين".

[3] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا١ /٥٥، حديث٢٧.

[4] محمد عبدالقادر أبو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٤١.

[5] صحيح مسلم١٧٨٤/٤، حديث (١٣٩٢).

[6] شرح النووي على صحيح مسلم ٤٢/١٥.



الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: "هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟ "، قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِي ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا: "مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ"، ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، وَغَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ -أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ- حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ [١].

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: « يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا » [٢]، لَقَدْ كَانَتْ مِنْطَقَةِ تَبُوك وَالوَادِي الَّذِي كَانَتْ فِيهِ العَين مِنْطَقَةً جَرْدَاء لِقِلَةِ الْمَاءِ، وَلَكِنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَجْرَى عَلَى يَدِ رَسُولِه ﷺ بَرَكَةِ تَكْثِيرِ هَذَا المَاءِ حَتَّى أَصْبَحَ يَسْيلُ بِغَزَارَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا آتيا لسد حاجة الجيش، بل أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَسْتَمِرْ وَسَتَكُون هُنَاكَ جِنَانٍ وَبَسَاتِين مَمْلُوءَةً بِالأَشْجَارِ الْمُثْمِرَة، وَلَقَدْ تَحَقَقَ مَا أَخبَرَ بِه الرَّسُولُ ﷺ بَعدَ فَتْرَةً قَلِيْلَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَمَا زَالتْ تَبُوك حَتَّى اليَّوم تَمْتَاز بِجنَانهَا وَبَسَاتِينهَا وَنَخِيلَهَا وَتُمورهَا، تَنْطِقْ بِصِدْقِ نُبوَةِ الرَّسُولِ وَتَشْهَدْ بِأَنَّ الرَّسُول لا يَتَكَلمْ إلاَّ صِدْقًا، وَلا يُخبِرْ إلَّا حَقَاً، وَلا يُنبئ بِشَيء إلاَّ وَيَتَحقَق[٣].

هَذِهِ بَعْض الْمُعْجِزَات وَالكَرَامَاتِ الَّتِي أَظْهَرَهَا اللهُ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوك تَدُلُ عَلَى صِدْقِ نُبوَته وَرِسَالَته، وَتَدُلُ عَلَى رِفْعَةِ مَنْزِلَته وَتَكْرِيمِهِ عِنْدَ رَبهِ.

الجيش الإسلامي يصل تبوك:

وَصلَ الْمُسْلِمونَ إلى تَبُوك، وَأَوردتْ المَصَادِرِ نَّص خُطْبَة النَّبيُّ ﷺ فِي الْمُسْلِمينَ عِنْدَ ذَلِكَ [٤]، وَلَمْ يَقعْ قِتَال مَع الرُّوم وَلا مَع القَبَائِل العَرَبِيةِ الْمُتَنَصِرَة الَّتِي كَانَتْ تَحتَ سِيَادَتِهِمْ، وَمَكثَ النَّبيُّ ﷺ بِجَيشِهِ عِشْرِينَ لَيْلَةٍ فِي تُبوك قَبْلَ أَنْ يَعْود بِه إلَى الْمَدِينَة [٥].

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٤١)، مختصر مسلم رقم ١٥٣٠.

[٢] موطأ الإمام مالك ١/١٤٣، حديث(٣٢٨).

[٣] محمد عبدالقادر أبو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٤٢.

[٤] لم تثبت هذه الخطبة من طريق صحيح رغم أن فقراتها مأخوذة من أحاديث أخرى بعضها صحيح وبعضها حسن، وقد أخرج الإمام أحمد في المسند ١٧/ ٤٢١، حديث (١١٣١٩)نص خطبة أخرى قصيرة في إسنادها مجهول، وكذلك فعل القاسم بن سلام في الأموال (ص/ ٢٥٥- ٢٥٦)، كما أخرج الحافظ ابن كثير نص خطبة طويلة (البداية والنهاية ٧/ ١٦٩) في إسنادها أحد المتروكين. وقد رجح الدكتور العمري أن يكون بعض الرواة قد لفق هذه الخطبة من بعض الأحاديث الصحيحة المعروفة.

[٥] أَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ " رواه احمد في مسنده: ٢٢ / ٤٤، حديث(١٤١٣٩). علق عليه الشيخ شعيب الارناؤوط وقال:اسناده صحيح على شرط الشيخين.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحداث حصلت في تبوك:

١- بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أُكَيْدِرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَى دُومَةَ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِخَالِدٍ:« إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ ». فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ مَنْظَرَ الْعَيْنِ وَفِى لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَافِيَةٍ وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ فَأَتَتِ الْبَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ مِثْلَ هَذَا قَالَ: لاَ أَحَدٌ فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيهِمْ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَسَّانُ فَخَرَجُوا مَعَهُ بِمَطَارِدِهِمْ فَتَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَخَذَتْهُ وَقَتَلُوا أَخَاهُ حَسَّانَ وَكَانَ عَلَيْهِ قُبَاءُ دِيبَاجٍ مُخَوَّصٌ بِالذَّهَبِ فَاسْتَلَبَهُ إِيَّاهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا قَدِمَ بِالأُكَيْدِرِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ[1].

٢- فِي تُبُوك أَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا [2]، وَقدْ صَالحَ عَلَى دَفْعِ الجِزْيَةِ لِلمُسْلِمينَ.

٣- أَوردَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ [3] مَرْوِيَاتٍ تُشِيرُ إِلَى حُصولِ مُرَاسَلَةٍ بَينَ النَّبِيِّ ﷺ- وَهُوَ فِي تُبُوك- وَبَينَ هِرْقَلْ مَلِك الرُّوم، وَأَنَّ الأَخيْرِ أَرْسَلَ رَسُولاً مِنْ قَبيلَةِ تَنوخْ العَرَبيةِ لِيَتَعرفَ لَهُ عَلَى بَعضِ عَلامَاتِ النُّبوةِ عِندَ النَّبيِّ ﷺ[4].

٤ لَمَّا مَرَّ الْمُسلِمونَ فِي طَرِيقِ عَودَتِهِمْ مِنْ تُبُوك بِالْحِجْرِ [5]، قَالَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِي: "لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ"، ثُمَّ تَقَنَّعَ رسول الله ﷺ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ. وفي رواية: ثُمَّ

---

[1] رواه البيهقي في سننه ٩/١٨٧، حديث(١٩١١٤).

[2] صحيح البخاري: ابواب الجزية والموادعة، باب إذا وادع الإمام ملك القرية ٤/ ٩٨ حديث(٣١٦١).

[3] رواه الامام أحمد في المسند ٢٤/٤١٦، حديث (١٥٦٥٥) بإسناد فيه سعيد بن أبي راشد وهو مقبول وقد تفرد به. وقال ابن كثير عن ذلك: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد. (البداية والنهاية ٧/ ١٧٤).

[4] كان دحية الكلبي قد حمل رسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى هرقل في أول السنة السابعة من الهجرة، فإذا صح هذا الخبر، فإن إرسال دحية الكلبي يكون للمرة الثانية، وقد أورد الإمام أحمد تفصيلات عن وصول الرجل التنوخي إلى تبوك وأن النبي صلّى الله عليه وسلّم عرض عليه الإسلام فامتنع بحجة أنه مكلف برسالة هرقل، ونقل التنوخي عن النبي ذكره لكتبه التي أرسلها إلى الملوك وكيف رد النبي صلّى الله عليه وسلّم على سؤال هرقل عن رسالته قال: «تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «سبحان الله أين اللّيل إذا جاء النّهار؟»، كما ذكر الرجل التنوخي اعتذار النبي صلّى الله عليه وسلّم له بأنهم في سفر وإلّا لمنحه جائزة، وأن عثمان ابن عفان قدم الجائزة نيابة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وهي «حلة صفورية». ويذكر التنوخي بعد ذلك بأن النبي صلّى الله عليه وسلّم قد أنزله ضيفا على أحد أصحابه من الأنصار، فلما قام من المجلس ناداه الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فلما وصل التنوخي إليه حل النبي صلّى الله عليه وسلّم حبوته عن ظهره وقال: «ههنا إمض كما أمرت له»، قال التنوخي: فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة في موضع غضون الكتف مثل الحجمة الضخمة» أحمد- (المسند ٢٤/ ٤١٦).

[5] الحِجْر: موضع ديار قوم ثمود.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا [1]. وَعَنْ عبد الله بن عُمَرَ ﷺ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا؟ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ [2].

وفي رواية عَنِ ابْنِ عُمَرَ أيضًا أن رَسُولَ الله ﷺ أمرهم أن يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَاقَةُ [3].

٥ حِينَ اشْتَكَى الْمُسْلِمونَ مَا أَصَابَ إِبِلَهُمْ مِنَ التعب وَالْجُهدِ دَعَا رَسُولُ الله رَبهُ قَائِلاً: « اللهُمَّ احْمِلْ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِكَ، إِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَعَلَى الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»[4].

وإن الله تعالى- جل شأنه- اسْتَجَابَ لِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فَنَشَطَتْ الإبِلُ حَتَّى وَصَلَتْ بِهِمْ الْمَدِينَةِ دُونَ أَنْ يَشْتَكِي أَحدٌ مِنْهَا [5].

٦- وفي الطريق فُقدت نَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أحد المنافقين -واسمه زيد بن اللُّصيت- وكان في رَحْلِ صحابي اسمه عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا. فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ: وَاَللَّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنفا، عَنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَيْدٌ وَاَللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ. فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ [6]وَيَقُولُ: إلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ، اُخْرُجْ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي[7].

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}، ١٤٩/٤، حديث(٣٣٨٠).صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلاّ أن تكونوا باكين ٢٢٨٥/٤، حديث ٢٩٨٠.

[2] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف: ٧٣].١٥٠/٤، حديث(٣٣٨٧).

[3] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}.١٤٩/٤، حديث(٣٣٧٩).

[4] حديث صحيح:رواه أحمد في مسنده:٣٧٨/٣٩، حديث(٢٣٩٥٥).

[5]موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان ٣٥١/٥، بإسناد حسن. نضرة النعيم في مكارم الرسول ٣٩٣/١.

[6] يطعنه فِي عنقه.

[7] "سيرة ابن هشام" ٢/ ٥٢٣، من رواية ابن إسحاق بالإسناد السابق.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رجوع النبي ﷺ وجيشه إلى المدينة:

وَلَمَّا اقْتَرَبَ الجَيْش الإسْلامِي مِنَ المَدِينَةِ خَرجَ الصِّبْيَانُ إلى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعْ لاسْتِقْبَاله [١]، ومَعَهُمْ النِّسَاءُ والْوَلَائِد وَهُمْ يُرَدِدون [٢]:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ

وَجبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

كَانَ أَوْل مَا فعَلَهُ النَّبيُّ ﷺعِنْدَ دُخُولِهِ المَدِينَةِ أَنْ صَلّى فِي مَسْجدِهِ الشَرِيفِ رَكْعَتَيْن، ثُمَّ جَلسَ لِلنَّاسِ فَجَاءَهُ الْمُنَافِقُونَ الْمُتَخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ بشَتَّى الاعْذَارِ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فقبلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[٣].

أصناف المتخلفين عن غزوة تبوك:

الصنف الأول: الَّذِينَ أَمَرَهُم رَسُولُ الله ﷺ بالبَقَاءِ فِي المَدِينَةِ، وَهُمْ محمد بن مسلمة حَيثُ اسْتَخْلَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المَدْينَةِ، وَخَلّفَ عَلَى أَهْلِهِ عَلَيِّ بْنِ أَبي طَالِب رضي الله عنه.

الصنف الثاني:المَعْذُورونَ أي أَصْحَابِ الأعْذَارِ كَالشُيوخِ وَالمَرْضَى وَالفُقَراءِ الَّذِينَ لا يَجدونَ مَا يُنْفِقونَهُ لِلخُروجِ وَلا مَنْ يَحْمِلُهمْ إلَى سَاحَةِ القِتَال.

الصنف الثالث:مُؤمِنُونَ تَخلَفُوا كَسَلاً وَتَقْصِيراً وَعِصيَانَاً وَهُمْ: أَبُو لُبَابَة وأَصْحَابَه وَالثَلاثَةِ الَّذِينَ تَخَلَفُوا.

الصنف الرابع:المُنَافِقُونَ وَهُمْ الَّذِينَ تَخلَفُوا عَنْ غَزْوَةِ تُبوك لِنِفَاقِهِمْ وَعَدمِ إيمَانِهمْ.

أصحاب الأعذار:

عِنْدَمَا أَعْلَنَ الرَّسُولُ ﷺ النَفِير بَكَى الضُعَفَاءُ وَالعَجزَة مِمَنْ أَقْعَدَهُمْ المَرَض أَو النَفَقَةِ شَوقًا لِلجِهَادِ وتَحَرُجَاً مِنَ القُعُودِ حَتَّى نَزَلَ فِيهِمْ قُرآن: **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**[٤].

فَهَذَا عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ أَحَد البَّكَائِينَ صَلَّى مِنَ اللَّيْل وبَكى وَقَالَ: اللَّهمّ إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْجهَادِ وَرَغَّبْتَ فِيهِ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقوَّى بِهِ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِك مَا يَحمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَتَصدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلِمَةٍ أَصَابَنِي

---

[١] حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ السَّائِبِ أَذْكُرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ نَتَلَقَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ.انظر: صحيح البخاري:٩/٦، حديث(٤٤٢٧).

[٢] أورد ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري١٢٨/٨ ١٢٩ عند شرح الحديث (٤٤٢٦).

[٣] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ٣/٦، حديث(٤٤١٨).

[٤] سورة التوبة: الآيتان ٩١ ٩٢.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِهَا فِي مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ غَفرَ لَهُ[1].

وهذا وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ نَتْرُكُهُ يُحَدِّثُنَا عَنْ قِصَتِهِ:... عندما نَادَى رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةَ تَبُوكَ، خَرَجْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَقْبَلْتُ وَقَدْ خرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلْتُ أُنَادِي أَلاَ مَنْ يَحْمِلُ رَجُلاً لَهُ سَهْمُهُ؟ فَنَادَانِي شَيْخٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لَنَا سَهْمُهُ عَلَى أَنْ نَحْمِلَهُ عَقِبَهُ[2] وَطَعَامَهُ مَعَنَا، فَقُلْتُ: نَعَمْ سِرْ عَلَى بَرَكَةِ الله، فَخَرَجْتُ مَعَ خَيْرِ صَاحِبٍ لِي زَادَنِي حِمْلاَنًا عَلَى مَا شَارَطْتَ، وَخَصَّنِي بِطَعَامٍ سِوَى مَا أَطْعَمَهُ مَعَهُ حَتَّى أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا[3]فَأَصَابَنِي قَلاَئِصَ[4] فَسُقْتُهُنَّ حَتَّى أَتَيْتُهُ، وَهُوَ فِي خبائِهِ، فَدَعَوْتُهُ فَخَرَجَ فَقَعَدَ عَلَى حَقِيبَةٍ مِنْ حَقَائِبِ إِبِلِهِ ثُمَّ قَالَ: سُقْهُنَّ مُدْبِرَاتٍ فَسُقْتُهُنَّ مُدْبِرَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُقْهُنَّ مُقْبِلاَتٍ، فَسُقْتُهُنَّ مُقْبِلاَتٍ، فَقَالَ: مَا أَرَى قَلاَئِصَكَ إِلاَّ كِرَامًا قَالَ: قُلْتُ: إِنَّمَا هِيَ غَنِيمَتُكَ الَّتِي شَرَطْتُ لَكَ فَقَالَ: خُذْ قَلاَئِصَكَ يَا ابْنَ أَخِي فَغَيْرَ سَهْمِكَ أَرَدْنَا[5].

وَهَكَذَا تَنَازَلَ وَاثِلَةَ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ عَنْ غَنْيمَتِهِ لِيَكْسَبَ الغَنْيمَةَ الأُخْرَوِيَة، أَجْرًا وَثَوَابًا يَجِدهُ عِندَ الله يَومَ لِقَائِهِ، وَتَنازلَ الأَنْصَارِيُ عَنْ قِسمٍ كَبيرٍ مِنْ رَاحته لِيَتَعاقبَ وَاثِلَة عَلَى رَاحِلَتِهِ وَيُقَدمْ لَهُ الطَعَامَ مَقَابِل سَهمْ آخر هُوَ الأَجْرُ وَالثَواب.

وَجاء الأَشعريُّونَ يتقدمهم أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ يَطْلُبونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلى إِبلٍ لِيَتمَكَنُوا مِنَ الخُروجِ لِلجِهَادِ، فَلَمْ يَجدْ مَا يَحْمِلَهُم عَلَيهِ حَتَّى مَضَى بَعْضَ الوَقْتِ فَحَصلَ لَهُمْ عَلَى ثَلاثَةٍ مِنَ الإِبلِ[6].

إِنَّهَا صُورَةً مُؤثِرَةً لِلرَغْبَةِ الصَحِيحَةِ فِي الجِهَاد عَلَى عَهدِ رَسُولِ الله، وَمَا كَانَ يَحسُّهُ صَادِقُو الإِيمَانِ مِنْ أَلَمٍ إِذَا مَا حَالَتْ ظُروفُهمْ المَادِيَّة بَينَهُمْ وَبَينَ القِيَامِ بواجبَاتِهِمْ، وَكَانَ هَؤلاءِ المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لِمرَضٍ أَو كِبَرِ سِنٍ أَو غَيرِهِمَا يَسْيُرُونَ بِقلوبهِمْ مَع المُجَاهِدِينَ[7]وَهُمْ الَّذِينَ عَنَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺعندما قال:"إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ[8].

---

[1]وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر: المجتمع المدني للعمري، ص٢٣٥.

[2]عقبة: أي بالتعاقب.

[3]كان واثلة بن الأسقع أحد أفراد سرية خالد بن الوليد في دومة الجندل.

[4]قلائص: إبل.

[5]رواه البيهقي في سننه: ٢٢/٨٠، حديث(١٩٦).

[6]اكرم العمري: المجتمع المدني، ص٢٣٦.

[7]ا مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦١٨.

[8] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب نزول النبي - صلى الله عليه وسلم – بالحجر ٨/٦، حديث(٤٤٢٣).صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ١٥١٨/٣، حديث ١٩١١.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المتخلفون عن غزوة تبوك كسلاً وعصياناً لا نفاقاً:

وَهَؤلاءِ قَومٌ تَخَلَفُوا كَسَلاً وَعِصْيَانًا لا شَكًا وَنفاقًا، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا عَرفُوا ذَنْبهم، فَندِمُوا وَتَابُوا إلى اللهِ تَعَالى فَتَاب عَلَيْهِم، قَالَ تَعَالَى:وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [(١)].
نَزَلَتْ هَذِه الآيةِ فِي عَشَرَةِ رَهْطٍ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَلَمَّا دَنَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْثَق سَبْعَةً مِنْهُمْ. وَقِيلَ: كَانُوا ثَمَانِيَةً مِنْهُمْ: كَرْدَمُ، وَمِرْدَاسُ، وَأَبُو قَيْسٍ، وَأَبُو لُبَابَةَ. وَقِيلَ: سَبْعَةٌ. وَقِيلَ: سِتَّةٌ أَوْثَقَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، فِيهِمْ أَبُو لُبَابَةَ. وَقِيلَ: كَانُوا خَمْسَةً. وَقِيلَ: ثَلَاثَةً أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَأَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَوَدِيعَةُ بْنُ خِذَامٍ الْأَنْصَارِيُّ.وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَحْدَهُ. وَيَبْعُدُ ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ وَآخَرُونَ، لِأَنَّهُ جَمْعٌ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ حِينَ قَدِمَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَتْ عَادَتُهُ كُلَّمَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَرَآهُمْ مُوَثَّقِينَ فَسَأَلَ عَنْهُمْ: فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ أَقْسَمُوا لَا يَحُلُّونَ أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي يَحُلُّهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فِيهِمْ، رَغِبُوا عَنِّي، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ» فَنَزَلَتْ، فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ.

وَفِي قَولِهِ تَعَالَى: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) الِاعْتِرَافُ: الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ عَمَلًا صَالِحًا تَوْبَةً وَنَدَمًا، وَآخَرَ سَيِّئًا. أَيْ تَخَلُّفًا عَنْ هَذِهِ الْغَزَاةِ قَالَهُ: الطَّبَرِيُّ، أَوْ خُرُوجًا إِلَى الْجِهَادِ قَبْلُ. وَتَخَلُّفًا عَنْ هَذِهِ قَالَهُ: الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ. أَوِ تَوْبَةً وَإِثْمًا قَالَهُ: الْكَلْبِيُّ.وَعَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَخْلُوطٌ وَمَخْلُوطٌ بِهِ، كَقَوْلِكَ:خَلَطْتُ الْمَاءَ وَاللَّبَنَ، وَهُوَ بِخِلَافِ خَلَطْتُ الْمَاءَ بِاللَّبَنِ، فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ الْمَاءَ خُلِطَ بِاللَّبَنِ، قَالَ مَعْنَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَمَتَى خلطت شيئا شيء صَدَقَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ مَخْلُوطٌ وَمَخْلُوطٌ بِهِ، مِنْ حَيْثُ مَدْلُولِيَّةُ الْخَلْطِ، لِأَنَّهَا أَمْرٌ نِسْبِيٌّ.

وَالِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْبَةِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ انْتَهَى. وَجَاءَ بِلَفْظِ عَسَى لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ عَلَى وَجَلٍ، إِذْ لَفْظَةُ عَسَى طَمَعٌ وَإِشْفَاقٌ، فَأُبْرِزَتِ التَّوْبَةُ فِي صُورَتِهِ، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِمَا دَلَّ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ وَذَلِكَ، صِفَةُ الْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ نَزَلَتْ فِي نَاسٍ. مَخْصُوصِينَ فَهِيَ عَامَّةٌ فِي الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[(٢)].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٢.

(٢) البحر المحيط في التفسير٥/٤٩٨.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثلاثة الذين خلفوا:

كَانَ الصَحَابَة الأنْصَار الثَلاثة: كَعْبُ ابْن مَالِكٍ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، أَبْرَزْ وَأَشْهَر الْمُتَخَلِفين وَهُمْ مِنَ الَمشْهُودِ لَهُمْ بِالبَلاءِ فِي الإِسْلامِ وَبِحُسْنِ إِيْمَانِهمْ [1].

وَلَقدْ أَقَرَّ الصَحَابَة الثَلاثة الَّذِينَ تَخلَفُوا بِأَنهُمْ لا عُذْرَ لَهُمْ فِي تَخلُفِهِمْ عَنِ الغَزْوَةِ، وَنَهى النَّبيُّ ﷺ الْمُسْلِمينَ عَنِ الكَلامِ مَعَهُمْ، وَأَمَرُوا باعْتِزَال نسَائِهمْ [2]، فَاجْتَنَبَهُمْ النَّاسُ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بما رَحُبَتْ [3] وَاستَمرتْ الُمقَاطَعةُ حَتَّى نَّزَل القُرآن يُعْلِنْ قُبُول تَوبَتِهمْ فِي قَولِه تَعَالَى: **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** [4].

المتخلفون عن غزوة تبوك نفاقاً:

لقد نجم النفاق في المدينة واستعلن بشأن هذه الغزوة، «وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكّا في الحق، وإرجافا برسول الله ﷺ» [5]، فأنزل الله تعالى فيهم: **وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ** [6].

وَحِينَ عَرضَ النَّبيُّ ﷺ عَلَى الْجَدُّ بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي سَلِمَةَ الْمُشَارَكَة فِي جِهَادِ الرُّوم، اعْتَذَرَ عَنْ ذَلِكَ تَحتَ سِتَارِ الخَوفِ مِنَ الفِتْنَةِ بِسَبَب شِدَّةِ وَلَعِهِ بالنساء وَقَالَ: « وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَلا أَصْبِرَ »، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: " قَدْ أَذِنْتُ لَكَ "، وَفِيهِ نَزَلَتْ الآيَة: **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ** [7].

وَكَانَ القُرآن قَدْ تَحدثَ عَنْ أَعْذَارِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ**

---

[1] ابن حجر: فتح الباري٨/١١٦، شرح حديث ٤٤١٨. صحيح مسلم٤/ ٢١٢٠، (حديث ٢٧٦٩).

[2] أصدر النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر اعتزالهم للنساء بعد مرور أربعين يوما من عودته إلى المدينة ومقاطعة المسلمين لهم، وقد نفذوا أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم، واستأذنته زوجة هلال بن أمية في خدمته ذلك أنه شيخ كبير ضائع لا خادم له، فأذن لها واشترط عليها أن لا يقربها. ابن هشام: السيرة ٢/ ٥٣١.

[3] حاول ملك الغساسنة النصراني أن يستغل الحالة التي كان عليها كعب بن مالك فكتب له رسالة مع أحد الأنباط دعاه فيها إلى الالتحاق به لمواساته، وقد أدرك كعب أن ذلك ابتلاء وامتحان من الله تعالى فقال: «قد بلغ بي ما وقعت منه أن طمع فيّ رجل من أهل الشرك» فأحرق الرسالة. ابن هشام: السيرة ٢/ ٥٣١.

[4] سورة التوبة: الآية ١١٨. ابن حجر: فتح الباري٨/١١٣ ١١٦.

[5] ابن هشام: السيرة ٣/ ٥١٧.

[6] سورة التوبة: الآيتان ٨١- ٨٢.

[7] سورة التوبة: الآية٤٩.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَسَيَحْلِفُونَ بالله لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ[1]. فَقدْ بَينَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– مَوقِفْ المُنَافِقِينَ وَأَنَّهُمْ تَخلَفُوا بِسَبب بُعْدِ المَسَافَةِ وَشِدَّتِهَا، وَأَنَّهُ لَو كَانَ الَّذِي دَعوتَهُمْ إِليهِ يا مُحَمَّد عَرَضَاً مِنْ أَعْرَاضِ الدنيا ونعيمها وَكَانَ السَّفَرُ سَهْلاً لاتَبَعُوكَ فِي الخُرُوجِ، وَلَكِنَهُمْ تَخلَفُوا وَلَمْ يَخْرُجُوا، فالآية تَشْرَحْ وَتُوضِحْ مُلابَسَاتِ مَوقِفَهُم قبلَ الخُروجِ إلى الغَزْوَةِ، وَأَسْبَابِ هَذَا المَوقِف، ثُمَّ حَكَى –سُبْحَانَهُ– مَا سَيَقُولُهُ هَؤلاءِ المُنَافِقُونَ بَعْدَ عَودَةِ المُؤمِنينَ مِنْ هَذِهِ الغَزْوَةِ: وَسَيَحْلِفُونَ باللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ. كَانَ نُزول هَذِهِ الآيةِ قَبلَ رُجوعِهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ تَبُوك. وَالمَعْنَى: وَسَيَحْلِفْ هَؤلاءِ المُنَافِقُونَ باللهِ –كَذِبَاً وَزُوراً– قَائِلينَ: لَو اسْتَطَعْنَا –أيها المؤمنون– أَنْ نَخرجَ مَعَكُمْ لِلجِهَادِ فِي تَبُوك لَخَرَجْنَا، فَإِنَنَا لَمْ نَتَخلَفْ عَنِ الخُروجِ مَعَكُمْ إلاَّ مُضْطَرينَ فَقدْ كَانَتْ لَنَا أَعْذَارَنَا القَاهِرَةَ الَّتِي حَمَلَتنَا عَلَى التَخَلُفْ[2].

وقوله –سبحانه–: (يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ). قال ابن عاشور: أَيْ يَحْلِفُونَ مُهْلِكِينَ أَنْفُسَهُمْ، أَيْ مَوْقِعِينَهَا فِي الْهَلَكِ. وَالْهَلَكُ: الْفَنَاءُ وَالْمَوْتُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَضْرَارِ الْجَسِيمَةِ وَهُوَ الْمُنَاسِبُ هُنَا، أَيْ يَتَسَبَّبُونَ فِي ضَرِّ أَنْفُسِهِمْ بِالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ، وَهُوَ ضَرُّ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ تَعَمُّدَ الْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ يُفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ[3].

وقد أمر الله تعالى بعدم تصديق المنافقين والإعراض عنهم ووصفهم بأنهم رجس فقال تعالى: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ* يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ [4]. وقد نهى الله تعالى عن قبول أعذار المنافقين، فقال في محكم التنزيل: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [5]. وقد منع الله رسوله الصلاة على أمواتهم، فنزل قوله تعالى: وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ [6].

و لم يقتصر النفاق على من نافق من أهل المدينة بل إنه امتد إلى البادية حولها، قال تعالى: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ [7].

---

[1] سورة التوبة: الآية٤٢.

[2] محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط ٣٠٠/٦.

[3] تفسير التحرير و التنوير ٢٠٩/١٠.

[4] سورة التوبة: الآيتان٩٥- ٩٦.

[5] سورة التوبة: الآية ٩٤.

[6] سورة التوبة: الآية٨٤.

[7] سورة التوبة: الآية ١٠١.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحيث إن المنافقين من الأعراب، وهم أقسى قلوبا وأكثر جفوة وأقل علما بالأحكام والسنن، فإنهم أشد كفرا ونفاقا من منافقي أهل المدينة، كما وصفهم القرآن الكريم. **الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ** [١].

مسجد الضرار:

فِي أَثْنَاءِ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ إلى المَدْينَةِ رَاجعاً مِنْ تَبُوك نَزَلَتْ عَلَيهِ الآياتِ الآتيةِ: **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ* لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** [٢].

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ، أَنَّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَأَ عِلْمَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانَ فِيهِ عِبَادَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَهُ شَرَفٌ فِي الْخَزْرَجِ كَبِيرٌ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ وَصَارَتْ لِلْإِسْلَامِ كَلِمَةٌ عَالِيَةٌ وَأَظْهَرَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، شَرِقَ اللَّعِينُ أَبُو عَامِرٍ بِرِيقِهِ وَبَارَزَ بِالْعَدَاوَةِ وَظَاهَرَ بِهَا، وَخَرَجَ فَارًّا إِلَى كُفَّارِ مكة من مشركي قريش، يمالئهم عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَمَعُوا بِمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ وَقَدِمُوا عَامَ أُحُدٍ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ وَامْتَحَنَهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَكَانَ هَذَا الْفَاسِقُ قَدْ حَفَرَ حَفَائِرَ فِيمَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَوَقَعَ فِي إِحْدَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصيب ذلك اليوم فجرح وَجْهِهِ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ الْيُمْنَى السُّفْلَى وَشُجَّ رَأْسُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ أَبُو عَامِرٍ فِي أَوَّلِ الْمُبَارَزَةِ إِلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَخَاطَبَهُمْ وَاسْتَمَالَهُمْ إِلَى نَصْرِهِ وَمُوَافَقَتِهِ، فَلَمَّا عَرَفُوا كَلَامَهُ قَالُوا: لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَنَالُوا مِنْهُ وَسَبُّوهُ فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَعَاهُ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ فِرَارِهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَبَى أَنْ يُسْلِمَ وَتَمَرَّدَ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمُوتَ بَعِيدًا طَرِيدًا فَنَالَتْهُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ النَّاسُ مِنْ أُحُدٍ، وَرَأَى أَمْرَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي ارْتِفَاعٍ وَظُهُورٍ، ذَهَبَ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَعَدَهُ وَمَنَّاهُ وَأَقَامَ عِنْدَهُ، وَكَتَبَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ أَنَّهُ سَيَقْدَمُ بِجَيْشٍ يُقَاتِلُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَغْلِبُهُ وَيَرُدُّهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا لَهُ مَعْقِلًا يَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مَنْ يَقْدَمُ مِنْ عِنْدِهِ لِأَدَاءِ كُتُبِهِ وَيَكُونُ مَرْصَدًا لَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ مُجَاوِرٍ لِمَسْجِدِ قُبَاء فَبَنُوهُ وَأَحْكَمُوهُ وَفَرَغُوا مِنْهُ قَبْلَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ، وَجَاءُوا فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِمْ فَيُصَلِّيَ في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فِيهِ عَلَى تَقْرِيرِهِ وَإِثْبَاتِهِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا بَنَوْهُ لِلضُّعَفَاءِ مِنْهُمْ وَأَهْلِ الْعِلَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ

---

[١] سورة التوبة: الآية ٩٧. تفسير الطبري ١١/ ٦٣٢.

[٢] سورة التوبة: الآيتان ١٠٧- ١٠٨. تفسير الطبري ١١/ ٦٧٥.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقال: «إنَّا عَلَى سَفَرٍ وَلَكِنْ إذَا رَجَعْنَا إنْ شَاءَ اللَّهُ» فَلَمَّا قفل عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاجعًا إلَى الْمَدِينَةِ مِنْ تَبُوكَ وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ، نَزَلَ عَلَيهِ جبريل بخَبَرِ مَسْجِدِ الضِّرَار وَمَا اعْتَمَدَهُ بَانُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنينَ فِي مَسْجِدِهِمْ مَسْجِدِ قُبَاءِ الَّذِي أُسِسَ مِنْ أَول يُومٍ عَلَى التَّقْوَى. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ مَنْ هَدَمَهُ قَبْلَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ [1]. هَذَا مَا ذَكَرَهُ ابن كثير فِي سَبَبِ النزول.

أمَّا معنى الآيات الكريمات: أخبر الله سبحانه أنَّ الباعث لهم على بناء المسجد أربعة أمور:

١- الضِرار لِغَيرِهِمْ، وَهُوَ الْمُضَارَةِ.

٢- الكُفْر بالله وَالْمُبَاهَاةِ لأَهْلِ الإسْلامِ، لأَنَّهُمْ أَرَادُوا ببنَائِه تَقْوِيَة أَهْلِ النفَاقِ.

التَفْرِيق بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لأَنَّهمْ أَرَادُوا ألاَّ يَحْضُروا مَسْجِدِ قُبَاءٍ فَتَقِل جَماعَة الْمُسْلِمينَ، وَفِي ذَلِكَ مِنْ اخْتِلافِ الكَلِمَةِ وَبُطْلانِ الألفة مَا لايَخْفَى.

٤- الإرْصاد لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أَي الإعْدَادِ لأجْلِ مَنْ حَارب اللَّهَ وَرَسُولَهُ [2]

وَقَدْ خيَّب اللهُ –تَعَالَى– مَسْعَاهُمْ، وَأَبْطَلَ كَيْدَهُمْ بأَنْ أَمرَ نَبيهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بهَدْمِهِ وَإِزَالَتِه.

وَقَوله: (**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى**) ذَمٌ لَهُمْ عَلَى أَيْمَانهمْ الفَاجرَةِ، وَأَقْوَالِهمْ الكَاذِبَةِ؛ لِذَلِكَ قَالَ تَعالَى: (**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ**).

ثُمَّ نَهَى اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَالْمُؤمِنينَ عَنِ الصَلاةِ فِي هَذَا الْمَسْجِد نَهْيَاً مُؤَكَداً، فَقَالَ سُبْحَانَه: **لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**.

قال ابن عاشور: وقوله سبحانه: (**لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً**) الْمُرَاد بالقِيَامِ الصَّلاة؛ لأَنَّ أَوَلَهَا قِيَام، وَوَجْهُ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ أَنَّ صَلَاةَ النَّبيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ تُكْسِبُهُ يُمْنًا وَبَرَكَةً فَلَا يَرَى الْمُسْلِمُونَ لِمَسْجِدِ قُبَاءَ مَزِيَّةً عَلَيْهِ؛ لِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَوَحْشِيًّا مَوْلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَمَالِكَ بْنَ الدَّخْشَمِ وَمَعْنَ بْنَ عَدِيٍّ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمُوهُ وَحَرِّقُوهُ»، فَفَعَلُوا[3] وقوله: (**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ**) احْتِرَاسٌ مِمَّا يَسْتَلْزِمُهُ النَّهْيُ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ مِنْ إِضَاعَةِ عِبَادَةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَغَّبُوهُ لِلصَّلَاةِ فِيهِ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُصَلِّيَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي دَعَوْهُ فِيهِ لِلصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ الضِّرَار أَنْ يُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِهِ أَوْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، لِئَلَّا يَكُونَ لِامْتِنَاعِهِ مِنَ الصَّلَاةِ مِنْ حُظُوظِ الشَّيْطَانِ أَنْ يَكُونَ صَرْفُهُ عَنْ صَلَاةٍ فِي وَقْتٍ دُعِيَ لِلصَّلَاةِ فِيهِ، وَهَذَا أَدَبٌ نَفْسَانِيٌّ عَظِيمٌ[4].

---

[1] تفسير ابن كثير ٤/٢١١.

[2] المصدر نفسه ٤/٢١٢.

[3] نظر: التحرير والتنوير (٣١/١١).

[4] المصدر نفسه.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَفِيهِ أَيْضًا دَفْعُ مَكِيدَةِ الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَطْعَنُوا فِي الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ دُعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِمْ فَامْتَنَعَ، فَقَوْلُهُ: أَحَقُّ وَإِنْ كَانَ اسْمَ تَفْضِيلٍ فَهُوَ مَسْلُوبُ الْمُفَاضَلَةِ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِ الضِّرَارِ أَزَالَ كَوْنَهُ حَقِيقًا بِصَلَاتِهِ فِيهِ أَصْلًا.

وَلَعَلَّ نُكْتَةَ الْإِتْيَانِ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ أَنَّهُ تَهَكُّمٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ بِمُجَارَاتِهِمْ ظَاهِرًا فِي دَعْوَتِهِمُ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ فِيهِ بِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَقِيقًا بِصَلَاتِهِ بِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى أَحَقُّ مِنْهُ، فَيُعْرَفُ مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى أَنَّ هَذَا أُسِّسَ عَلَى ضِدِّهَا. [1].

وقد رأى ابن عاشور أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى أَنَّهُ مَسْجِدَ هَذِهِ صِفَتُهُ لَا مَسْجِدًا وَاحِدًا مُعَيَّنًا، فَيَكُونُ هَذَا الْوَصْفُ كُلِّيًّا انْحَصَرَ فِي فَرْدَيْنِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَمَسْجِدِ قُبَاءَ[2].

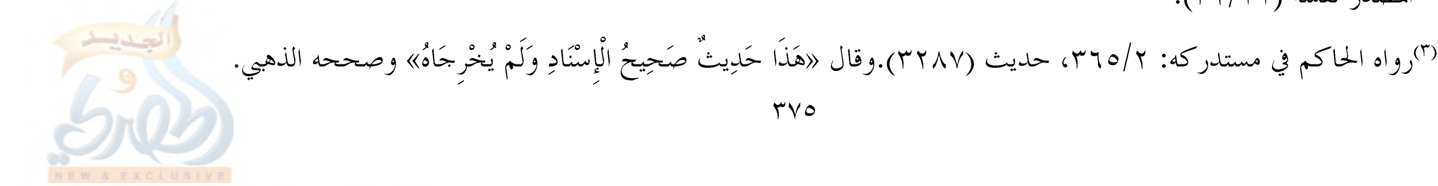
قوله تعالى: (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) حَدَّثَنا أَبُا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرًا، فَمَا طُهُورُكُمْ هَذَا؟» قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَنَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَنَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ " قَالَ: هُوَ ذَاكَ فَعَلَيْكُمْ بِهِ [3].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر نفسه (٣٢/١١).

[3] رواه الحاكم في مستدركه: ٣٦٥/٢، حديث (٣٢٨٧).وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» وصححه الذهبي.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة تبوك

المستفاد من مسارعة الصحابة لبذل أموالهم في سبيل الله:

فهم المسلمون أن المال وسيلة، واستطاع أغنياء الصحابة أن يبرهنوا أن مالهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طواعية ورغبة، وإن تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرف؛ لأن تاريخ المال في يد الرجال لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان الجهاد بالنفس، فكذلك هو بالمال، وإن الذين ربوا على أن يقدموا أنفسهم تهون عليهم أموالهم في سبيل الله تعالى[1].

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق دليلا على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها، وخير ما يفعله المصلحون وزعماء النهضات هو غرس الدين في نفوس الناس غرسًا كريمًا[2].

المستفاد من غزوة تبوك في التمييز بين المؤمنين والمنافقين:

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين، ولم يعد هناك أي مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم، بل أصبحت مجاهدتهم أمرًا ملحًّا بعد أن عملوا كل ما في وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة وتثبيط المسلمين عن الاستجابة للنفير الذي أعلنه الله تعالى ورسوله ﷺ، والذي نزل به القرآن الكريم، بل وأصبح الكشف عن نفاق المنافقين وإيقافهم عند حدهم واجبًا شرعيًّا[3].

المستفاد من قصة ابو ذر الغفاري ﷺ:

١- ما تعرض له أبو ذر الغفاري ﷺ من الصعوبات والمخاطر التي نجاه الله منها وقواه بالصبر عليها، لقد بذل أبو ذر جهدًا كبيرًا في المشي على قدميه وهو يحمل متاعه على ظهره حتى لحق بالنبي ﷺ والمسلمين؛ لكي ينال شرف الجهاد في سبيل الله[4].

٢- وفي قوله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، دلالة واضحة -وضوح الشمس في رابعة النهار- على صدق نبوة الرسول ﷺ؛ إذ الإخبار بأمور لا تقع ثم تقع بعد الإخبار يدل على معجزة وتكريم من الله لهذا الرسول ﷺ، وهذه الوسيلة من إثبات النبوة كثيرة في السيرة النبوية الشريفة[5].

---

[1] الشامي: معين السيرة، ص٤٤٩.

[2] السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، ص١٦١.

[3] الصلابي: السيرة النبوية ٨١٥/١.

[4] محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٢٩، الحميدي: التاريخ الإسلامي ١١٤/٨.

[5] محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٢٩.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المستفاد من قصة ابو خيثمة رضي الله عنه:

١- المسلم صاحب ضمير حي:

فقد رأى أبو خيثمة رضي الله عنه ما أعدت له زوجتاه من الماء البارد والطعام مع الظل المبرد والإقامة، فتذكر رسول الله ﷺ وما هو فيه من التعرض للشمس والريح والحر، فأبصر وتذكر وتيقظ ضميره وحاسب نفسه، ثم عزم على الخروج، وخرج وحده يقطع الفيافي والقفار حتى التقى بعمير بن وهب الجمحي، ولعله كان قادما من مكة، فهذه الصورة تبين لنا مثلا من سلوك المتقين الذين تمر عليهم لحظات ضعف يعودون بعدها أقوى إيمانا مما كانوا عليه إذا تذكروا وراجعوا أنفسهم، وفي بيان ذلك يقول الله تبارك وتعالى: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** [1].

وقد تذكر سريعا وخرج لعله يدرك ما فاته، وظل يشعر بالذنب حتى وصل إلى النبي ﷺ في تبوك وحصل على رضاه وسروره[2].

٢- معرفة الرسول بأصحابه وبمعادهم:

إن قول الرسول ﷺ حينما قال له أصحابه: هذا راكب على الطريق مقبل: «كن أبا خيثمة»، فلما اقترب وعرفوه قالوا: يا رسول الله، هو –والله- أبو خيثمة، يدل على معرفة رسول الله ﷺ بأصحابه وأنه أعرفهم بمعادن رجاله، يعرف المستجيب من غيره، ويعرف التائب المنيب إلى ربه إذ زلت قدمه بسرعة رجوعه، ومعرفة خصال الرجال ومعادهم تدل على معرفة واسعة، وخبرة مستوعبة فاحصة نتيجة التعامل والاحتكاك في ميادين الحياة المختلفة، فقد كان يخالط الجميع، يسمع منهم ويسمعهم ويسيرون معه، ويجاهدون تحت رايته[3].

٣- حزم أبي خيثمة وصبره ونفاذ عزيمته:

تأمل هذا القرار الذي اتخذه أبو خيثمة رضي الله عنه أن يلحق برسول الله ﷺ وحده، في هذه الرحلة المضنية، في هذه الصحراء القليلة الماء ذات الحر اللافح، لقد اتخذ هذا القرار الحازم ونفذه بدقة، فدل على قوة عزيمته وعنفوان إرادته وعلى جلده وصبره[4].

٤- عتاب القائد للجندي له أثره:

وصل أبو خيثمة معترفا بذنبه، يطرح السلاح على رسول الله ﷺ فعاتبه، ﷺ معاتبة تحمل في طياها اللوم والتأنيب والتهديد، إذ قال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة» فهي كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها: دنوت من الهلكة.

إنه مما لا شك فيه أن هذا الكلام كان له وقعه في نفس الجندي، إذ أوقفه على حقيقة ما ارتكب من الذنب.

---

[1] سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

[2] الحميدي: التاريخ الإسلامي٨/١١١، ١١٢.

[3] محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٣٣.

[4] المصدر نفسه، ص١٣٣، ١٣٤.



وهذا منهج نبوي كريم في تعليم القادة عدم السكوت على أخطاء الجنود؛ لأن ذلك يضرهم ويلحق الضرر بغيرهم، بل عليهم أن يسعوا إلى تصويب الخطأ ومحاسبة مرتكبه وتقويمه، وبذلك يكونون معلمين ومرشدين ومربين[1].

المستفاد من وصايا رسول الله ﷺ للجيش عند مروره بحجر ثمود:

إن الله عز وجل ما قص علينا من أنباء الأمم الخالية، إلا لكي نأخذ منها العظة والاعتبار، فإذا شهدنا بأعيننا ديارهم التي نزل فيها سخط المولى عز وجل وعذابه الأليم، وجب أن تكون الموعظة أشد، والاعتبار أعمق، والخوف من سخط المولى –سبحانه– أبلغ، ولهذا تسجى النبي صلوات الله وسلامه عليه بثوبه لما مر بالديار الملعونة المسخوطة واستحث خطا راحلته[2] وقال لأصحابه: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذرًا أن يصيبكم ما أصابهم» [3].وهذا منهج نبوي كريم في توجيه رسول الله ﷺ صحابته إلى الاعتبار بديار ثمود، وأن يتذكروا بها غضب الله على الذين كذبوا رسوله، وألا يغفلوا عن مواطن العظة برسومها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء مما في ربوعها، حتى الماء لكيلا تفوت بذلك العبرة، وتخف الموعظة، بل أمرهم بالبكاء، وبالتباكي، تحقيقا للتأثر بعذاب الله، ولو أنهم مروا بها كما نمر نحن بآثار السابقين، لتعرضوا لسخط الله، فإن الغابرين شهدوا المعجزات ودلائل النبوة، وعاينوا العجائب، لكن قست قلوبهم فاستهانوا بها، وحق عليهم العذاب، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من نقمة الله وغضبه.

المستفاد من قصة مسجد الضرار:

١– الكفر ملة واحدة:

وقد تبين هذا في موقف أبي عامر الراهب من الإسلام ومن المسلمين؛ إذ غضب غضبا شديدا، وتألم لهزيمة المشركين في بدر، فأعلن عداءه للرسول، وتوجه إلى عاصمة الشرك مكة يحث أهلها على قتال المسلمين، وخرج مقاتلا معهم في أحد، وحاول تفتيت الصف الإسلامي[4] وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [5].

٢– محاولة التدليس على المسلمين:

حاول المنافقون أن يضفوا الشرعية على هذا البناء وأنه مسجد بنوه لأسباب مقنعة في الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في

---

[1] المصدر نفسه، ص١٣٤.

[2] محمد فوزي فيض الله: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص٤٨٠.

[3] صحيح البخاري: كتاب الانبياء، باب قول الله تعالى { وإلى ثمود أخاهم صالحا } ٤/١٤٩، حديث ٣٣٨١.

[4] محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٧٩.

[5] سورة الأنفال: الآية ٧٣.



نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسول ﷺ الصلاة في هذا البناء ليكون مسجدا قد باركه رسول الله ﷺ بالصلاة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم، وهذا أسلوب ماكر خبيث قد ينطلي على كثير من الناس[1].

٣- فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين:

إن الباحث ليلاحظ مدى العناية الإلهية بالنبي ﷺ؛ فقد أطلعه الله -عز وجل- على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولا إعلام الله لرسوله لما أدرك رسول الله حقيقة نواياهم، ولصلى في البناء فأضفى عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه لأن رسول الله ﷺ صلى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم وقد يؤثرون عليهم بالشائعات[2].

٤- العلاج النبوي الحاسم:

إن ما قام به الرسول ﷺ من الأمر بهدم مسجد الضرار هو التصرف الأمثل، وهذا منهج نبوي كريم سنه لقادة الأمة في القضاء على أي عمل يراد منه الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج بتسكينه والتخفيف منه، وإنما يعالج بحسمه وإزالة آثاره، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى، وإن الثمار العملية، التي لمسها المسلمون على إثر تطبيق الأمر النبوي الحازم لتدلنا على أن هذه المنهجية التي نهجها رسول الله ﷺ مع هذا المكر الخبيث، هي الطريقة المثلى لقمع حركة النفاق في المجتمع المسلم، فقد أصبح أمرهم بعد ذلك يتلاشى شيئا فشيئا حتى لم يبق منهم بعد لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا عدد قليل، و لم يعرف عنهم بعد تدمير مسجد الضرار أن قاموا بأعمال تخدم الهدف نفسه لعلمهم بنتائج العمل بعد انكشافهم[3].

٥- كل ما كان ظاهره مشروعا ويريد متخذوه الإضرار بالمؤمنين فهو ملحق بالمسجد الضرار.

المستفاد من قصة الثلاثة الذين خلفوا:

١- الصدق سفينة النجاة:

لقد أدرك كعب، وهلال، ومرارة -رضي الله عنهم- خطورة الكذب فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق وإن عرضهم ذلك للتعب والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله -تعالى- كبيرًا في أن يقبل توبتهم ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه[4]، وما أجمل ختم رب العالمين توبته على كعب ومن معه بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾.

---

[1] المصدر نفسه، ص١٨١.

[2] المصدر نفسه، ص١٨١.

[3] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٨/١٣٠.

[4] المصدر نفسه ٨/١٣٨.



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



٢- الهجر التربوي وأثره في المجتمع:

إن الهجر التربوي له منافعه العظيمة في تربية المجتمع المسلم على الاستقامة ومنع أفراده من التورط في المخالفات التي تكون إما بترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات؛ لأن من توقع أنه إذا وقع في شيء من ذلك سيكون مهجورا من جميع أفراد المجتمع، فإنه لن يفكر في الإقدام على ذلك.

ولا يغيب عن البال أن تطبيق هذا الحكم يجب أن يتم في الظروف المشابهة لحياة المسلمين في العهد النبوي المدني، حيث توجد الدولة المهيمنة والمجتمع القوي، مع أمن الوقوع في الفتنة لمن طبق عليه هذا الحكم.

وهذا الهجر التربوي يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين على أمور الدنيا، فهذا دنيوي وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب شرعي يثاب عليه فاعله، أما الهجر الدنيوي فإنه مكروه إلا إذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه يكون محرما[١] لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» [٢]ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»[٣].

٣- تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم:

استجاب المجتمع المسلم كله لتنفيذ أمر المقاطعة والهجر الذي صدر من القائد الأعلى صلى الله عليه وسلم وامتنعوا جميعا عن الحديث مع هؤلاء الثلاثة، ووصف كعب لنا ذلك فقال:... فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد[٤]... وقد أطلق كعب السلام على ابن عمه أبي قتادة فلم يرد عليه السلام، وناشده بالله مرارًا: هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، مع أنه من أحب الناس إليه، لقد كان أبو قتادة في هذا الموقف موزع الفكر بين إجابة رجل حبيب إليه عزيز عليه، وبين تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق الهجر التربوي، ولكن ليس هناك تردد بين الأمرين، فالذي أوحى به إيمان أبي قتادة هو تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم فظهر ذلك على سلوكه[٥].

وقد بلغ الالتزام بالأمر النبوي في الهجر التربوي ذروته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلفوا باعتزال زوجاتهم حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، فالتزم الجميع بذلك، واستأذنت زوجة هلال بن أمية -وكان شيخا طاعنا في السن لا يجد من يخدمه- فطلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن لها أن تخدمه فأذن لها النبي

---

[١]المصدر نفسه (١٣٩/٨).

[٢]صحيح البخاري: كتاب الادب، باب الهجرة ٢١/٨، حديث (٦٠٧٧).

[٣]رواه الحاكم في مستدركه:١٨٠/٤، حديث(٧٢٩٢). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ".

[٤]محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٩٥.

[٥]الحميدي: التاريخ الإسلامي ١٤٠/٨.



صلى الله عليه وسلم بذلك شريطة ألا يقربها؛ فالتزمت رضي الله عنها[١].

٤- الولاء التام لله ورسوله:

كان العدو الصليبي يراقب ويرصد ويستغل الفرصة السانحة لكي يمزق الجبهة الداخلية ويشعل نار الفتنة بين المسلمين ليوهن البنيان ويقوض الأركان، ولذلك استغل ملك غسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك ﷺ وعقوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، بأن يرسل سفيره لكعب برسالة خاصة منه إليه يغريه فيها، تأمل قوله: قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، و لم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك[٢]. فكان تعليق كعب على هذه الرسالة: وهذا من البلاء أيضا، قد بلغ مني ما وقعت فيه أن طمع فيَّ رجال من أهل الشرك، ثم أحرق الرسالة[٣] وهذا الموقف يدل على شدة ولاء كعب لله ورسوله وقوة إيمانه وعظمة نفسه، فقد أدرك أنها محنة جديدة أقسى من الأولى، فلا يرضيه أن يجيب ملك غسان بالسلب، أو يرمي بالكتاب ويمزقه، ولكنه رمى به في التنور ليصير رمادا، ويصير كل ما به دخانا يتبدد في الهواء، وخرج الرجل من محنته وهو أقوى ما يكون إيمانا، وأصفى ما يكون روحا، وأكرم ما يكون أخلاقا، فيالعظمة هذه النفوس المؤمنة الكبيرة[٤]! لقد مر كعب من فوق هذا الاختبار والابتلاء عزيزًا قويًا بإسلامه، لم يتأثر به ولا انزلق فيه[٥].

٥- توبة الله على العبد قيمة دينية يتطلع إليها الصادقون:

عندما نزلت الآيات الكريمة التي بينت توبة الله على هؤلاء الثلاثة كان ذلك اليوم من الأيام العظيمة عند المسلمين، ظهرت فيه الفرحة على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استنار كأنه قطعة قمر، وظهرت الفرحة على وجوه الصحابة -رضي الله عنهم- حتى صاروا يتلقون كعبًا وصاحبيه أفواجًا يهنئونهم بما تفضل الله به عليهم من التوبة، وجاء كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق من السرور فقال له: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، وهذا يعني مقام التوبة وأنها أعظم من الدخول في الإسلام.

إن التوبة تعني عودة العبد إلى الدخول تحت رضوان الله تعالى الذي هو أعلى هدف ينشده المسلم، وبالتالي فإنه يحظى بحفظه -جل وعلا- في الدنيا وتكريمه في الآخرة، لقد كانت توبة كعب عظيمة عبر عنها بترع ثوبيه -اللذين لا يملك يومئذ غيرهما- وإهدائهما لمن بشره[٦] وعدم نسيان كعب لطلحة بن عبيد الله مصافحته وتهنئته له[٧] وكذلك

---

[١] محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبين، ص١٩٦.

[٢] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ٣/٦، حديث(٤٤١٨).

[٣] الواقدي: المغازي ٣/١٠٥١، ١٠٥٢.

[٤] ابو شهبة: السيرة النبوية ٢/٥١٧.

[٥] البوطي: فقه السيرة، ص٣٠٧.

[٦] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٨/١٤١.

[٧] ابو شهبة: السيرة النبوية ٢/٥٨١.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانت فرحة صاحبيه عظيمة غير أن كعبا لم يذكر في هذا الخبر إلا ما جرى له[1] وقد جاء في رواية الواقدي: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد قال: وخرجت إلى بني واقف فبشرته فسجد، قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه[2].

٦- تشرع أنواع من العبادات شكرًا لله عند النعمة:

كانت فرحة كعب بن مالك بتوبة الله -سبحانه وتعالى- عليه لا تحدها حدود، ولا يتصورها مثل، وقد تفنن هو ﷺ في التعبير عنها بجملة من العبادات منها:

أ- سجود الشكر: حينما سمع كعب البشارة بتوبة الله عليه خر ساجدًا من فوره شكرًا لله -تبارك وتعالى- فقد كان من عادة الصحابة -رضي الله عنهم- أن يسجدوا شكرًا لله -تعالى- كلما تجددت لهم نعمة أو انصرفت عنهم نقمة وقد تعلموا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

ب- مكافأة الذي يحمل البشرى: فقد نزع كعب ثوبيه اللذين كان يلبسهما، فكساهما الذي سمع صوته بالبشرى، وما كان يملك وقتئذ غيرهما، ثم استعار ثوبين فلبسهما، ولا شك أن هذا ضرب من الهبة المشروعة، فإن كان المبشر غنيا كان له هدية، وإن كان فقيرا كان له صدقة، وكلاهما إخراج المال شكرا لله -تعالى- على إنزاله الفرج[4].

ج- التصدق بالمال: فقد جعل كعب من توبته أن ينخلع من ماله صدقة لله تعالى، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يتقبل منه التصدق بجميع ماله، وقال له: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، وكأنه يستشيره بذلك، فكانت المشورة بإمساك بعض ماله[5] وقد ثار الخلاف الفقهي فيمن نذر التصدق بجميع ماله، والصدقة مستحبة، والنذر واجب الوفاء، ولم يذهب كعب إلى النذر، وإنما استشار في الصدقة بكل المال، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بإمساك بعض ماله.

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن المنافقين في غزوة تبوك:

١- المنافقون يحلفون بالله كذباً: قال تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[6].

٢- المؤمن لا يستأذن في الجهاد بينما يستأذن المنافق في القعود عن الجهاد: قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي ١٤٢/٨.

[2] الواقدي: المغازي ١٠٥٤/٣.

[3] محمد فوزي فيض الله: صور وعبر من الجهاد النبوي، ص٤٩٣.

[4] نفس المصدر، ص٤٩٣، محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص٢٠٢.

[5] محمد فوزي فيض الله: صور وعبر من الجهاد النبوي، ص٤٩٣.

[6] سورة التوبة: الآية ٤٢.





وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ [(١)].

٣- ترك المنافقون الاستعداد للجهاد دليل على إرادتهم التخلف عنه: قال تعالى: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ [(٢)].

٤- التخلف عن الجهاد وقوع في الإثم العظيم: قال تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [(٣)].

٥- لايُقبل إنفاق المنافق: قال تعالى: قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ [(٤)].

٦- لا ينبغي الإعجاب بأموال المنافقين ولا **أولادهم**:قال تعالى: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ [(٥)].

٧- المتخلف عن غزوة تبوك لا يؤذن له بالإشتراك في غيرها: قال تعالى: فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ[(٦)].

٨- لايُصدق المنافق بعد ان ظهر كذبه ونفاقه: قال تعالى: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [(٧)].

٩- يحلف المنافق ليرضى عنه المؤمن: قال تعالى: يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [(٨)].

١٠- لا فائدة من معاتبة المنافقين: قال تعالى: سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [(٩)].

١١- المنافقون يسخرون من المؤمنين: قال تعالى: الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [(١٠)].

١٢- المنافقون يقولون كلمة الكفر وينكرونها: قال تعالى: يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ

[(١)] سورة التوبة: الآيتان ٤٤٤٥.

[(٢)] سورة التوبة: الآية ٤٦.

[(٣)] سورة التوبة: الآية رقم٤٩.

[(٤)] سورة التوبة: الآية رقم ٥٣.

[(٥)] سورة التوبة: الآية رقم ٥٥.

[(٦)] سورة التوبة: الآية رقم ٨٣.

[(٧)] سورة التوبة: الآية رقم ٩٤.

[(٨)] سورة التوبة: الآية ٩٦.

[(٩)] سورة التوبة: الآية ٩٥.

[(١٠)] سورة التوبة: الآية ٧٩.





إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [1].

١٣- المنافق يرضي الناس ولا يرضي الله ورسوله: قال تعالى: **يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** [2].

١٤- المنافقون ليسوا من المؤمنين: قال تعالى: **وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ** [3].

---

[1] سورة التوبة: الآية ٧٤.

[2] سورة التوبة: الآية ٦٣.

[3] سورة التوبة: الآيتان ٥٦٥٧.



الفصل الرابع عشر

حجة الوداع

تمهيد:

إنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابْ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مُنْتَهَاه، وَلِكُلِ سَفَرٍ مَهْمَا طَالَ مَحطَةٌ اخيْرَةٌ يَضَعُ فِيهَا الْمسَافِرُ رِحْلَهُ، وَهَا هُوَ نبيُّنَا الكَريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشعِر بحِسِّه العَميق، وَببَصيرَتِهِ الَّتِي أَشْرَقَت بنُورِ الله سُبْحَانه: أَنَّ رِحْلَتَه اقْتَرَبَتْ مِنْ مَحطَتِهَا الأخيْرَة، فأحَبَّ أَنْ يُعَلِّم أمَّتَهُ بنَفْسه فَريضَة الحَجِّ لِيَكون هَذَا دَرْساً عَمَلِيَّاً تَطْبيقِيَّاً وَأمْرَاً تَبْليغيّاً، فَكَمَا بَلَّغَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ أمرَ الصَّلاة، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوم، كَانَ عَلَيهِ أَنْ يبلِّغهم أَمرَ الحَجِّ، وَسَنَتناوَل فِي هَذا الفَصْل مُخْتَصَراً لِوَقَائِع حَجَّة الوَدَاع[1] وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا فِي مَبْحَثَين مُسْتَقِلين وَعَلَى النَّحوِ التَّالِي:

المَبْحَث الأوَل: مُخْتَصَر وَقَائِع حَجَّةِ الوَدَاع.

المَبْحَثِ الثَّانِي: المُسْتَفاد مِنْ حَجَّةِ الوَدَاع.

---

[1] وسميت بحجة الوداع ؛لقول رسول الله ﷺ فيها وهو يرمي جمرة العقبة: لِتَأخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي ، لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ. انظر: صحيح مسلم ٢/٩٤٣، حديث(١٢٩٧).


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الاول

مختصر وقائع حجة الوداع

مختصر حجة الوداع[1]:

عِنْدَ حُلول شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَةَ لِلهِجْرَةَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّجهز لِلحَجِّ، وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بذَلكَ وَأَمَرَهُمْ بالتَجهُز. فَجَاءَ الْمُسْلِمونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَصَوب، مِنَ القُرَى وَالبَوَادِي، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعهُ اكْثَرْ مِنْ مَائَة أَلفٍ قَاصِدِينَ بَيتِ اللهِ الحَرام لأَدَاءِ الحَجِّ، وَهُمْ يُلبُّونَ ويُكَبّرُونَ وَيُهَلِلُونَ. وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ فِي الْيَوْمُ الرَابِعْ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ، وَلَمَّا عَاينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَعْبَةَ الْمُشرَّفَة، قال: « اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ وَاعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَبِرًّا»[2]، ثَمَّ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالْكَعْبَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ نَاقتَهُ، ثَمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِنًى فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّة بعد أن أَحْرَمَ بالحَجِّ، وصَلَّى فِيهَا وَأَصْحَابَهُ الظُّهْرَ والْعَصْرَ والْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ و الْفَجْرَ، وَبَعدَ شُروقِ شَمْسِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ قَاصِدِينَ عَرَفَات.

خطبة النبي ﷺ في عرفات:

وَفِي عَرَفَات خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِه الجُموعِ مِنَ الْمُسْلِمينَ خُطْبَتهُ الجَامِعَة، وَمِما جَاءَ فِيهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيّهَا النّاسُ، اسْمَعُوا قوْلِي، فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيّهَا النّاسُ، إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلّغْت، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدّهَا إلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنّ كُلّ رِبًا موضوع، ولكن لكم رؤوس أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ[3].

« أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَىَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِى بَنِى سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ

---

[1] اكرم العمري: السيرة النبوية ٥٤٩٥٥١/٢. ابو شهبة: السيرة النبوية ٥٦٧/٢. عبد الكريم زيدان:المستفاد من قصص القرآن ٥١٣/٢.

[2] البيهقي: السنن الكبرى: ٧٣/٥، حديث (٩٤٨٠).

[3] ابن هشام:السيرة النبوية ٦٠٣/٢.



وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ». قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ « اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[١].

« أَلاَ إِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ أَلاَ وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ مِنْ دَمِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُ مِنْهَا دَمَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِى بَنِى لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ ». قَالُوا: نَعَمْ ثَلاَثًا قَالَ:« اللَّهُمَّ اشْهَدْ ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[٢].

إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحَاوَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا وَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ[٣].

اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ ، فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً[٤].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى[٥].

ما نزل من القرآن في يوم عرفه:

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَنْ آيَةِ(**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) أَنَّهَا أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ[٦]. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْكَمَالِ إِلَّا النُّقْصَانُ[٧].

---

[١] صحيح مسلم: ٢/٨٨٦، حديث (١٢١٨).

[٢] البيهقي: السنن الكبرى ٥/٢٧٥، حديث (١٠٧٧١). رواه ابو داؤد في سننه ٣/٢٤٩، حديث(٣٣٣٦).وقال الالباني:حديث صحيح.

[٣] البيهقي: دلائل النبوة ٥/٤٤٩.

[٤] رواه ابن ماجه في سننه: ٣/٥٧، حديث (١٨٥١). وقال الالباني:حديث حسن.

[٥] اسناده صحيح: رواه احمد في مسنده: ٣٨/٤٧٤، حديث (٣٣٤٨٩).

[٦] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوادع ٥/١٧٧، حديث(٤٤٠٧).

[٧] ابن كثير: السيرة النبوية ٤/٤٢٧.



من خطبته ﷺ يوم النحر في منى:

وَفِي يَوْمُ النَّحرِ بِمِنَىً خَطَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ خُطْبَة أُخْرَى، وَمِمَا جَاءَ فيهَا قَوْلُهُ:« أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ ». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ:« أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ ». قُلْنَا: بَلَى قَالَ:« فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ ». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ:« أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ ». قُلْنَا: بَلَى قَالَ:« فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ ». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ:« أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ». قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:« فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ». قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ:« وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ »[١].

خطبة ثالثة لرسول الله ﷺ:

وخطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلامُ خُطْبَة أُخْرَى فِي مِنَىً أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَهُوَ يَوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّل، وَهِيَ تَأكيد لِبَعْضِ مَا جَاءَ فِي خُطْبَتِي عَرَفَه وَيومَ النَّحْرِ بمِنىً، وَالواقِعُ أَنَّ تِكْرَارِ الخُطَبَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ كَانَ أَمْراً لابُدَّ مِنْهُ لِحَاجَةِ المُسْلِمينَ، وَلأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَسَّ بأنَّ حُجَّتَهُ هَذهِ هِيَ الأخيرَة، بَلْ وَصَرحَ بذَلكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ مِنْ شَفَقَتهِ بأمتِه أَنْ كَرَّرَ عَلَيهِم خُطَبَهُ تَأكيداً لِلمَعاني الَّتِي وَرَدَتْ فِي خُطبَه، وَرَأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَهُمْ إِلَى سَمَاعِهَا وَتِكْرَارِهَا عَلَيهِمْ؛ لِيَحْفَظوهَا وَيَعوهَا وَيُبلِغُوهَا إِلَى مَنْ لا يَحْضَرَ جَمْعهمْ، بَلْ وَأَمَرَهُمْ بِهَذَا التَّبْليغ [٢].

ما نزل من القرآن في أيام التشريق بمنى:

عَنِ ابْنَ عُمَرَ، إنَّ هَذِهِ السُّورَة أُنْزِلَتْ على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِمنَى، وَهُوَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ الْوَدَاعُ[٣].

---

[١] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوادع ٢/٦١٩، حديث (١٦٥٢).

[٢] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/٥١٥.

[٣] ابن حجر العسقلاني: المطَالِبُ العَالِيَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَة ١٣/٤٨٣.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

المستفاد من حجة الوداع

المستفاد من خطبة النبيﷺ يوم عرفة:

١ – تربية الأفراد على قطع الصلة بالجاهلية والابتعاد عن الذنوب: فقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى أهمية قطع المسلم علاقته بالجاهلية، أوثانها، وثاراتها، ورباها، وغير ذلك، ولم يكن حديثه صلى الله عليه وسلم مجرد توصية بل كان قرارًا أعلن عنه للملأ كله لأولئك الذين كانوا من حوله والأمم التي ستأتي من بعده، وهذه هي صيغة القرار: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع، دماء الجاهلية موضوعة... وربا الجاهلية موضوع» لأن الحياة الجديدة التي يحياها المسلم بعد إسلامه حياة لا صلة لها برجس الماضي وأدرانه[١].

٢ – التحذير من الذنوب والخطايا والآثام، ما ظهر منها وما بطن؛ لأن الذنوب والخطايا تفعل بالفرد ما لا يفعله العدو بعدوه، فهي سبب مصائبه في الدنيا ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [٢]فترديه في نار جنهم في الآخرة، وتفعل في المجتمعات ما لا يفعله السيف، وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقصد بالخطايا العودة إلى عبادة الأصنام؛ لأن العقول التي تفتحت على التوحيد، ترفض أن تعود إلى الشرك الظاهر، ولكن الشيطان لا ييأس من أن يجد طريقه إليها من ثغرات الخطايا والذنوب، حتى تردي صاحبها في المهاوي[٣].

٣ – تربية المجتمع على مبدأ الأخوة في الله؛ فهي العروة الوثقى التي تربط بين جميع المسلمين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [٤] فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم» وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض».

٤ تربية المجتمع على مبدأ الوقوف بجانب الضعيف؛ حتى لا يكون هذا الضعف ثغرة في البناء الاجتماعي، فأوصى صلى الله عليه وسلم في خطبته بالمرأة والرقيق على أنهما نموذجان عن الضعفاء[٥] ، فقد شدد صلى الله عليه وسلم في

---

[١] محمد قلعجي: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٣٠٣.

[٢] سورة الشورى، الآية ٣٠.

[٣] محمد قلعجي: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٣٠٣.

[٤] سورة الحجرات، الآية ١٠.

[٥] قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٣٠٤.





وصيته على الإحسان إلى الضعفاء[1] وأوصى خيرا بالنساء، وأكد في كلمة مختصرة جامعة القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية[2].

٥- التعاون مع الدولة الإسلامية على تطبيق أحكام الإسلام، والالتزام بشرع الله؛ ولو كان الحاكم عبدًا حبشيًّا، فإن في ذلك الصلاح والفلاح، والنجاة في الدنيا والآخرة[3] فقد بين صلى الله عليه وسلم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بأنها تعتمد على السمع والطاعة ما دام الرئيس يحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا مال عنهما فلا سمع ولا طاعة، فالحاكم أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى[4].

٦- تربية المجتمع على مبدأ المساواة بين البشر: فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب» حيث حدد أن أساس التفاضل لا عبرة فيه لجنس، ولا لون، ولا وطن، ولا قومية، وإنما أساس التفاضل قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى مقامات رفيعة جدا[5].

٧- تحديد مصدر التلقي: وقد حدد صلى الله عليه وسلم مصدر التلقي والطريقة المثلى لحل مشاكل المسلمين التي قد تعترض طريقهم في الرجوع إلى مصدرين لا ثالث لهما، ضمن لهم بعد الاعتصام بهما الأمان من كل شقاء وضلال، وهما: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنك لتجده يتقدم بهذا التعهد والضمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليبين للناس أن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليست وقفًا على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لأي تطور حضاري أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهما[6].

لقد وصف صلى الله عليه وسلم الداء والدواء، ووضع العلاج لكل المشكلات بالالتزام التام بما جاء من أحكام من في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي» هذا هو العلاج الدائم، وقد كرر صلى الله عليه وسلم نداءه للبشرية عامة، عبر الأزمنة والأمكنة، بوجوب الاهتداء بالكتاب والسنة في حل جميع المشكلات التي تواجه البشرية، فإن الاعتصام بهما يجنب الناس الضلال ويهديهم إلى التي هي أقوم في الحاضر والمستقبل، لقد اجتازت تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه حدود الجزيرة، واخترقت حواجز الزمن، وأسوار القرون، وظل يتردد صداها حتى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلم يكن يخاطب سامعيه فيقول لهم: أيها المؤمنون، أو أيها المسلمون، أو أيها الحجاج.. بل كان يقول لهم: يا

---

[1] كامل سلامة الدقس: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص٥٧٥.

[2] البوطي: فقه السيرة، ص٣٢٥.

[3] كامل سلامة الدقس: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص٥٧٦.

[4] البوطي: فقه السيرة، ص٣٣١.

[5] محمد صادق عرجون:الموسوعة في سماحة الإسلام٢/ ٨٧٦.

[6] البوطي: فقه السيرة، ص٣٣١.



أيها الناس، وقد كرر نداءه إلى الناس كافة مرات متعددة دون أن يخصصه بجنس أو بزمان أو مكان أو لون، فقد بعثه الله للناس كافة وأرسله رحمة للعالمين[1].

المستفاد من الأساليب التعليمية من خطب حجة الوداع:

أ- التعليم بمباشرة ما يراد تعليمه:

علَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام مناسك الحج بصورة عملية، بأن قام بها وباشرها فعلا، و لم يكتف بأن يعلمها لهم قولاً، ولذلك قال لهم: «خذوا عني مناسككم»[2] وعلى هذا فيستحسن من الدعاة وهم يعلمون الناس معاني الإسلام، أن يعلموهم هذه المعاني، والمطلوبات الشرعية، أو بعضها -في الأقل- بصورة عملية، كالوضوء، والصلاة، وتعليم قراءة القرآن بصورة سليمة[3].

ب- تكرار الخطب:

لاحظنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كرر خطبه، فقد خطب في عرفة، وفي منى مرتين، كما كرر معاني بعض هذه الخطب، فعلى الدعاة أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكرروا خطبهم ويكرروا بعض معانيها التي يرون حاجة لتكرارها، حتى يستوعبها السامعون ويحفظوها؛ لأن القصد من خطب الخطيب إفادة السامعين بما يقول، فإذا كانت الفائدة لا تحصل -أو لا تتم- إلا بتكرار الخطب من حيث عددها، أو بتكرارها من حيث تكرار معانيها، فليكررها الداعية، ولا يكون حرصه على أن يأتي بجديد في خطبه ما دام يرى الحاجة في ترسيخ معان معينة في أذهان السامعين، إن الداعية همه أن يفيد السامعين، وليس همه أن يظهر براعته في الخطب، وفي تنوع معانيها، دون نظر ولا اعتبار إلى ما يحتاجه السامعون، ودون اعتبار لفهمهم هذه المعاني واستيعابهم لها[4].

ج- فليبلغ الشاهدُ الغائبَ:

وفي هذا توجيه نبوي كريم لكي تعم الفائدة أكبر عدد ممكن من الناس؛ فهذا من باب التعاون على الخير، ولأن الغائب قد يكون أوعى للعلم وأكثر فهمًا له من الحاضر الذي سمع، وعلى الدعاة والعلماء عندما يلقون درسا أو محاضرة لإخوانهم أو لعامة الناس فمن المستحسن أن يقولوا للحاضرين: فليبلغ الحاضر منكم الغائب بما سمعه.

د- جلب انتباه الحاضر لما يقوله الخطيب:

ويستفاد من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين عن اسم اليوم الذي هم فيه، وكذا عن الشهر والبلد وهم يعرفونها؛ مما يجلب انتباههم إلى ما قد عسى أن يريده بطرح هذه الأسئلة فيصغون إليها إصغاء تامًّا، قال القرطبي: سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة -أي عن اليوم والشهر والبلد- وسكوته بعد كل سؤال منها كان

---

(1) أحمد محمد باشميل: الجانب السياسي في حياة الرسول، ص١٣١.

(2) العمري: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٩). صحيح مسلم ٢/٩٤٣، حديث(١٢٩٧).

(3) عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٥١٨.

(4) عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن٢/ ٥١٧، ٥١٨.



لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه.. فعلى العلماء والدعاة أن يقدموا بين يدي ما يقولونه ما يدعو إلى جلب انتباه السامعين ويشدهم إلى كلامهم[١].

بعض الأحكام الفقهية المستفادة من حجة الوداع:

جاءت حجة الوداع حافلة بالأحكام الشرعية خاصة ما يتعلق بالحج وبالوصايا والأحكام التي وردت في خطبة عرفات؛ لذلك اهتم العلماء بحجة الوداع اهتماما كبيرا واستنبطوا منها الكثير من أحكام المناسك وغيرها مما تحفل به كتب الفقه وكتب شروح الحديث، وخصص بعضهم مؤلفات مستقلة في حجة الوداع[٢].

ونشير إلى بعض هذه الأحكام باختصار شديد فمن هذه الأحكام:

أ- إفطار الحاج يوم عرفة: قالت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: إن الناس شكوا في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فأرسلت إليه ميمونة بحلاب[٣] اللبن، وهو واقف في الموقف، فشرب منه، والناس ينظرون إليه[٤].

ب- كيف يفعل بمن توفي محرما؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته، فوقصته -أو قال فأوقصته- [٥] فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه[٦] ولا تخمروا رأسه[٧] فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا»[٨].

ج- هل يجوز الحج عن الغير؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع[٩].

د- منهج التيسير: لا حرج، لا حرج: قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، فطفق ناس يسألونه فيقول القائل: يا رسول الله، إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فارم ولا حرج» قال: وطفق آخر يقول: إني لم أشعر أن

---

[١] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٥١٨.

[٢] العمري:السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٩) ، ما ألفه الألباني «حجة النبي» وغيره.

[٣] الإناء الذي يحلب فيه.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة، ٤٢/٣ حديث رقم ١٩٨٩.

[٥] فوقصته: قتلته في الحال.

[٦] لا تحنطوه: لا تضعوا عليه من الطيب شيئا.

[٧] لا تخمروا رأسه: لا تغطوا رأسه.

[٨] صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين، ٧٥/٢ حديث ١٢٦٥، ملبيًا: يحشر يوم القيامة على الهيئة التي مات عليها.

[٩] صحيح البخاري: كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، ١٣٢/٢ رقم ١٥١٣.



النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن أنحر، فيقول: «انحر ولا حرج» ، قال: فما سمعته يُسأل يومئذ عن أمر، مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها، إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعل ولا حرج».




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس عشر

مرض النبيﷺ وما قاله وما فعله قبيل وفاته

تمهيد:

وكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً، فإذا جاءَ الْأَجَلُ المَحْتُوم، فَلَا رَادَّ لَهُ، ولَمْ يَكُنْ اللهُ تَعَالى قَدْ جعلَ الْخُلْدَ فِي الدُنْيَا لإحَدٍ مِنْ مَخْلوقَاتِه، وَقَدَّرَ المَوتَ لَمْ يُستَثْنَ مِنهُ الانْبِيَاءِ وَالرُّسُل، بَلْ إِنَّهُمْ كَانُوا الأَكْثَرْ تَسْليماً لِهَذَا القدَر، لِعُمْقِ ايمَانِهمْ باللهِ تَعَالَى، وَعَظِيمِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ به، فمرَّ عَلَيهِمْ هَذَا القدر مِنْ غَيرِ اسْتِثْنَاء؛ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ:(**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**)[1]. وَأنَّ هَذَا القدَرَ المَحْتُوم يَطَال البَّشَر جَمْيعاً، مُؤمِنُهمْ وكَافِرُهم: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**)[2]. كَمَا خَاطَبَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَهُ الكَرْيم ﷺبقَوله: **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**[3]. وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُّفِ عَلَى مَا قَالَهُ الرَّسُولُ وَمَا فَعَلَهُ فِي مَرَضِهِ وَقُبيلِ وَفَاتِهِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْ ذَلك، فقَدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْل فِي مَبْحَثَين وَعَلى النَّحو التَّالي:

المَبْحَث الاول: مَرض النَّبيّ ﷺ وافْعَاله حَتَّى وَفَاتِه.

المَبْحَث الثَّاني: المُسْتَفاد مِنْ تَأمير أُسَامَةَ بْنُ زَيْدِ وَمِنْ أقْوَال النَّبيِّ ﷺ قبلَ وَفَاتِه.

المبحث الاول

مرض النبي ﷺ وافعاله حتى وفاته

بعث أُسامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بجيش لمقاتلة الروم:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ لأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنْ مُهَاجَرِهِ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاسَ بالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ: «سِرْ إِلَى مَوْضِعِ مَقْتَلِ أَبِيكَ فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجَيْشَ، فَأَغِرْ صَبَاحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى، وَحَرِّقْ عَلَيْهِمْ، وَأَسْرِعِ السَّيْرَ تَسْبِقِ الأَخْبَارَ، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وهذ مَعَكَ الأَدِلاءَ، وَقَدِّمِ الْعُيُونَ وَالطَّلائِعَ مَعَكَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَرْبَعَاءِ بُدِئَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، فَحُمَّ وَصُدِعَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَقَدَ لأُسَامَةَ لِوَاءً بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «اغْزُ بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ» فَخَرَجَ بِلِوَائِهِ مَعْقُودًا، فَدَفَعَهُ إِلَى بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ الأَسْلَمِيِّ، وَعَسْكَرَ بِالْجُرْفِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ وَالأَنْصَارِ، إِلا انْتُدِبَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو

---

[1] سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

[2] سورة الزمر: الآيتان ٣٠٣١.

[3] سورة الانبياء: الآية ٣٤.



عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ وَسَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ حُرَيْسٍ، فَتَكَلَّمَ قَوْمٌ وَقَالُوا: يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْغُلامَ، عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضَبًا شَدِيدًا، فَخَرَجَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ عِصَابَةً وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الناس، فما قالة بَلَغَتْنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي تَأْمِيرِي أُسَامَةَ، وَلَئِنْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَتِي أُسَامَةَ لَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إمارتي إياه من قبله، وأيم الله إن كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنَّ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ لخليق للإمارة، إن كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّهُمَا لَمُخَيَّلانِ لِكُلِّ خَيْرٍ- أَيْ لَمَظَنَّةٍ لِكُلِّ خَيْرٍ- فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ مِنْ خِيَارِكُمْ، ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ بَيْتَهُ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشَرَةَ، وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مَعَ أُسَامَةَ يُوَدِّعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْمُعَسْكَرِ بِالْجُرْفِ، وَثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَنْفِذُوا بعث أسامة». فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحَدِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، فَدَخَلَ أُسَامَةُ مِنْ مُعَسْكَرِهِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْمُورٌ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَدُّوهُ فِيهِ، فَطَأْطَأَ أُسَامَةُ فَقَبَّلَهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهُمَا عَلَى أُسَامَةَ، قَالَ أُسَامَةُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي، وَرَجَعَ أُسَامَةُ إِلَى مُعَسْكَرِهِ[١].

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزور قبور أحد:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَائِلِ صَفَر سَنَة ١١هـ إلى أُحُدٍ، فَصَلَّى عَلَى الشُهَدَاءِ كَالْمُوَدِعِ للأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ. فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا[٢].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: " يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ فَانْطَلِقْ مَعِي "، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ: " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ، مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللهُ مِنْهُ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا ، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى " قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: " يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: " لَا وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي، وَالْجَنَّةَ " ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ [٣].

---

[١] ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير٢/٣٥٠.

[٢] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد ٢/٩١، حديث ١٣٤٤.

[٣] حديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع واختياره لقاء ربه.رواه احمد في مسنده:٣٧٦/٢٥، حديث(١٥٩٩٧).




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بدء مرض النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتداده عليه:

وَكَانَ ابْتِدَاء مَرَضِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اواخر صَفَر أوائل شَهْر رَبيع الأَوَّل مِنَ السَنَةِ الحَادِيَةِ عَشرَة لِلهِجْرةِ. قَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ[١].وَكَانَتْ عَائِشَة تَقْرَأ بِالْمُعَوذاتِ وَالأَدْعِيةِ الَّتِي حَفِظَتها مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَتْ تَنْفُثُ عَلَى نَفْسهِ، وَتَمْسَحْهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ البَرَكَةِ[٢].

مُرُوا أَبَا بكر فليُصَل بالناسِ:

لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ، فَأُذِّنَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ))، فقالت عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ[٣]، واعادها ثلاثا، فَقَالَ: ((إِنكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))، فَخَرَجَ أبو بَكْرٍ فَصَلَّى، فَوَجَدَ النَّبي – صلى الله عليه وسلم – مِنْ نَفْسهِ خِفَّةً، فَخرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنْ الْوَجَعِ، فَأَرَادَ أبو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبي أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إلى جَنْبِهِ، وَكَانَ النَّبي – صلى الله عليه وسلم – يُصَلِّي وَأبو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلونَ بِصلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: بِرَأْسِهِ نَعَمْ[٤].

وصايا النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته:

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِي – صلى الله عليه وسلم –: "أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" [٥].

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الهبة، بَاب هِبَةِ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَالْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا١٥٨/٣، حديث ٢٥٨٨.

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْبَقِيعِ، فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنا أَقُول: وَا رأساه، فَقَالَ: بَلْ أَنَا وَاللَّهِ يَا عَائِشَة وَا رأساه. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: وَمَا ضَرّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي، فَقُمْتُ عَلَيْكِ وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكَ، لَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي، فَأَعْرَسْتُ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَتَامَّ بِهِ وَجَعُهُ، وَهُوَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ، حَتَّى اسْتَعَزَّ بِهِ، وَهُوَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَدَعَا نِسَاءَهُ، فَاسْتَأْذَنَهُنَّ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ. حديث صحيح: أخرجه ابن هشام في "السيرة" بإسناد صحيح٦٤٣/٢.

استعز به: اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَجَعه وغلبه على نَفسه.

[٢] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٤٧٠.

[٣] اسيف: رقيق القلب يغلبه البكاء عند قراءة القرآن.

[٤] صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ١٤٣/١، حديث (٦٦٤).

[٥] اسناده صحيح:أخرجه أحمد في مسنده:٢٢١/٣، حديث(١٦٩١).




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – في مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بن أبي قُحافَة، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ"[1].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي مَرَضِهِ: "ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ"[2].

وعَنْ مُحَمَّدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – شَيْئًا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرجعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ، فَلَمْ أَجِدْكَ، قَالَ أَبِي: كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ، قَالَ: "فَإِنْ لَم تَجِدِينِي فَأتِي أَبَا بَكْرٍ" [3].

عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيكَةَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ وَسُئِلَتْ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ، قَالَتْ: أبو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أبي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إلى هَذَا[4].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي مَرَضِهِ: "وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي بَعْضَ أصحابي"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ، فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُمَرَ، فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ، قَالَ: "نَعَم"، فَجَاءَ فَخَلَا بِهِ، فَجَعَلَ النَّبِي– صلى الله عليه وسلم – يُكَلِّمُهُ، وَوَجْهُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، قَالَ قَيسٌ: فَحَدَّثَنِي أبوسَهْلَةَ مَوْلَى عثمان أَنَّ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، قَالَ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ فِي حَدِيثِهِ: وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ، قَالَ قَيْسٌ: فَكَانُوا يُرَوْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ [5].

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ قَضوْا مَا عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا إلى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ" [6].وقال – ﷺ–: "اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا"[7].

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري: ابواب المساجد، بَاب الْخَوْخَةِ وَالْمَمَرِّ فِي الْمَسْجِدِ:١/١٠٠، حديث(٤٦٧).

[2] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل ابي بكر الصديق، ٤/١٨٥٧، حديث(٢٣٨٧).

[3] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل ابي بكر الصديق، ٤/١٨٥٦، حديث(٢٣٨٦).

[4] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل ابي بكر الصديق، ٤/١٨٥٦، حديث(٢٣٨٥).

[5] صحيح: رواه ابن ماجه (١١٣) المقدمة وابن أبي عاصم في السنة (١١٧٥)، وابن سعد ٣/ ٦٦، وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سهلة مولى عثمان وهو ثقة كما قال ابن حبان والعجلي والعسقلاني. وانظر: "ظلال الجنة في تخريج السنة" ٢/ ٥٦٠.

[6] صحيح: صحيح ابن حبان:١٦/٢٥٦، حديث(٧٢٦٦).

[7] صحيح: رواه أحمد عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٩).




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي رواية: عَنْ ابْنِ عَبَّاس – رضي الله عنهما – قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَّبَ بِعِصَابَةٍ دَسْمَاءَ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ، وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ"، فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِي – صلى الله عليه وسلم –[١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «... فمَنْ كُنْتُ جَلَدتُ لَه ظَهْراً فَهَذا ظَهْرِي فلْيَسْتَقِدْ مِنه، ومَنْ كُنْتُ أخَذْتُ له مَالاً فَهذا مَالِي، ومَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَه عِرْضاً (فهذا عرضي) فليَسْتَقِدْ....» [٢].

وعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: كَانتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُغَرغِرُ بنفْسِهِ: "الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" [٣].

وعَنْ عَلِيّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم" [٤].

وعَنْ عبد الله بن عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ–عز وجل–، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ".

وفي لفظ قال: قَالَ كَشَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّتْرَ، وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: "اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ– ثَلَاثَ مَرَّاتٍ – إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعبد الصَّالِحُ، أَوْ تُرَى لَه"، ثُمَّ ذَكَرَ بقية الحديث[٥].

وعَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ – رضي الله عنه – قال: يَوْمُ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ[٦]، ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى، فَقُلْتُ[٧]: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، فَقَالَ:"ائْتُونِي أَكْتُبْ

---

[١] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام٤/٢٠٤، حديث (٣٦٢٨).

[٢] البيهقي: دلائل النبوة ١٧٩/٧.

[٣] صحيح: رواه ابن ماجه:٩٠٠/٢، حديث(٢٦٩٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل" (٢١٧٨).

[٤] صحيح: رواه أبو داود في سننه:٥٠٤/٤، حديث (٥١٥٨). وصححه الألباني.

[٥] صحيح: أخرجه مسلم:٣٤٨/١، حديث (٤٧٩). رواه أبو داود في سننه:٣٢٦/١، حديث(٨٧٦). وقال الالباني: حديث صحيح.

[٦] يوم الخميس وما يوم الخميس: معناه تفخيم أمره في الشدة والمكروه.

[٧] القائل هو سعيد بن جبير.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَكُم كِتَابًا [١]لَا تَضِلُّوا بَعْدِي"، فَتَنَازَعُوا، وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، وَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ، قَالَ: "دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيرٌ[٢]، أُوصِيكُم بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ[٣]، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنحْوِ مَا كُنْتُ أُجيزُهُم[٤]"، قَالَ: وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَهَا فَأُنْسِيتُهَا[٥] [٦].

وفي رواية: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي الْبَيتِ رِجَالٌ فِيهِم عُمَرُ بن الْخَطَّاب، قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ"، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيهِ الْوَجَعُ،

---

[١] فقال ائتوني أكتب لكم كتابا: اعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم معصوم من الكذب ومن تغير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه وليس معصوما من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمترلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر النبي صلى الله عليه و سلم حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء و لم يكن فعله و لم يصدر منه صلى الله عليه و سلم في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي صلى الله عليه و سلم به فقيل أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع فيه نزاع وفتن وقيل أراد كتابا يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع التراع فيها ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه وكان النبي صلى الله عليه و سلم هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنه خشي أن يكتب صلى الله عليه و سلم أمورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها فقال عمر حسبنا كتاب الله لقوله تعالى { ما فرطنا في الكتاب من شيء } وقوله { اليوم أكملت لكم دينكم } فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلال على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه.

[٢] دعوني فالذي أنا فيه خير: معناه دعوني من التراع واللغط الذي شرعتم فيه فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه والفكر في ذلك ونحوه أفضل مما أنتم فيه.

[٣] جزيرة العرب: قال أبو عبيد قال الأصمعي جزيرة العرب ما بين أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول وأما في العرض فمن جدة وما والاها إلى أطراف الشأم وقال أبو عبيدة هي ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول وأما في العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة قالوا وسميت جزيرة لإحاطة البحار بها من نواحيها وانقطاعها عن المياه العظيمة وأصل الجزر في اللغة القطع وأضيفت إلى العرب لأنها الأرض التي كانت بأيديهم قبل الإسلام وديارهم التي هي أوطانهم وأوطان أسلافهم.

[٤] وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتم أجيوهم: قال العلماء هذا أمر منه صلى الله عليه و سلم بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييبا لنفوسهم وترغيبا لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم وإعانة لهم على سفرهم.

[٥] وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها: الساكت هو ابن عباس والناسي هو سعيد بن جبير قال المهلب الثالثة هي تجهيز جيش أسامة رضي الله عنه.

[٦] صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه. ١٢٥٧/٣، حديث (١٦٣٧).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَعِنْدَكُم الْقُرآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ الله، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَاخْتَصَمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبي – صلى الله عليه وسلم –، قَالَ رَسُولُ الله: "قُومُوا"، قَالَ عُبَيدُ الله: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ[١].

آخر نظرة لرسول الله للمسلمين وهم يصلون:

عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ أَنَسٌ وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ[٢] فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ[٣].

الاحتضار:

وَبَدَأ الاحْتِضَار فَأسْنَدَتْهُ عَائِشَةَ إِلَيْهَا، وكَانَتْ تَقُولُ إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ آخُذُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ أُلَيِّنُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ[٤].

وَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ مِنَ السِّوَاكِ حَتَّى رَفع يَدَهُ أَو اصبَعَهُ، وَشَخَصَ بَصَرَهُ نَحْوَ السَّقْفِ، وَتَحَرَكَتْ شَفَتَاهُ، فَأَصْغَتْ إِليهِ عَائِشَة وَهُوَ يَقُولُ:" مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى. اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى" [٥].

كَرَّرَ الكَلِمَة الاخيْرَة ثَلاثًا، وَمَالَتْ يَدَهُ وَلَحِقَ بِالرَّفِيقَ الْأَعْلَى. إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

---

[١] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٧/١٢٠، حديث(٥٦٦٩).

[٢] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ٦/١٢، حديث (٤٤٤٨).

[٣] صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، ١/١٣٦، حديث (٦٨٠).

[٤] صحيح البخاري: كتاب، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ٦/١٣، حديث (٤٤٤٩).

[٥] صحيح البخاري: كتاب، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ٦/٤٦، حديث (٤٥٨٦).

صحيح البخاري: كتاب، بَاب تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، ٧/١٢١، حديث (٥٦٧٤).

صحيح البخاري: كتاب، بَاب آخِرِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٦/١٥، حديث (٤٤٦٣).




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَقعَ هَذَا الحَادِثْ حِينَ اشْتَدَّتْ الضُحَى مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ١٢ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشرَةَ، وَقدْ تَمَّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً [١].

تفاقم الاحزان على الصحابة:

وَتَسرَبَ النَبأ الفَادِحْ، وَأظْلَمتْ عَلَى أَهْلِ المَدْينَةِ أَرْجَاؤُهَا وَآفَاقهَا. عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمَّا نَفَضنَا عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرنَا قلوبنا[٢].

وَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ [٣].

موقف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عُمْرُ بْنُ الْخَطَّاب، فَقَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تُوُفِّيَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَاتَ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قد مَاتَ، وو الله لَيَرْجعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَجَعَ مُوسَى، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتُ[٤].

موقف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَقْبَلَ أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَتَيَمَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى ثُمَّ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا قَالَ الزُّهْرِيُّ وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ اجْلِسْ يَا عُمَرُ فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

---

[١] تُوُفِّيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. أنظر: صحيح مسلم: باب كم النبي ﷺ٤/١٨٢٥، حديث(٢٣٤٩).

[٢] اسناده صحيح على شرط مسلم: رواه ابن حبان في صحيحه:١٤/٦٠١، حديث (٦٦٣٤).

[٣] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ٦/١٥، حديث (٤٤٦٢).

[٤] ابن هشام:السيرة النبوية ٢/٦٥٥.



الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ) [1] وَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ[2].

القائمون بغسل النبي ﷺ:

الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَقُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ، فَكَانَ الْعَبَّاسُ وَالْفَضْلُ وَقُثَمُ يُقَلِّبُونَهُ، وأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وشُقْرَانُ يَصُبَّانِ الْمَاءَ، وَعَلِيٌّ يَغْسِلُهُ، وأَوْسُ أَسْنَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ[3].

وَقَدْ غُسِّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاث غَسْلات بماءٍ وَسِّدْرٍ، وَغُسِّلَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ، وَغُسِّلَ مِنْ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا الْغَرْثُ بِقُبَاءِ، كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ مِنْهَا[4].

كفن النبي ﷺ والصلاة عليه وادخاله القبر:

كُفِّنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ [5] مِنْ كُرْسُفٍ[6] لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ[7].

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ: فدفنه في سجدة، وَقَالَ قَائِلٌ: يُدْفَنُ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ، فَرُفِعَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي تُوُفِّيَ عَلَيْهِ، فَحُفِرَ لَهُ تَحْتَهُ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ، إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، أَرْسَالًا الرِّجَالُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ منه، أَدْخَلَ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنَ النِّسَاءِ، دَخَلَ الصِّبْيَانُ. وَلَمْ يَؤُمَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ[8].

---

[1] سورة آل عمران:الآية ١٤٤.

[2] صحيح البخاري: كتاب، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ١٣/٦، حديث (٤٤٥٣).

[3] رواه احمد في مسنده: ١٨٦/٤، حديث (٢٣٥٧).

[4] البيهقي: دلائل النبوة ٢٤٥/٧.

[5] سحولية: بفتح السين وضمها: هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن، وقال آخرون: هي منسوبة إلى سحول مدينة باليمن تحمل منها هذه الثياب.

[6] الكرسف: القطن.

[7] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الكفن بغير قميص ٧٧/٢، حديث (١٢٧١). صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب في كفن الميت:٦٤٩/٢، حديث (٩٤١).

[8] البيهقي: دلائل النبوة ٢٦٠/٧.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَشَقَّ لَحْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ الَّذِي يَشُقُّ لُحُودَ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ[1].

وعَنْ عبد الله بن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ [2].

وفي رواية للترمذي: الَّذِي أَلْحَدَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أبو طَلْحَةَ، وَالَّذِي أَلْقَي الْقَطِيفَةَ تَحْتَهُ شُقْرَانُ مَوْلَي رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ جَعْفَرٌ: وَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ الله بن أبي رَافِعٍ، قَال: سَمِعْتُ شُقْرَانَ يَقُولُ: أَنَا وَاللهِ طَرَحْتُ الْقَطِيفَةَ تَحْتَ رَسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم- فِي الْقَبْرِ[3].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ "[4]

---

[1] إسناده صحيح:رواه ابن الجارود في "المنتقي" ١٤٢/١، حديث: (٥٤٧).

[2] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب جعل القطيفة في القبر٦٦٥/٢، حديث (٩٦٧).

[3] إسناده صحيح: رواه الترمذي في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الثوب الواحد يلقى تحت الميت في القبر ٣٦٥/٣، حديث (١٠٤٧)، وصحح إسناده الألباني.

[4] مسند الامام احمد:١٧٢/٤٣، حديث(٢٦٠٤٩).



المبحث الثاني

المستفاد من تأمير أسامة بن زيد ومن أقوال النبي ﷺ قبل وفاته

المستفاد من تأمير أسامة بن زيد:

ذكرنا أن النبي ﷺ أمر بإعداد جيش لمحاربة الروم، وأنه أمرَّ عليه أسامة بن زيد، وأنه كان في هذا الجيش كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب. وقد تكلم بعض المسلمين في هذا التأمير؛ لكون اسامة شاباً، وفي الجيش شيوخ المهاجرين والأنصار، وقد بلغ هذا الكلام رسول اللهﷺ فأنكره وفنده ورده. وعلى هذا فعلى المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا إذا أمَّرَت عليهم قيادتهم مسؤوليهم، لأن استحقاق المسؤولية لا تقوم على العمر، وإنما على القدرة والكفاءة، ولأن تعيين شخص دون سواه على عمل معين يقوم على عدة اعتبارات يعرفها القائد جيداً، وقد لا يحيط بها اتباعه، ومن ثم جاء اختياره لمن عينه، فعلى المسلمين أن يعرفوا ذلك، ويحملوا نفوسهم على قبوله، ولا يجوز لهم رفض هذا التعيين، لأنه اجتهاد، وليس اجتهادهم أولى من اجتهاده [١].

المستفاد من استئذان النبيﷺ أزواجه في أن يمرض في بيت عائشة:

ذكرنا أن النبيﷺ لما اشتد به المرض استإذن أزواجه في أن يمرض في بيت عائشة فأذِنَّ له. فعلى علماء المسلمين ودعاتهم أن يذكّروا المسلمين بمدى التزام رسول اللهﷺ بالعدل بين ازواجه. وهذا التذكير للمسلمين بعدل رسول الله ضروري لاسيما في المناطق التي يكثر فيها تعدد الزوجات، فمن الخير أن يعرف المسلمون ضرورة تمسكهم بالعدل بين نسائهم في الأكل والشرب والسكن والمبيت، وإذا طرأ طارئ يستوجب المبيت والبقاء في بيت إحدى أزواجه فليستأذن[٢].

المستفاد من وصية النبي ﷺ بالانصار:

ذكرنا أن النبي ﷺ أوصى في خطبته وهو في مرضه المسلمين بالأنصار، وقال لهم: أَحْسِنُوا إلى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ، لأنهم قاموا بأعمال جليلة في خدمة الإسلام، ونصرة الرسولﷺ استحقوا بها ان يذكرهم الله في كتابه العزيز على وجه المدح والثناء لهم والإخبار برضاه عنهم. فعلى المسؤول أن يصفح الصفح الجميل عن الشخص ذي السوابق الجليلة في خدمة الاسلام إذا صدر منه تقصير أو شيء من الاهمال، ويكتفي منه بقبول عذره، إن كان له

---

[١] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/٥٢٦.

[٢] المصدر نفسه ٢/٥٢٧.



عذر، وإذا رؤي في تقصيره ما يستوجب التوجيه والتعليم، فليفعل المسؤول ذلك، فكل ابن خطاء وخير الخطائين التوابون[١].

المستفاد من تحلل النبيﷺ من المظالم:

ذكرنا قول رسول الله ﷺ: فمَنْ كُنْتُ جَلَدتُ لَه ظَهْراً فَهَذا ظَهْرِي فلْيَسْتَقِدْ مِنه، ومَنْ كُنْتُ أخَذْتُ له مَالاً فَهذا مَالِي، ومَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَه عِرْضاً (فهذا عرضي) فليَسْتَقِد". فمن المستحسن لمن يتولى إمرة المسلمين، أن يعلن مثل هذا القول أو بمعناه في اتباعه، حتى يريهم أنه مستمسك بمقتضيات العدل، ومتأسي في ذلك برسول اللهﷺ، وحتى لا يبقى في قلب احد من اتباعه شيء عليه، لأن المسؤول قد يصدر منه على سبيل الاجتهاد او الغفلة أو الخطأ نحو احدهم ما لا ينبغي صدوره منه، فلهذا ونحوه يستحن أن يعرض لهم ما قلته، وأن يطلب منهم أن يذكروا له ما ينقمونه منه، أو بما يرونه تجاوزاً منه عليهم بلا مبرر[٢].

المستفاد من رعاية رسول الله للمسلمين وسروره بحسن احوالهم:

ذكرنا خروج رسول الله ﷺ إلى المسجد يوصيهم ويخطب فيهم، فقد أوصاهمﷺ بعدم اتخاذ القبور مساجد؛ لخوفه عليهم من أن يقعوا فيما وقع اليهود والنصارى فيه من اتخاذهم قبور انبيائهم مساجد. كما أوصاهم بالصلاة وبما ملكت أيمانهم، وهذا مظهر آخر من مظاهر رعايته لهم وشفقته بهم ﷺ . فعلى من يتولى أمر المسلمين ألا ينفك عن رعاية اتباعه، ووعظهم وتوجيههم وإرشادهم وتذكيرهم بما يراه مفيداً للتذكير به. وكذلك راينا سروره ﷺ عندما كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها، فنظر إلى المسلمين وهم يصلون، فسره ذلك وتبسم ضاحكاً ﷺ رضاً منه سروراً بما رآه من حسن أحوالهم وعبادتهم لربهم. فعلى المسؤول أن يتفقد احوال اتباعه حتى إذا رأى منهم ما يسره أظهر سروره، كما يتفقد الاب أولاده حتى إذا رأى ما يسره منهم أعلن ذلك بابتسامة، فتشيع فيها المودة والاحترام والطاعة[٣].

المستفاد من اظهار النبيﷺ فضل أبي بكر ومنزلته في الاسلام:

على علماء المسلمين ودعاتهم أن يبينوا للناس في خطبهم وفي دروسهم ومواعظهم فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وفضل أبي بكر الصديق، فهو خير الأمة بعد رسولها، فقد ذكره ﷺ في خطبته التي ذكرناها.فعلى العلماء أن يذكروا موقفه الشجاع الذي لم يقفه غيره يوم بلغه وفاة رسول الله ﷺ، فقد أصاب المسلمين بهر ودهشة هائلة حتى ان عمر بن الخطاب أنكر موته وهدد من يقوله، لكن الصديق ابا بكر ﷺ كان يتمتع برباطة جأش وقوة أعصاب عند

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] المصدر نفسه ٢/٥٢٨.



النكبات لا يتمتع بها صحابي آخر[1]، وقال قولته الشهيرة التي نسيها المسلمون وهي: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ قوله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ[2].

وهذا ما جعله أولى الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أثبت ذلك في حركة الردة في جزيرة العرب[3].

المستفاد من مصيبة المسلمين بفقد رسولها:

لقد دهش الصحابة لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لكأن الموت لا يمكن أن يأتيه، مع أن الموت نهاية كل حي، وما ذلك إلا لحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حباً امتزج بدمائهم وأعصابهم، والصدمة بفقد الأحباب تكون على قدر الحب، ونحن نرى من يفقد ولداً أو أباً كيف يظل أياماً لا يصدق أنه فقده، وأي حب في الدنيا يبلغ حب هؤلاء الصحابة الأبرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد هداهم الله به، وأنقذهم من الظلمات إلى النور، وغير حياتهم، وفتح عقولهم وأبصارهم، وسما بهم إلى مراتب القادة العظماء، ثم هو في حياته مربيهم وقاضيهم ومرشدهم يلجؤون اليه في النكبات، ويسترشدونه في الحوادث، ويأخذون منه خطاب الله لهم وحديثه اليهم وتعليمه لهم، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم انقطع ذلك كله، فأي صدمة أبلغ من هذه الصدمة وأشدها أثراً[4]، ومع ذلك فقد تلقوها بالصبر والثبات والاستمرار على الدعوة إلى الله التي حملهم إياها رسول الله ﷺ. لذلك ينبغي على المسلمين إذا فقد اميرهم بموت أو استشهاد، فعليهم أن يتحملوا هذا الفقد بالصبر الجميل وبالثبات على العمل والدعوة، دون كلل أو ملل أو ضعف، فليس موت أحد من الناس بأعظم وقعاً وأشد مصيبة على المسلمين من موت رسول الله ﷺ على صحابته الكرام، وليتذكروا قول صدّيق هذه الامة أبي بكر رضي الله عنه: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت[5].

---

[1] مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، ص١٧٢.

[2] سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

[3] مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، ص١٧٢.

[4] المصدر نفسه، ص١٧٣.

[5] رواه البيهقي في سننه الكبرى ١٤٢/٨، حديث (١٦٣١٣).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

- احكام القرآن، احمد بن علي الجصاص، دار احياء التراث العربي بيروت، ١٤٠٥هـ.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤م.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
- أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- اضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ.
- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ابن طولون الصالحي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣ م.
- الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الاساس في السنّة وفقهها، السيرة النبوية، سعيد حوى، دار السلام بمصر، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.



- الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفُتَيِّح، دار القلم - دمشق، الدار الشامية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- الأصنام، هشام بن محمد الكلبي، الطبعة الرابعة، دار الكتب المصرية.
- الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية، أبو أسماء محمد بن طه، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - دار سبل السلام – الفيوم، الطبعة الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- الإملاء المختصر في شرح غريب السير، مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي، أبو ذر، ويعرف كأبيه، بابن أبي الركب (المتوفى: ٦٠٤هـ)استخرجه وصححه: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم، حسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، دار المنهاج – جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ.
- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، تحقيق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (المتوفى: ٨٩٣هـ)، دار صادر – بيروت.
- تأملات في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٦ ه.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ه)المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ ه - ١٩٩٣ م
- التاريخ الاسلامي مواقف وعبر، د. عبدالعزيز الحميدي، دار الدعوة، الاسكندرية، الطبعة الاولى ١٤١٨ه-١٩٩٧م.
- التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية، د. علي معطي، مؤسسة المعارف بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه.
- تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفنسون، طبعة القاهرة ١٩٢٧م.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: ٩٦٦ه)، دار صادر – بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف ابن عساكر سنة الولادة ٤٩٩/ سنة الوفاة ٥٧١، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م.
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ ه- ١٩٨٤ م.
- التربية القيادية، منير الغضبان، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه-١٩٩٨م.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ه)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، ١٤٢٠ه - ١٩٩٩ م.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ه)تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ ه - ٢٠٠١ م.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٠م.
- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الفجالة – القاهرة، ١٩٩٧م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، الطبعة الأولى، مطبعة الملاح.
- الجامع الصحيح للسيرة النبوية، الأستاذ الدكتور سعد المرصفي، مكتبة ابن كثير، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- جوامع السيرة النبوية، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- حديث القرآن عن غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم -، محمد بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم -: محمد أبي زهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، دار الفكر بيروت.
- الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الدرر في اختصار المغازي والسير، النمري، الحافظ يوسف بن البر، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ه.
- الدرة الثمينة في أخبار المدينة، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (المتوفى: ٦٤٣ه)تحقيق: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، دار النفائس – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ ه.
- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، دكتور رؤوف شلبي، دار القلم، الطبعة الثالثة.
- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ه)
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ ه.
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ه)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ ه - ١٩٨٦ م.
- دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين، كامل سلامة الدقس، دار عمار الأردن، الطبعة الاولى، ١٩٩٤م.
- الرحيق المختوم، لصفي الدين الرحمن المباركفوري، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.
- رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨ه)، الطبعة الأولى، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض.
- الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣ه)، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه.
- الرسول القائد، محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩ه)، دار الفكر – بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٢ ه.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ه)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ه.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ ه.
- سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ عَليه الصَّلاة وَالسَّلام، صالح بن طه عبد الواحد، مكتبة الغرباء، الدار الأثرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ ه.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٤ه-١٩٧٤م.
- سفراء النبي – صلى الله عليه وسلم –، لمحمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤١٧ه-١٩٩٦م.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - مَحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٤ هـ.
- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٥ هـ.
- السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، محمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- السيرة النبوية، دراسة وتحليل، محمد ابو فارس، دار الفرقان عمان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، .
- السيرة النبوية الشريفة، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠١٢م.
- السِّيرةُ النّبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة هلال بيروت.




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، صالح أحمد الشامي، المكتب الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- السيرة النبوية دروس وعبر، د.مصطفى السباعي، المكتب الاسلامي بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
- السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- شرح النووي صحيح مسلم للإمام النووي(أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف) (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- صحيح السيرة النبوية، ابراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م.
- صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن، الطبعة الأولى.
- الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- الصَّحِيحُ من أحاديث السّيرة النبوية، أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، محمد عبدالقادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، طبعة عام ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الصراع مع اليهود، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- صفة جزيرة العرب، الحسن بن احمد الهمذاني، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٨٩م.
- صلح الحديبية، محمد احمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.
- صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، تأليف: د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.
- العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، دار القلم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- الغرباء الأولون، سلمان العودة، الطبعة الثالثة، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- غزوة أحد دراسة دعوية، محمد عيظة بن سعيد من مذجح، دار اشبيليا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- غزوة أحد لأبي فارس، محمد عبدالقادر أبو فارس، الطبعة الاولى، ، دار الفرقان، عمان-الأردن، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- غزوة الأحزاب، محمد عبدالقادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- غزوة بدر الكبرى، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- غزوة حنين، محمد احمد باشميل، دار الفكر، بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فتح السلام شرح عمدة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني مأخوذ من كتابه فتح الباري، جمعه وهذبه وحققه: أبو محمد عبد السلام بن محمد العامر.
- فجر الاسلام، احمد امين، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٦٤م.
- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- فقه التمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصّلابي، دار البيارق، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤٢٦ هـ.
- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم - دمشق
- تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.
- فقه السيرة النبوية، موفق سالم نوري،
- فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية واحياء التراث مكة المكرمة.
- في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد، الطبعة الأولى رجب ١٤١٧هـ، وزارة الأوقاف بدولة قطر.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١ه)، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان.
- القيادة العسكرية في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم –، محمد الرشيد، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه-١٩٩٠م.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ه)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ ه – ١٩٧٩ م.
- ما شاع و لم يثبت في السيرة النبوية، محمد بن عبد الله العوشن، دَارُ طَيبة.
- ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة السابعة، دار المعارف، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م،
- المجتمع المدني في عصر النبوة، أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤٠٤ه-١٩٨٤م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ ه.
- مجموعة الوثائق السياسية، لمحمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة السادسة، بيروت، ١٤٠٧ه.
- محاضرات في تاريخ العرب، صالح احمد العلي، بغداد، ١٩٥٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – لبنان، ١٤٢٢ه.
- محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤١٥ه-١٩٩٥م.
- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقيّ المولد، ثم المصري، عز الدين (المتوفى: ٧٦٧ه)، تحقيق: سامي مكي العاني، دار البشير – عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة عشر، ٢٠٠٢م.
- المرأة في العهد النبوي، د. عصمة الدين كركر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤ه)دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م.
- مرويات غزوة بدر، احمد باوزير، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م.
- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ه – ١٩٩٠م.
- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي الفاسي (المتوفى: بعد ١١٣٢هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.
- المسلمون والروم في عصر النبوة، عبدالرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، طبعة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمى، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري، تحقيق: محمد عظيم الدين ، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشَّثري، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩م.
- المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د.محمد الديك، الطبعة الثانية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

- المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، دار الأعلمي – بيروت، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
- المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ، الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي (المتوفى: ٧٧٩هـ)، تحقيق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث - القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، عبد العزيز الدوري، بيروت، ١٩٦٠م.
- مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، للأستاذ احمد الشريف.
- ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، عدنان النحوي، الطبعة الثانية.
- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- المنتقى من السنن المسندة، أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.
- منهاج السنة النبوية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٨٦م.
- منهج الأعلام الإسلامي في صلح الحديبية، سليم حجازي، دار المنارة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار الأردن الطبعة الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.
- الموسوعة في سماحة الاسلام، محمد صادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر.
- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد، دار الوسيلة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- نظرات في رسالة التعاليم، محمد عبدالله الخطيب، مصر، ١٩٥٥م.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ.



- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (المتوفى: ١٢٩٠هـ)، دار الذخائر – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ ه.
- الهجرة النبوية المباركة، د. عبدالرحمن البر، دار الكلمة، المنصورة- مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- الوسيط في السيرة والخلافة الراشدة، هاشم يحيى الملاح، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
- اليهود في السنّة المطهرة، د. عبدالله الشقاري، دار طيبة، الرياض، طبعة أولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محتويات الكتاب




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة







www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة





إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net








www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة








www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة








إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تم بفضل الله تعالى



الفهرس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة